

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة أم القرى
كلية التربية بمكة المكرمة
الدراسات العليا

نموذج رقم (٨) *

**إجازة أطروحة علمية في صيغتها النهائية
بعد إجراء التعديلات المطلوبة**

الاسم رباعي: مساعد بن محمد سعد مساعد الحربي القسم: التربية الإسلامية والمقارنة

الدرجة العلمية : ماجستير التخصص : تربية اسلامية

عنوان الأطروحة: بعض آراء الامام النووي التربوية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف المرسلين وعلى آله وصحبه
أجمعين وبعد ..

فبناء على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الأطروحة المذكورة عاليه والتي تمت
مناقشتها بتاريخ ١٤١٠/٧/٢٦ هـ بقبول الأطروحة بعد اجراء التعديلات المطلوبة ،
وحيث قد تم عمل اللازم .

فان اللجنة توصي باجازة الأطروحة في صيغتها النهائية المرفقة كمتطلب
تكميلي للدرجة العلمية المذكورة أعلاه والله الموفق .

أعضاء اللجنة


مناقش من خارج القسم

د. محمود نادي عبيدات

التوقيع : 

مناقش من القسم

د. عنتر لطفي محمد

التوقيع : 

المشرف

د. عبدالرحمن عبدالله الشميري

التوقيع : 

رئيس قسم التربية الإسلامية والمقارنة

د. محمود محمد كسناري

* يوضع هذا النموذج أمام الصفحة المقابلة لصفحة عنوان الأطروحة في كل نسخة .

المجلة العربية السعودية
جامعت أم القرى
كلية التربية
قسم التربية للدراسات والبحوث



٣٠١٠٢٠٠٠٠١٧٠٠

بعض آراء الإمام النووي التربوية

دراسة مقدمة إلى قسم التربية للدراسات والبحوث في كلية التربية
بجامعة أم القرى. أعدتها: نعيمة النور ورحمة الطاهر
في التربية للدراسات والبحوث

إعداد الطالب
مساعدة أستاذة التربية في مساهمة البحث العلمي
٢٠٠٦



إشراف الدكتور
عبد الرحمن عبد الله السعيد
جامعة أم القرى

١٤١٠هـ / ١٩٩٠م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ
وَعَلَّمَكَ الْإِسْمَ الْكَبِيرَ

البقرة « ٣٤ »

ملخص الرسالة

عنوان الرسالة : بعض آراء الإمام النووي التربوية

الباحث : مساعد بن محمد سعد بن مساعد الصبحي الحربي

اخترت هذه الدراسة لعلم من أعلام الفكر التربوي الإسلامي وهو العالم الجليل إمام عصره في الحديث والفقه واللغة الإمام يحيى بن شرف النووي . وقد تناولت في هذه الدراسة بعض الآراء التربوية له من خلال بعض كتبه القيمة .

وقد تضمنت الدراسة فصلاً تمهيدياً وبابين . ففي الفصل التمهيدي : مقدمة الدراسة وأهميتها ومبررات الدراسة وتساؤلاتها وأهدافها ومنهج الدراسة وحدودها ثم الدراسات السابقة . أما الباب الأول من الدراسة فيشتمل على فصلين : الفصل الأول . وفيه التعريف بعصر الإمام النووي وحياته وسيرته ، أما الفصل الثاني فيتضمن منهج الإمام النووي الإصلاحي وإرتباطه بمنهجه التربوي ، أما الباب الثاني : فيحتوي على ثلاثة فصول . فالفصل الأول يتناول المنهاج وأغراض التعليم والعوامل المؤثرة في التعليم ثم طرق التدريس . أما الفصل الثاني فيتضمن المعلم ومؤهلاته ومسئوليته وأخلاقه ثم المتعلم وأخلاقه وواجباته ومعلم القرآن ومتعلمه . وقد انتهجت في هذه الدراسة منهجين هما المنهج التاريخي والمنهج الاستنباطي . وقد توصلت في الفصل الثالث إلى نتائج من أهمها :-

١ - إن المعلم هو حجر الزاوية في العملية التعليمية التربوية مما يترتب عليه مسئوليات كبيرة نحو التدريس والإرشاد وضرورة النمو العلمي عن طريق مواصلة البحث والإطلاع .

٢ - الإهتمام الدائم بالجانب الأخلاقي في المعلم والمتعلم والتشديد على ذلك من قبل الإمام النووي .

٣ - وعي الإمام النووي بكثير من المبادئ التربوية مثل التأهيل العلمي للمعلم وسعة الثقافة وطرق التدريس والدافعية .

وكان من توصيات الدراسة :

١ - الإهتمام بحسن إعداد المعلم ولاسيما من الناحية الاخلاقية والإهتمام بتعليم القرآن الكريم والسنة النبوية .

٢ - إخلاص النية عند طلب العلم والإستمرار في طلبه مدى الحياة .

يعتمد . عميد كلية التربية

د / هاشم بكر حري

المشرف على الرسالة

د / عبدالرحمن عبدالله الشميري

الطالب

مساعد بن محمد سعد الصبحي

أمين المكتبة العامة بمكة المكرمة الأستاذ / محمود حريري والأستاذ
عبد الله حكيم اللذين قدّما لي كل دعم وسند وتشجيع ، كما أشكر جميع
العاملين بالمكتبة على ما قاموا به نحوي من حفاوة ومساعدة فجزاهم
الله عنى خيرا •

الباحث

محتويات الدراسة

الصفحة

الموضوع

- ١ - ملخص الرسالة أ
- ٢ - شكر وتقدير ب
- ٣ - محتويات الدراسة د
- ٤ - الفصل التمهيدي :

- ١ - مقدمة الدراسة وأهميتها ١
- ٥ - موضوع الدراسة ٥
- ٥ - مبررات الدراسة ٥
- ٥ - تساؤلات الدراسة ٥
- ٦ - أهداف الدراسة ٦
- ٦ - منهج الدراسة ٦
- ٨ - حدود الدراسة ٨
- ٩ - الدراسات السابقة ٩

الباب الأول : الامام النووى وعصره الذى عاش فيه :

٥ - الفصل الأول :

- ١٢ - أولا : عصره ١٢
- ١٢ - الحياة السياسية فى عصر الامام النووى ١٢
- ١٣ - سقوط الدولة الأيوبية وقيام دولة المماليك ١٣
- ٢١ - نهاية الخلافة العباسية فى بغداد ٢١
- ٢٨ - الحياة الاقتصادية فى عصر الامام النووى ٢٨
- ٣١ - الحياة الاجتماعية فى عصر الامام النووى ٣١

الصفحة

الموضوع

٣٢	١ - طبقات المجتمع
٣٢	أولا - طبقة الممالك
٣٤	ثانيا - طبقة المعممين (المثقفين)
٣٥	ثالثا - طبقة التجار
٣٥	رابعا - طبقة الصناع وأرباب الحرف والفلاحين ...
٤١	- الحياة الفكرية في عصر الامام النووى
٤٦	بعض جوانب الحركة العلمية في عصر الامام النووى.
٤٦	أنواع العُلُوم
٤٨	أنواع التعليم
٤٩	أنواع المدارس
٤٩	اتجاهات الحركة العلمية
	اختلاف بعض العلماء المعاصرين حول الحركة
٥٠	العلمية في القرن السابع الهجرى
٥٥	<u>ثانيا : حياة الامام النووى وسيرته</u>
٥٥	- مولده
٥٥	- نشأته
٥٦	- تعليمه
٦٢	- شيوخه
٦٣	- تلاميذه
٦٥	- أخلاقه
٦٦	- مكانته
٦٧	- وفاته
٦٧	- الاستنتاج

الموضوع

المفحة

٦ - الفصل الثانى : منهج الامام النووى الاصلاحى وارتباطه

بمنهجه التربوى

٦٩ ١ - دعوته الإصلاحية للسياسة

٢ - العدالة الاجتماعية وتطبيق الامر بالمعروف والنهي

عن المنكر ٧٨

الباب الثاني : الفكر التربوي عند الامام النووي

٧ - الفصل الاول :

أولا : المنهاج

١٠٢ شانيا : أغراض التعليم

١٠٧ ثالثاً : العوامل المؤثرة في التعلم

١- مبدأ الدافعية

١٢٠ ٢ - مبدأ الثواب والعقاب

١٢٢ ٣ - مبدأ الفروق الفردية بين التلاميذ

١٢٩ رابعا : طرق التدريس والدراسة في نظره

١٣٢ الطريقة الالقائية

.....الاعــــــــــــداد للدروس

١٣٧ تهيو المعلم لالقاء الدرس

١٤١ - تهيئة المتعلمين للدرس

١٤٢ - تقدير الوقت اللازم للدرس

٢- الوقوف على استعدادات وقدرات الطلاب

١٤٢ قبل البدء في لقاء الدرس

١٤٣ تبسيط الموضوع

الموقف	الصفحة
طريقة الأسئلة	١٤٥
- أغراض الأسئلة	١٤٦
- معرفة نتائج التعلم	١٤٦
- مراجعة المعلومات السابقة	١٤٨
- مساعدة المتعلمين في التعرف على الحقائق والمسائل الأكثر أهمية وغيرها	١٥٠
- موقف المعلم من الأسئلة الصعبة	١٥٤
- التمكن وأجابة الأسئلة	١٥٥
٨ - الفصل الثاني :	
أولا : المعلم - مؤهلاته ومسئوليته وأخلاقه ..	١٦١
أ - مؤهلات المعلم	١٦١
- الجوانب الأساسية لاعداد المعلم	٢٦٢
- بعض الجوانب التخصصية للمعلم	١٦٤
١ - الغزارة العلمية للمعلم	١٦٤
٢ - النمو العلمي للمعلم	١٦٧
- الجانب المهني ..	١٦٩
- الجانب الثقافي العام	١٧٣
ب - مسئوليات المعلم وأخلاقه	١٧٦
الاول : مسئولية المعلم تجاه عملية التدريس .	١٧٦
الثاني : مسئولية المعلم تجاه الارشاد والتوجيه	١٨١
الثالث : مسئولية المعلم تجاه البحث العلمي	١٨٤
مبادئ أو سمات المنهج العلمي و اصوله	
عند الامام النووي	١٨٦
أ - تحري الحقيقة في البحث	١٨٦
ب - عدم التعجل بالاجابه دائما	١٨٨
ج - عدم الاكتفاء بقدر معين من	
العلم	١٨٩

المفحة

الموضوع

١٩١	ثانيا : المتعلم أخلاقه وواجباته
١٩١	١ - أخلاقه وواجباته نحو نفسه
١٩٣	واجباته نحو نفسه
١٩٣	٢ - أخلاقه وواجباته مع درسه
١٩٤	واجباته نحو درسه
١٩٥	٣ - أخلاقه وواجباته مع استاذة
١٩٦	واجباته تجاه استاذة
١٩٨	ثالثا : معلم القرآن ومتعلمه
١٩٨	١ - آداب القرآن ومتعلمه
		الأول : الآداب العامة المشتركة بين معلم
١٩٨	القرآن ومتعلمه
٢٠٣		الثاني: آداب المتعلم في نفسه وشيخه ودرسه
٢٠٣	أ - آداب المتعلم في نفسه
٢٠٤	ب - آداب المتعلم مع شيخه
٢٠٦	ج - آداب المتعلم مع درسه
٢٠٩	٢ - آداب قراءة القرآن الكريم
٢١٧	٣ - آداب الناس مع القرآن الكريم

المفحة

الموضوع

٩ - الفصل الثالث :

- ٢٢١ ١ - نتائج البحث
- ٢٢٣ ٢ - التطبيقات التربوية
- ٢٢٦ قائمة المصادر والمراجع

الفصل الثماني

وليشتمل على :

- . مقدمة الدراسة وأهميتها
- . موضوع الدراسة
- . مبررات الدراسة
- . تساؤلات الدراسة
- . أهداف الدراسة
- . منهج الدراسة
- . حدود الدراسة
- . الدراسات السابقة

مقدمة الدراسة وأهميتها :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، والمبعوث رحمة للعاملين ، ومربي البشرية أجمعين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين .

وبعد : الدارس للتاريخ الاسلامي يلاحظ أن هناك قادة عظماء ومصلحين ، كان لهم أثر بالغ فى صناعة التاريخ والتأثير على مجتمعاتهم . ومن المفكرين الذين كان لهم دور بارز فى توجيه هذا التاريخ الإمام أبو زكريا يحيى بن شرف النووى الدمشقي (٦٣١ - ٦٧٦ هـ) ، والذي كان له أثر بالغ فى الثقافة الاسلامية والفكر الاسلامي . " فعلمناؤنا المسلمون الذين عنوا بالتربية أسسها وأساليبها وموضوعاتها يتميزون عن سواهم من العلماء بأن عنايتهم ليست عناية الباحث المنظر الذى يهتم (بمنطق) النظرية وتسلسلها وأحكامها ... بل كانوا - جميعا - يمارسون التربية [عمليا] كل يوم فى حلقات الدرس ويكتبون عنها - حين يكتبون - كتابة الممارس الواعي المدرك لأسباب نجاح عمل المربي وأثمار غرسه ، ولأسباب اخفاقه وعقمه " (١) .

وعلى الرغم من أن الامام النووي رحمه الله قد خاض فى معظم علوم عصره على اختلاف ألوانها ، إلا أنه لم يدرس تراثه من زاوية تربوية فلم يركز معظم الدارسين لهذه الشخصية الفذة على الجانب التربوي فيها . وهذه الدراسة تهدف الى الكشف عن الفكر التربوي فى شخصية الامام النووى ،

(١) حسن ابراهيم عبد العال ، فن التعليم عند بدر الدين ابن جماعة ، (الرياض : مكتب التربية العربى لدول الخليج ، ١٤٠٥) ، ص ٧ .

والتعرف على آرائه التربوية فى عصره " ذلك العصر الذى إسم بالفوضى السياسية ، وكثرة الاضطرابات والفتن والحروب ، فلقد اجتاحت التتـر بجيوشهم بلاد العالم الاسلامى بالاضافة الى الخطر الملىبى الذى كان يهدد المجتمع الاسلامى بين الحين والآخر ، هذا وقد التقى فى ذلك العصر (القرن السابع الهجرى) اقوام وأجناس مختلفون فى العادات والتقاليد والمذاهب والأخلاق والأفكار ، لذلك كان مجتمعنا متنافرا بعيدا عن التجاذب والترابط فقد كان كل جنس من أجناس المجتمع يعمل لنفسه ولمذهبه وعقيدته ولتقاليده التى توارثها من بيئته الأولى"^(١) وكذلك ظهرت الصراعات العنيفة والغدر والقتل وبخاصة بين الحكام فى العصر المملوكى .

ونجد خلال القرنين السادس والسابع الهجريين قد " انتشر التعصب المذهبي من الفرق الاسلامية واستحكم ، ... وبذلك تقرر التقليد كقاعدة لاتقبل المناقشة ، وكان من نتيجة ذلك انتشار التعصب المذهبي بـ الجماعات والمذاهب ، وصارت الدروس تلقى ، والمؤلفات تكتب نصرة للمذاهب المتبعة ، أو تفنيدا للمخالفة "^(٢) . ولقد وجه هذا التعصب المذهبي مؤسسات التعليم التى انتشرت فى تلك الفترة ، فانقسمت الى مدارس تدرس المذاهب الأربعة كل مدرسة بمذهب معين ، وتعدى ذلك الى الأربطة والزوايا أيضا .

(١) سعيد صادق محمد ، شيخ الاسلام ابن تيمية امام السيف والقلم (الرياض : دار اللواء ، ١٤٠٠ هـ) ص ٢٢ - ٣١ .

(٢) ماجد عرسان الكيلانى ، الفكر التربوى لابن تيمية ، ط ٢ ، (المدينة المنورة : مكتبة دار التراث ، ١٤٠٧ هـ) ، ص ٤١ - ٤٢ .

ونجد خلال عهد المماليك " أن هذا التعصب المذهبي قد ازداد، حيث عززت ظاهرة المذهبية بسلطة الحاكمين ومراسيم الدولة . من ذلك ما فعله الملك الظاهر بيبرس حين أصدر أوامراً فيها تعصب مذهبي وتشدد وتضييق خدمة للسنة ومذاهبها . الأمر الذى أدى إلى الإفراط والجمود الفكرى وحصر المناهج فى العلوم الدينية " (١).

ولم يكن عصر الامام النووى والحال هكذا " عصر تجديد وابتكار فكرى ، بل اتسم عصره بعكوف العلماء فيه على ما وصل اليهم من تراث أسلافهم ، فاعملوا عقولهم فى شرحه وبسطه فى مطولات وموسوعات، وأجهدوا أنفسهم باختصاره فى متون وملخصات ، تركّز على الأفكار الأساسية فى كل علم ، أو الاضافة الى ما وصل اليهم " (٢) . ومع ذلك فقد كان للامام النووى آراء ذات قيمة كبيرة فيما يتعلق بالتعليم بالاضافة الى أنها تدل على " أن لتراثنا التربوى قيمة تستحق بذل الجهد فى الكشف عنها ، وأن لأسلافنا من العلماء قصب السبق فى كثير من مجالات الدراسات التربوية " (٣).

وتكمن أهمية هذه الدراسة فى الاسهام بشكل متواضع فى اشارة اهتمام الباحثين التربويين بموضوع دراسة تراثنا التربوى والكشف عنه ، وأن تكون هذه الدراسة حافزا لمزيد من البحوث فى هذا المجال الحيوى الهام والمجالات الأخرى .

(١) سعيد عاشور ، مصر فى عهد المماليك البحرية (القاهرة : مكتبة

النهضة ، ١٩٥٩ م) ، ص ١٨٥ .

(٢) حسن عبد العال ، فن التعليم عند بدر الدين ابن جماعة "مرجع سابق " ، ص ٢٠٦ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٤ ، ١٥ .

أما أهمية الدراسة الخاصة فتهدف الى الكشف عن الفكر التربوي

عند الامام النووي والتعرف على آرائه التربوية في عصره .

والله أسأله التوفيق والسداد وهو حسبي ونعم المعين .

والحمد لله رب العالمين ،،

موضوع الدراسة :

إن موضوع الدراسة هو الكشف عن بعض آراء الامام النووي التربوية
لذا سوف يحاول الباحث من خلاله إبراز الآراء التربوية في فكر هذا العالم
الجليل وذلك من خلال بعض كتبه القيمة وهي :

١ - مقدمة كتاب المجموع شرح المذهب .

٢ - التبيان في آداب حملة القرآن .

وكذلك بعض كتابات من كتبوا عنه .

ويمكن إبراز مبررات الدراسة في النقاط التالية :

أولا : البحث عن الآراء التربوية للامام النووي والتي لم تنل
نصيبها الوافي في مجال البحث العلمي .

ثانيا : محاولة الاسهام بهذه الدراسة في دراسة التراث الاسلامي
التربوي لفترة من فترات التربية الاسلامية الهامة ، وتجليته
للأجيال القادمة .

تساؤلات الدراسة :

ويمكن حصر السؤال الرئيس للدراسة في التالي :

ما الآراء والأفكار التربوية للامام النووي من خلال بعض مؤلفاته ؟

ويتفرع عن هذا السؤال الاسئلة التالية :

- ما أغراض التعليم عند النووي ؟

- ما موقف الامام النووي من العلوم غير الشرعية فى عصره ؟
- ما مدى ارتباط منهج الاصلاح العام عند النووي بمنهجه التربوى ؟
- ماهى اخلاقيات المعلم والمتعلم فى نظره ؟
- ما أهم طرق التدريس والدراسة فى نظره ؟

أهداف الدراسة :

- ١ - معرفة مدى مساهمة النووي فى الفكر التربوى الاسلامى .
- ٢ - توضيح أغراض التعليم عند النووي .
- ٣ - اظهار مدى اهتمام النووي بالعلم والحث عليه ، وبيان موقفه من العلوم غير الشرعية فى عصره .
- ٤ - بيان أهم صفات المعلم والمتعلم عند النووي .
- ٥ - معرفة أهم طرق التدريس والدراسة التى كانت سائدة فى عصره ووجهة نظره فيها .

منهج الدراسة :

لما كان موضوع الدراسة لفكر شخصية اسلامية تربوية فى فترة من فترات التاريخ الاسلامي ، فان الباحث سوف يستخدم فى دراسته منهجيه ————— هما :

أولا : المنهج التاريخى " وهو المنهج الذى يصف ويسجل مامضى من وقائع وأحداث فى الماضي ، ثم يدرس هذه الوقائع والأحداث

ويحللها ويفسرهما على أسس منهجية علمية دقيقة بقصد التوصل الى حقائق وتعميمات تساعد على فهم الحاضر والتنبؤ بالمستقبل " (١) .

لذا سوف يستخدم الباحث هذا المنهج فى دراسة ترجمة تلك الشخصية التربوية ، وكذلك عصره الذى عاش فيه من جميع النواحي السياسية والاجتماعية والفكرية مع محاولة ربط ذلك بالقوى التى أثرت فيها ، وذلك بالرجوع الى المصادر الأولية المختلفة بالإضافة الى الاستعانة بالمصادر الثانوية ذات العلاقة بموضوع الدراسة .

ثانيا : المنهج الاستنباطي : " وهو المستخدم لدى علمائنا فى العلوم الشرعية وغيرها ، ويعرف تارة بالمنهج الأصولى وذلك بتجزئة الكل الى أجزاءه الذى يتألف منها ، ودراسة كل جزء منها دراسة خاصة به " (٢) ويقوم على تحليل النصوص وتفسيرها والجمع بينها ، واستخراج واستنباط الدلالات والأفكار التربوية منها من خلال بعض مؤلفات المفكر الاسلامي الامام النووي رحمه الله تعالى مثل كتاب التبيان فى آداب حملة القرآن، ومقدمة كتاب المجموع شرح المذهب وذلك بقصد الخروج بنتائج ومقترحات تساعد على توجيه التربية المعاصرة .

-
- (١) جابر عبد الحميد ، أحمد خيرى كاظم ، مناهج البحث فى التربية وعلم النفس ، ط ٢ (القاهرة : دار النهضة العربية ، ١٩٧٨) ص ١٠٤ .
- (٢) يوسف مصطفى القاضى ، مناهج البحوث وكتابتها ، (الرياض : دار المريخ ١٤٠٤ هـ) ، ص ٨٩ .

حدود الدراسة :

يعنى الباحث فى هذه الدراسة بالمبادئ والأفكار التربوية للإمام النووى رحمه الله تعالى من خلال بعض كتبه المتعلقة بالتربية كما سيستفيد الباحث من بعض الكتب التى تناولت هذه الشخصية بالدراسة والترجمة .

وسوف يقتصر الباحث فى دراسته على الكتابين التاليين :

- ١ - مقدمة كتاب المجموع شرح المذهب ج ١ .
- ٢ - التبيان فى آداب حملة القرآن .

ويرجع سبب اختيار هذين الكتابين إلى مايلى :

- ١ - مقدمة كتاب المجموع شرح المذهب . لأن هذه المقدمة " قد اختصرها الإمام النووى من مؤلفات عديدة سابقة . وتشغل أكثر من (٩٠) صفحة من القطع المتوسط " (١) ، ولقد اعتمد عليها بعض العلماء الذين اشتغلوا بالتربية والتعليم أمثال " ابن جماعة " (٢) (٦٣٩ - ٧٣٣ هـ) والعموي (ت ٩٨١ هـ) وهى فى الواقع ذات جوانب تربوية متعددة وتشتمل على آراء تربوية . ومن أمثلة ذلك أبواب هذه المقدمة وفصولها منها :

- (١) فعل فى فضيلة الاشتغال بالعلم وتصنيفه وتعلمه وتعليمه والحث عليه والارشاد الى طريقه .

(١) نذير حمدان : " فى التراث العربى التربوى " ، مجلة الفيصل ، العدد ٧٠ (ربيع الآخر ١٤٠٣ هـ) ، ص ١٢١ .

(٢) حسن ابراهيم عبد العال ، فن التعليم عند بدر الدين ابن جماعة ، " مرجع سابق " ، ص ٢٣٦ - ٢٣٧ .

- (٢) باب أقسام العلم الشرعي .
- (٣) باب آداب المعلم .
- (٤) باب آداب المتعلم وغير ذلك .

٢ - التبيان فى آداب حملة القرآن نجد أن العلماء قد كتبوا فى هذا الموضوع كتباً كثيرة وتوسعوا فيها ، فجاء الامام النووي فجمع فى هذا المختصر آداب حملة القرآن ، وأوصاف حفاظه وطلبته وآداب المعلمين والمتعلمين ، وآداب حامل القرآن ، وآداب القراءة ، وآداب الناس كلهم مع القرآن وغير ذلك (١) . فجاء هذا الكتاب مختصراً مفيداً لطلاب العلم ودارسي القرآن . ومن خلال ماسبق يتبين أن الكتاب له صلة وثيقة بالتربية ولذا اخترته ضمن موضوع دراستى .

أما بقية مؤلفات الامام النووي فانها كتب لها صلة وثيقة بالفقه ومضطلع الحديث واللغة دون التركيز على التربية فلذلك اقتصرنا على الكتابين السابقين ذكرهما فقط .

الدراسات السابقة :

أما الدراسات السابقة التى دارت حول شخصية الامام النووي فهى على النحو التالى :

- (١) النووي ، يحيى بن شرف ، التبيان فى آداب حملة القرآن ، تحقيق عبد القادر الارناؤوط ، ط ١ ، (دمشق : دار البيان ، ١٤٠٥ هـ) ص ٩ .

١ - الامام النووي ويتحدث فيه مؤلفه^(١) عن الامام النووي وترجم له ترجمة وافية عن حياته وسيرته ، وشيوخه ، ومؤلفاته ، ومن أخلاقه ، حتى وفاته دون أن يتطرق المؤلف الى الجانب التربوي له .

٢ - الامام النووي ويتحدث فيه مؤلفه^(٢) عن الامام النووي بشكل مختصر ، وقد تناول فيه حياته الشخصية مثل : أخلاقه وسيرته ، وزهده ، وطعامه ، لباسه ، أساتذته ، دراسته ، مؤلفاته ، وفاته دون أن يتحدث المؤلف عن الجانب التربوي له .

وعلى ضوء ما تقدم ، نجد أن الدراستين السابقتين قد تناولتا شخصية الامام النووي رحمه الله من خلال الترجمة له فحسب ، شأنها في ذلك شأن كتب التراجم المعروفة ، فهما لم يتناولاه من الناحية التربوية .

وخلاصة القول :

أن جميع الدراسات السابقة لشخصية الامام النووي لم تتطرق البتة الى آرائه وأفكاره التربوية ، وهذا ما يميز دراسة الباحث عن الدراسات السابقة . والله أعلم .

(١) عبد الغنى الدقر ، الامام النووي ، ط ٢ (دمشق : دار القلم ، ١٤٠٠ هـ)

ص ٢٠٧ - ٢٠٨ .

(٢) على الطنطاوى ، الامام النووي ، ط ٢ (دمشق : دار الفكر ، ١٣٩٩ هـ)

، ص ٦١ - ٦٢ .

الكتاب الأول

الكتاب الأول والنور وعصره والنزى حاشى فيه

الفصل الأول

أولاً : عصره

الناحية السياسية
الناحية الاقتصادية
الناحية الاجتماعية
الناحية الفكرية

ثانياً : حياة الإمام النجاشي وسيرته

- إسمه وكنيته
- مولده
- نشأته
- تعليمه
- شيوخه
- تلاميذه
- أخلاقه
- مكانته
- وفاته



الباب الأول

الإمام النووي وعمره الذي عاش فيه

الفصل الأول

أولا - عمره

١ - الحياة السياسية في عصر الامام النووي

عاش الامام النووي - رحمه الله - خمسة وأربعين عاما امتدت من أواخر العصر الأيوبي حتى نهاية حكم الملك الظاهر بيبرس في عهد دولة المماليك البحرية . وقد شهدت هذه الفترة أحداثا جساما كان لها الأثر الكبير في تشكيل الحياة بجوانبها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والإخلاقية . ومن أبرزها سقوط الدولة الأيوبية وقيام دولة المماليك ، ثم اشتدت الحروب بين الصليبيين والمسلمين في مصر والشام . وكذلك كان من أبرزها أيضا غزو التتار المروغ وتدميرهم لبغداد وانهاؤهم الخلافة العباسية فيها وزحفهم المخيف الى مصر والشام . وقد منّ الله على المسلمين بهزيمتهم للتتار وكسرهم قوتهم على يد أحد سلاطين المماليك وهو الملك المظفر قطز في عين جالوت^(١) في يوم الجمعة الخامس والعشرين من رمضان سنة ثمان وخمسين وستمائة^(٢) مما أدى الى التماسهم الملح وتحسين علاقتهم بالمماليك .

(١) عين جالوت : بلدة بين بيسان ونابلس من أعمال فلسطين . ياقوت عبد الله الحموي ، معجم البلدان ، ٤ (بيروت : دار صادر ، ١٩٧٧) ص ١٧٧ .
(٢) تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي المقرئ ، كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، المعروف بخط المقرئ (مصر : دار التحرير للطبع والنشر ، ١٩٦٨) ج ٣ ، ص ٩٣ .

وسنتناول بايجاز أهم هذه الاحداث السياسية التى عاشها الامام
النووي (٦٣١ - ٦٧٦ هـ) والتى أثرت تأثيرا مباشرا على كل نواحى الحياة
فى عصره وأهمها :

أولا - سقوط الدولة الأيوبية وقيام دولة المماليك :

واجهت الدولة الأيوبية ظروفًا داخلية وخارجية أدت إلى سقوطها
وقيام دولة المماليك ، ومن تلك العوامل الداخلية : ضعف ملوك الدولة
الأيوبية بينما تقوى ممالكهم مما جعل لهم السلطان والنفوذ والقوة فيما
بعد " والصراع على الحكم مما أدى إلى نشوب الحروب بينهم ، وكذلك نتيجة
تفرقهم واختلافهم فضلا على انغماسهم فى الترف والملذات ، إلى جانب محاولة
الصليبيين المستمرة إشعال الحرب ضدهم فى الشام ومصر . مما أدى إلى
انهكهم والتعجيل بنهاية حكمهم وقيام دولة المماليك مكانهم . ويقول
المؤرخ ابن كثير فى وصف حالة ملوك بنى أيوب : " استهلت هذه
السنة (٦٢٦ هـ) وملوك بنى أيوب مفترقون ، ومختلفون ، قد صاروا أحزابا
وفرقا " (١) .

ومما زاد الوضع سوء هو تدبير توران شاه للأمور وأخذه فى إبعاد
رجال الدولة ، وعزل أمراء المماليك من أعوان أبيه وولى غيرهم من أتباعه
عندما رأى عظم شأن قادة المماليك فأخذ يفكر فى التخلص منهم ويقول
عنه ابن تغرى بردى : " كذا افعل بالبحرية - يعنى ممالك

(١) اسماعيل بن عمر بن كثير ، البداية والنهاية فى التاريخ (بيروت :

أبيه باسمائهم - واهانهم وقدم الارذال وابعده الاماثل (١) " . ولم يكتف بذلك بل دأب على ان يهاجم زوجة أبيه شجرة الدر فبعث يهددها فخافت منه . إلا أن المماليك قتلوه فى يوم الاثنين السابع والعشرين من المحرم سنة ثمان واربعين وستمائة (٢) . وعينوا بدلا عنه شجرة الدر التى تزوجت بعد وفاة زوجها الاول بعز الدين ايبك وهو من المماليك . وبذلك انتهى عهد الايوبيين فى مصر بعد حكم دام واحدا وثمانين عاما ، وأصبح المماليك أصحاب السلطة الفعلية فى البلاد (٣) .

وقد ازدادت شوكة المماليك وسلطانهم منذ عهد الملك الصالح نجم الدين أيوب ، والذى استعان بهم لنزع الملك من اخيه العادل ، حيث قاموا بقتله بأيديهم خنقا (٤) . وبعد ذلك جعلهم معظم عسكره ، واسكنهم فى قلعة الروضة على النيل حيث سموها فيما بعد بالبحرية . يقول المقرئى : ان الملك الصالح نجم الدين ايوب هو " اول من استكثر من المماليك من ملوك البيت الايوبى ، وجعلهم معظم عسكره ... فصاروا بطانته وسماهم البحرية لسكناهم فى قلعة الروضة على بحر النيل (٥) " .

-
- (١) جمال الدين ابو المحاسن يوسف بن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة (القاهرة : المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، د . ت) ج ٦ ، ص ٣٧٠ - ٣٧١ ، احمد بن على المقرئى السلوك لمعرفة دول الملوك (القاهرة : مطبعة دار الكتب ، ١٩٣٦) ج ١ القسم الثانى ، ص ٣٥٨ - ٣٥٩ .
- (٢) المرجع السابق ، ج ٦ ، ص ٣٧٢ .
- (٣) المقرئى ، السلوك " مرجع سابق " ج ١ ، القسم الثانى ، ص ٣٦١ .
- (٤) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة " مرجع سابق " ، ج ٦ ، ص ٣١٢ .
- (٥) المرجع السابق ، ج ٦ ، ص ٣٣١ ، المقرئى ، السلوك " مرجع سابق " ج ١ القسم الثانى ، ص ٣٤٠ .

ويرجع السبب فى سكتاهم القلعة وحبسهم عن مخالطة الناس لأنهم عاشوا فى الأرض فسادا ، ولحق آذاهم الناس أجمعين كما يروى عن المقريزى فى خطته (١) .

وما زاد من نفوذهم ما أبلوه من شجاعة فائقة فى قتالهم للصليبيين الذين تسرب اليهم نبأ وفاة الملك الصالح نجم الدين أيوب ، فأسرعوا بقيادة لويس التاسع بتوجيه ضربة قوية للمسلمين ، الذى زحف بجيشه الى دمياط فخف اليهم جيش المماليك يعاضده جمع عظيم من الناس ، ولقد حاصر المسلمون الصليبيين وقتلوهم مقتلة عظيمة ، وأسروا الفارين منهم ، وكان معظم الحرب فى فارسكور ، ولقد أبلت الطائفة البحرية بلاء حسنا ولاسيما بيبرس البندقدارى . ثم التجأ لويس التاسع وعدد من أكابر قومه الى تل المنية وطلبوا الأمان ، فأمنهم الطواشى جمال الدين محسن الصالحى ونزلوا على أمانه ، ثم أخذوا الى المنصورة فنزل لويس التاسع فى دار قاضيها فخر الدين ابن لقمان (٢) وكذلك ما كان من شأن المماليك وانتصارهم على التتار النصر المؤزر فى عين جالوت بشمال فلسطين سنة ٦٥٨ هـ (١٢٦٠ م) . كل ذلك فيما سبق وضع المماليك فى مكان الصدارة ومكنهم من قيام دولتهم القوية . وهكذا تولى سلاطينهم حكم البلاد سلطانا اثر سلطان .

وستتناول بشيء من الاسهاب عصر الملك الظاهر بيبرس لان الامام النووى قد عاش مدة حكمه والتى امتدت من سنة ثمان وخمسين وستمائة الى سنة

(١) المقريزى ، الخطط " مرجع سابق " ، ج ٣ ، ص ٩٢ .

(٢) المقريزى ، السلوك " مرجع سابق " ، ص ٣٥٥ - ٣٥٦ .

وسبعين وستمائة للهجرة - اى ثمانية عشر عاما - وقد ال الحكم الى بيبرس بعد قتله للسلطان المظفر قطز عند عودته من دمشق متوجها الى مصر بعد هزيمته للتتار فى عين جالوت (١) . ولقد واصل السلطان الظاهر بيبرس حروبه ضد الممتلكات الصليبية باستمرار من سنة ٦٦١ هـ (١٢٦١ م) حتى سنة ٦٧٦ هـ (١٢٧٧ م) . كما استولى على عدد من المدن الهامة مثل قيساريه ، وأرسوف ، صفد ، كما اغار على ارمينية الصغرى وقلقييه حتى بلغ طرسوس وصالح ملكها ، واستولى كذلك على انطاكية سنة ١٢٦٨ م ، وترتب على سقوطها انهيار الروح المعنوية لدى الصليبيين ، فاستسلم حصن الاكراد ، وسقط حصن مرقب ، كما حرص هيو الثالث ملك قبرص وبيت المقدس على أن يحصل سنة ٦٦٦ هـ (١٢٧٢ م) على معاهدة عدم اعتداء لمدة عشر سنوات (٢) .

وهناك حقيقة كبرى وهى " ان طرد الصليبيين نهائيا من الشام فى أواخر القرن السابع الهجرى (الثالث عشر للميلاد) ضاعف من أهمية العامل البحرى فى شرق البحر المتوسط لانه جعل الحروب الصليبية تتحول من معارك برية الى معارك بحرية (٣) " .

(١) المقرئى ، الخطط والاثار " مرجع سابق " ، ج ٢ ، ص ٢٣٨ .

(٢) بدر الدين محمود العينى ، عقد الجمان فى تاريخ اهل الزمان ،

م ٥٥ (صورة شمسية بدار الكتب المصرية ، برقم ١٥٨٤) ص ٥١٥ ،

٥٢٥ ، ٥٣٩ .

(٣) سعيد عبد الفتاح عاشور ، مصر والشام فى عصر الايوبيين -

والممالك (بيروت : دار النهضة العربية ، ١٩٧٢) ، ص

وهكذا زال الخطر الصليبي كما زال الخطر التتري عن البلاد المملوكية في الشام ، وأخذت دولة سلاطين المماليك تستقر في مصر . ومما زاد في استقرار الأمور كذلك نجاح الملك الظاهر بيبرس في "التخلص من طائفة الاسماعيليين (١) والاستيلاء على معاقلها في المينقة والقدموس والكهف (٢)" وقد كانت مصر وبلاد الشام التابعتان لدولة المماليك قبل ذلك تعانيان من عدم الاستقرار وكثرة الاضطرابات ، وهذه صفة لم تمنح أحدا من السلاطين فترة طويلة من الحكم . ومن النادر أن نجد منهم من مات ميتة طبيعية بسبب كثرة الانقلابات والفتن ومحاولات الوصول الى السلطة بالقوة العسكرية . ولقد صاحب هذا الاضطراب في السلطة اضطراب في الوظائف الكبرى في الدولة مثل القضاء وغيرها (٣) .

ولقد احتل الملك الظاهر بيبرس - خليفة قطز - مكانة بارزة في تاريخ دولة المماليك ، لما قام به من أعمال داخلية وخارجية عظيمة جعلت

(١) الاسماعيلية : طائفة من الشيعة منتسبة الى اسماعيل بن جعفر الصادق ، وهم يسمون أنفسهم أصحاب الدعوة الهادية .

(٢) المينقة : هي قلعة بالقرب من الكهف على نحو ساعة على جبل مرتفع .
القدموس : قلعة بالقرب من الخوابي (قلعة في جهة الشمال من طرابلس .

الكهف : هي قلعة بالقرب من القدموس على نحو ساعة على نشز جبل مرتفع عال يرى على بعد .

(٢،١) ابي العباس احمد بن علي القلقشندي ، صبح الاعشى في صناعة الانشا .

ج ٤ (المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ،

د . ت) ص ١٤٦ - ١٤٧ .

(٣) ماجد الكيلاني : الفكر التربوي عند ابن تيمية ، المدينة المنورة : مكتبة دار التراث ، ١٤٠٧ هـ) ، ص ٦٦ .

منه المؤسس الحقيقي لتلك الدولة ، ولان الفترة الطويلة نسبيا التى قضاهـا
فى الحكم مكنته من القيام بتلك الاعمال .

ومن ابرز اعماله الجليلة ماياتى :

- ١ - احيائه الخلافة العباسية فى القاهرة بوصفها رمزا للمسلمين
يجتمعون عليه ، وكان بيبرس " يرمى من وراء ذلك الى ان يقوى
عرشه فى مصر ، ويجعله حكما شرعيا فى البلاد فتحقق له ما أراد
بتفويض رسمى من الخليفة العباسى الجديد المستنصر بالله سنة
٦٥٩ هـ (١٢٦٠ م) (١) .
- ٢ - " تطوير شئون بلاده وتنمية مواردها ، فحفر الترغ وأصلح القنوات
وأقام الحصون وشيد المباني وبنى المساجد ، وأسس المعاهد
والمدارس واهتم بالعلوم والمعارف " (٢) .
- ٣ - تنظيم الجيش المملوكى ، وتعبئة فرق حربية مساعدة من الاعراب
وتجديد بناء الاسطول المصرى والعناية به (٣) .
- ٤ - استحداث وظائف ونظم ادارية (٤) مثل قيامه مع كل مذهب
من المذاهب الاربعة قاضيا مستقلا وقاضى قضاة فى ذلك المذهب .

-
- (١) محمد جمال الدين سرور ، دولة الظاهر بيبرس فى مصر (القاهرة : دار الفكر
العربى ، ١٩٦٠) ، ص ٥١ - ٥٥ .
 - (٢) المملكة العربية السعودية ، وزارة المعارف . التاريخ الاسلامى للصف
الثانى المتوسط (جدة : دار الاصفهاني ، ١٤٠٨ هـ) ، ص ١٢٥ .
 - (٣) سعيد عبد الفتاح عاشور ، مصر فى عصر دولة المماليك البحرية (القاهرة :
مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٩) ، ص ٥٩ .
 - (٤) ——— ، مصر والشام فى عصر الأيوبيين والمماليك " مرجع سابق " ، ص ١٨٧ .

٥ - ابطال الخمر ونفى الفساق من البلاد .

ويذكر لنا المؤرخ ابن كثير بعض هذه الأعمال الجليلة فيقول " بنى جوامع كثيرة ومساجد عديدة... وبنى بدمشق القصر الأبلق والمدرسة الظاهرية وغيرها ، وله من الآثار الحسنة والاماكن [المباني العامة] مالم يبن فى زمن الخلفاء وملوك بنى أيوب ، مع اشتغاله بالجهاد فى سبيل الله واستخدام الجيوش ، وكذلك أقام مع كل مذهب قاضيا مستقلا قاضى قضاة ، وأبطل الخمر ونفى الفساق من البلاد " (١) .

وعلى الرغم من أعمال الملك الظاهر بيبرس الجليلة التى سبق ذكرها إلا أن له بعض المساوئ فمنها مايرويه المقرئى فى خططه فيقول : " كان ملكا جليلا ، عسوقا عجولا ، كثير المصادرات لرعيته ودواوينه " (٢) ، ويروى أيضا فى كتابه السلوك قوله : " أنه كان كثير المصادرات للدواوين ، كثير الجباية للأموال من الرعية " (٣) . وعلى الرغم من ذكر المقرئى لبعض المساوئ للملك الظاهر بيبرس ، إلا أنه وصفه بقوله : " وبالجملة فلقد كان من خير ملوك الاسلام " (٤) وكذلك نجد أن ابن كثير يثنى على الملك الظاهر بيبرس فيقول : " وقد كان الملك الظاهر بيبرس شهما شجاعا على الهمة بعيد الغور مقداما جسورا

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية " مرجع سابق " ، ج ١٣ ، ص ٢٧٥ -

٢٧٦ .

(٢) المقرئى ، ج ٣ ، ص ٢٠٩ .

(٣) المقرئى ، السلوك لمعرفة دول الملوك " مرجع سابق " ج ١ القسم

الثانى ، ص ٦٤٠ .

(٤) المرجع السابق، ج ١ القسم الثانى ، ص ٦٤١ .

معتنيا بامر السلطنة ، يشفق على الاسلام ، متحليا بالملك ، له قصد صالح فى نصره الاسلام وأهله (١) . وأما السيوطى فيقول نقلا عن الذهبى : " كان الظاهر خليقا بالملك لولا ماكان فيه من الظلم . قال " والله يرحمه ويغفر له ، فان له أياما بيضاء فى الاسلام ، ومواقف مشهودة وفتوحات عديدة (٢) " .

وتوفى الملك الظاهر بيبرس فى يوم الخميس بعد الظهر فى السابع والعشرين من المحرم بدمشق بالقصر الابلق سنة ست وسبعين وستمائة ، وحضر نائب السلطنة عز الدين ايدمر وكبار الامراء ورجال الدولة ، فصلوا عليه سرا . وقد استمرت حياته من يوم الاحد سابع عشر ذى القعدة سنة ٦٥٨ هـ " (٣) .

واخيرا فقد اتمفت الحياة السياسية فى عصر سلاطين المماليك بانها كانت حياة صاخبة وغير مستقرة الحال ، حيث انه لم تخل جميع عهود المماليك من ثورات وفتن سياسية داخلية مصدرها طوائف المماليك انفسهم الذين يعتقدون أن لهم حقا مشروعا فى تولي السلطة لأنه لا يوجد نظام وراثي أو قاعدة معينة لاختيار السلاطين فى عصر المماليك لحكم البلاد ، وبالتالي فقد تطلع كبار الامراء دائما للوصول الى منصب السلطة مما ادى الى ظهور كثير من الفتن والثورات والاضطرابات التى شهدها ذلك العصر طوال فترة حكمهم فاصبح ذلك العصر يتصف الى حد ما بطابع معين من عدم الاستقرار السياسى والاقتصادى والاجتماعى (٤) .

وخلاصة القول ان الفترة التى عاشها الامام النووى قد امتازت بنوع من الاستقرار منذ عصر السلطان الظاهر بيبرس الذى يعتبر المؤسس الحقيقى لدولة المماليك والذى استطاع ان يتخلص من مناوئيه من امراء المماليك فى مصر ،

- (١) ابن كثير، البداية والنهاية " مرجع سابق "، ج ١٣، ص ٢٧٥ .
- (٢) جلال الدين عبد الرحمن بن ابى بكر السيوطى ، حسن المحاضرة فى اخبار مصر والقاهرة ط ١، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، (مصر : دار احياء الكتب العربية ، ١٩٦٨) ج ٢ ، ص ١٠٥ .
- (٣) ابن كثير ، البداية والنهاية " مرجع سابق " ج ١٣، ص ٢٧٤ - ٢٧٥ .
- (٤) على سالم النباهين ، نظام التربية الاسلامية فى عصر دولة المماليك فى مصر ، ط ١ (القاهرة : دار الفكر العربى ، ١٩٨١) ، ص ١٢٨ - ١٢٩ .

والايوبيين بالشام ، وكذلك نجح فى القضاء على طائفة الاسماعيلية والاستيلاء على معاقلها ، مما زاد الامور استقرارا بالداخل فى مصر والشام . واما فى الخارج فقد استطاع القضاء على الخطر الصليبي والتتري اللذين كانا يهددان البلاد الاسلامية دائما . وعلى كل حال فهو عهد ميمون وان كان فيه بعض الهنات (١) .

ثانيا : نهاية الخلافة العباسية فى بغداد :

قد واجه العالم الاسلامى فى القرن السابع الهجرى كارثة يندر نظيرها فى تاريخ العالم وهو زحف التتار نحو الشرق وسيطرتهم على بعض العالم الاسلامى كله (٢) ، وقد كانت الخلافة العباسية فى عهد الخليفة المستعصم بالله تعاني من آلام الموت بعد ان اعتراها الضعف الشديد بسبب الانقسامات المذهبية والنقمة الداخلية ، وسيطرة الامراء على الخلافة وشؤونها . ولذلك لم تستطع الخلافة العباسية الثبات فى وجه الغزو المغولى سنة ٦٥٦ هـ . وفشلت جهود الخليفة المستعصم العباسى آخر خلفاء بنى العباس فى توحيد جهود الايوبيين فى الشام والمماليك فى مصر أثناء ذلك الخطر (٣) .

ولقد اقتحم التتار بغداد ووقعت الكارثة باستيلاء هولاكو عليها ، وقتله المسلمين فى مذبحة مروعة استمرت اربعين يوما ، ثم أشعل فيها النيران لتأتى على كثر من الحضارة الاسلامية . ويصف لنا المؤرخ ابن كثير

(١) عبد الغنى الدقر ، الامام النووى ، " مرجع سابق " ، ص ١١ .

(٢) ابو الحسن على الحسنى الندوى ، رجال الفكر والدعوة فى الاسلام ، ط ٥ (الكويت : دار القلم ، ١٩٧٧) ، ص ٢٨٥ .

(٣) سعيد عبد الفتاح عاشور ، العصر المماليكى فى مصر والشام ، ط ٢ (القاهرة : دار النهضة العربية ، ١٩٧٦) ، ص ٢٧ .

هذه المذبحة فيقول ابن كثير :

" وما زال السيف يقتل أهلها أربعين يوما ، ... ولما انقضى الامر المقدور وانقضت الأربعون يوما ، بقيت بغداد خاوية على عروشها ليس بها أحد الا الشاذ من الناس ، والقتلى فى الطرقات كأنها التلول ، وقد سقط عليهم المطر فتغيرت صورهم ، وأنتنت من جيفهم البلد ، وتغير الهواء ، فحصل بسببه الوباء الشديد حتى تعدى وسرى فى الهواء الى بلاد الشام ، فمات خلق كثير من الناس من تغير الجو وفساد الريح ، فاجتمع على الناس الغلاء والوباء والفناء " (١) .

ويمف كذلك تاج الدين السبكي تلك المذبحة المروعة بقوله :

" فانزل (هولاكو) الخليفة (المستعصم) فى خيمة ، ثم دخل الوزير [ابن العلقمي الرافضى] فاستدعى الفقهاء والأماثل ليحضروا العقد [أى ابرام عقد المصالحة المزعوم بين الخليفة وهولاكو كما أشار بذلك الوزير على الخليفة] ، فخرجوا من بغداد فضربت أعناقهم وصار كذلك يخرج طائفة بعد طائفة فتضرب أعناقهم ، ثم طلب حاشية الخليفة فضرب أعناق الجميع ، ثم طلب أولاده فضرب أعناقهم ، وأما الخليفة فقيـل لهولاكو أن هذا ان أريق دمه تظلم الدنيا ويكون سبب خسراب ديارك ، فقام نعيم الدين الطوسي وقال : يقتل ولا يراق دمه ، فقيـل ان الخليفة غم فى بساط ، وقيل رفسوه حتى مات " (٢) .

(١) ابن كثير : البداية والنهاية " مرجع سابق " ، ج ١٣ ، ص ٢٠٣ .

(٢) تاج الدين ابو نعيم عبد الوهاب تقي الدين السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، ط ١ تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ، محمود محمد الطناحي ، القاهرة : عيسى البابى الحلبي وشركاه ، ١٣٨٣ هـ ، ج ٨ ، ص ٢٧٠ - ٢٧١ .

وكان قتل الخليفة المستعصم بالله أمير المؤمنين يوم الأربعاء الرابع عشر من شهر صفر^(١). ولم ينج من هذه المذبحة كما يقول ابن كثير: "سوى أهل الذمة من اليهود والنصارى، ومن التجأ اليهم وإلى دار الوزير ابن العلقمي الرافضي^(٢)، وطائفة من التجار أخذوا لهم أماناً بذلوا عليه أموالاً جزیلة حتى سلموا وسلمت أموالهم، وعادت بغداد بعدما كانت آنس المدن كلها كأنها خراب ليس فيها إلا القليل من الناس، وهم في خوف وجوع وذلة وقلة"^(٣).

وقد واصل هولاكو مسيره شمالاً، فاستولى على حلب سنة ٦٥٨ هـ وأعمل في أهلها السيف هو وجيشه كما فعلوا بأهل بغداد من قبل^(٤). ثم "تقدموا إلى دمشق واستولوا عليها في شهر جمادى الأولى سنة ٦٥٨ هـ"^(٥) وأخيراً توجه التتار بعد ذلك إلى غزة في طريقهم إلى مصر التي كان يحكمها آنذاك علي ابن ايبك وكان صبياً صغيراً لا يحسن تدبير الملك في هذا الموقف العسير.

-
- (١) ابن كثير "مرجع سابق" ج ١٣، ص ٢٠٢.
- (٢) الوزير العلقمي هو محمد بن أحمد بن علي وزير المستعصم الخليفة، وماحب الجريمة في مماله هولاكو اشتغل بالادب وارتقى إلى مرتبة الوزارة توفى سنة ٦٥٦ هـ - المرجع، "الزركلي، الاعلام ٢١٦/٦.
- (٣) ابن كثير، البداية والنهاية "مرجع سابق"، ج ١٣، ص ٢٠٢.
- (٤) المرجع السابق، ص ٢١٨؛ المقرئزي، السلوك "مرجع سابق" ج ١ القسم الثاني، ص ٤٢٢.
- (٥) ابو الحسن الندوي، رجال الفكر والدعوة في الاسلام "مرجع سابق"، ص ٣٠٤.

فاستغل أتابكة قطز خطورة الموقف للوصول الى الحكم ، فعزل قنزع علي بن ايبك وتولى السلطة ولقب بالملك المظفر^(١) . واستعد بعد ذلك لصد الزحف المغولى وما أن جاءت رسلا هولاكو تطلب منه الاستسلام حتى قتلهم " وعلق رؤوسهم على باب زويلة"^(٢) . واستطاع الملك المظفر قطز أن يجمع كلمة أمراء المماليك ، وأن يلم شتتهم ثم خرج على رأس جيوشه لملاقاة التتار واشتبك معهم "فأوقع بجمع هولاكو على عين جالوت فى يوم الجمعة خامس عشرى [أى خمس وعشرين من رمضان] سنة ثمان وخمسين وستمائة ، وقتل منهم وأسر كثيرا بعدما ملكوا بغداد وقتلوا الخليفة المستعصم بالله وأزالوا دولة بنى العباس وخرّبوا بغداد ... فكانت هذه الواقعة أول هزيمة عرفت للتتر منذ قاموا ، ودخل المظفر قطز الى دمشق . وعاد منها يريد مصر ، فقتله الامير ركن الدين بيبرس البندقدارى"^(٣) . قريبا من المنزل الصالحية فى يوم السبت نصف ذى القعدة من سنة ثمان وخمسين وستمائة . ويعف السيوطى فى كتابه " تاريخ الخلفاء " هزيمة التتار من قبل المسلمين فيقول : " فهزم التتار شر هزيمة ، وانتصر المسلمون ولله الحمد ، وقتل من التتار مقتلة عظيمة ، وولوا الادبار ، وطمع الناس فيهم يتخلفونهم وينهبونهم"^(٤) .

-
- (١) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة " مرجع سابق " ، ج ٧ ، ص ٧٢-٧٣ .
(٢) المقرئى ، السلوك " مرجع سابق " ج ١ القسم الثانى ، ص ٤٢٩ .
(٣) المقرئى ، الخطط والآثار " مرجع سابق " ، ج ٢ ، ص ٢٣٨ .
(٤) جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ، تاريخ الخلفاء ، ط ١ تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد (مصر : مطبعة السعادة ، ١٩٥٢) ، ص ٤٧٥ .

ولقد استمرت هزائم التتار من قبل المسلمين فقد " هزمهم الملك الظاهر بيبرس بعد انهزامهم فى عين جالوت مرات عديدة وأخرجهم من أرض الشام وطردهم منها " (١) .

ومما لاشك فيه أن انتصار المماليك بقيادة الملك المظفر قطز على التتار فى عين جالوت له أهمية اذ أن " التتار لم يهزموا من قبل ، وصاروا يلتمسون الصلح وتحسين العلاقات بينهم وبين المماليك ، كما عجلت هذه الواقعة أيضا بزوال الامارات المملوكية فى الشام ، كما دفعت التتار الى اعتناق الاسلام " (٢) .

وأخيرا فمحطة القول أن الاحداث السياسية التى عاشها الامام النورى فى عصر سلاطين المماليك كانت أحداثا جساما فقد كانت البلاد تعيش فى فوضى سياسية متناهية ، الأمر الذى أدى الى كثرة الاضطرابات وعدم الاستقرار ، وكثرة الانقلابات والفتن والثورات الداخلية المستمرة بين المماليك أنفسهم ، مما أدى الى عدم بقاء أحد من السلاطين فترة طويلة فى الحكم ، وكذلك الحروب الطاحنة بين المسلمين وأعدائهم من تتار وهلبين ، والتى لم تخل لفترة من فترات حكمهم .

(١) الندوى ، رجال الفكر " مرجع سابق " ، ص ٣٠٥ .

(٢) السيد الباز العرينى ، المماليك (بيروت : دار النهضة العربية ، ١٩٧٩) ، ص ٤٩ .

فلا غرابة اذا من تأثرا الامام النووى بتلك الاحوال السياسية السيئة
تأثيرا مباشرا ، فنجده قد زهد فى الدنيا ولم يكن لها فى قلبه مكان ،
بل كان يتمنع بشدة عن قبول المناصب التى تعرض عليه من قبل سلاطين
المماليك ونراه غير مرة ينكر عليهم ويواجههم بكلمة الحق دون أن يخشى
فى الله لومة لائم . ويقول السيوطى فى ذلك " ظلم [أى السلطان الظاهر
بيبرس] أهل الشام غير مرة . وأفتاه جماعة بموافقة هواه ، فقام النووى
فى وجهه ، وأنكر عليه ، وقال : أفتوك بالباطل ! " (١) . وكان الملك
الظاهر بيبرس ظالما لرعيته يأخذ الاموال منهم بدون وجه حق ، وكثيرا ما
يقف منه الامام النووى موقف الناصح الواعظ له بالموعظة الحسنة وبالكتابة
اليه فى حالة تعذر مقابلته . ومثال ذلك قضية الغوطة بالشام ، فكان
يقسم بالله على عدم ترك الظلم على الرعية من قبل السلطان وعدم ترك
النصيحة للدين والسلطان كذلك فيقول : " والله الذى لا اله الا هو لا أترك
شيئا أقدر عليه من السعى فى مناصحة الدين والسلطان ، والمسلمين فى هذه
القضية وان رغمت أنوف الكارهين ، وان كره ذلك أعداء المسلمين " (٢) . بل
ومل به الامر الى " ترك جميع الجهات الدنيوية فلم يكن يتناول من جهة
من الجهات درهما " (٣) . وهذا بلاشك نتيجة لحالة مجتمعه السيئة التى

-
- (١) السيوطى ، حسن المحاضرة " مرجع سابق " ، ج ٢ ، ص ١٠٥ .
(٢) محمد بن عبد الرحمن السخاوى ، ترجمة النووى ، تصحيح وعناية
محمود حسن ربيع ، ط ١ (مصر : مطبعة جمعية النشر والتأليف
بالازهر ، ١٣٥٤) ، ص ٥٣ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٣٧ .

فشت فيه المضالم للرعية من قبل الحكام ، مما أدى الى نفور الامام
النووى من سلاطين المماليك وبعده عن جميع مناصب الدولة .

ونجد أن السلبيات قد طغت على الايجابيات فيما سبق ، مما
أصبح له بالغ الأثر فى تردى الاحوال السياسية فى البلاد ، الأمر الذى
أدى الى أن يدعو الامام النووى للإصلاح السياسى والاجتماعى فى عصره ، ورفع
الظلم عن الرعية والرفق بهم ، والتزام النصيحة الدائمة للسلطان
والرعية ، والى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بلسانه وقلمه ، وليس
هذا فحسب بل تعدى ذلك الى ركود فى الانتاج العلمى ، وفقدان لروح الابتكار
والتجديد ، والسيادة للتقليد ، والتعصب الشديد لكل مذهب من المذاهب
الأربعة ، فالامام النووى لم يقف من ذلك الوضع السيئ علميا موقف المتفرج
بل مارس العمل التربوى بنفسه ، وشارك فى الحياة العلمية بترائسه
العلمى ، وبمؤلفاته القيّمة فى شتى العلوم والمعارف ، التى أصبحت
مفخرة زمانه ، ومشعل ضياء للأجيال اللاحقة .

ونوجز القول بما قاله تلميذه ابن العطار ، ونقله الذهبى عن
شيخه ابن فرج ، قال : " كان الشيخ محي الدين قد صار اليه ثلاث مراتب
كل مرتبة منها لو كانت لشخص شدت اليه آباط الابل من أقطار الارض :

المرتبة الأولى : العلم والقيام بوظائفه .

المرتبة الثانية : الزهد فى الدنيا .

المرتبة الثالثة : الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر " (١) .

(١) ابو عبد الله شمس الدين محمد الذهبى ، تذكرة الحفاظ (مصر : دار
احياء التراث العربى ، ١٣٧٤ هـ) ج ٤ ، ص ١٤٧٣ .

وبالتالى يبدو لآى باحث منصف أن عصر دولة المماليك ليس عــــصــــرا عاديا ، وانما هو عصر حركة دائمة ، ونشاط دائم . فى الخارج حــــروب وتوسع وانتصارات ترتب عليها تأمين الوطن الاسلامى فى الشرق الادنى ، وفى الداخل حياة صاخبة حافلة بالتيارات السياسية والاقتصادية والدينية والعملية والاجتماعية . (١)

٢ - الحياة الاقتصادية فى عصر الامام النـووى

بعد ان تعرفنا على الحياة السياسية للبلاد فى عصر الامام النـووى وما كانت تتسم به من الفوضى والاضطراب والخوف والرعب والكيد ، سوف يشير الباحث الى الحياة الاقتصادية فى عصر سلاطين المماليك وربط ذلك بالفكر التربوى فى المجتمع .

ونجد ان الحياة الاقتصادية فى عصر سلاطين المماليك ازدهرت ازدهارا عظيما . ذلك لعناية السلاطين بالزراعة لكونها عماد الثروة القومية ، مما أدى الى اهتمامهم بانشاء الجسور وشق الترع لتوفير مياه الري للاراضى التى يتعذر وصول الماء اليها . (٢) فعلى ذلك ازدادت المحاصيل الزراعية فى مصر نظرا لعناية سلاطين المماليك بمرافق الزراعة فيها . (٣)

وكما وجه سلاطين المماليك عنايتهم بالصناعة ايضا ، فقد ارتقت رقيا كبيرا حتى اصبحت مصنوعات عصر المماليك تكون فى مجموعها انتاجا فنيا رائعا تزدان به متاحف العالم اليوم . وكما انتشرت فى ذلك العصر ما يسمى بصناعة تطعيم البرونز والنحاس بالذهب والفضة ، (٤) وشغف المعاصرون بالنحاس المطعم بحيث " لاتكاد دار تخلو بالقاهرة ومصر من عدة قطع نحاس مكفت " (٥)

(١) على سالم النباهين . نظام التربية الاسلامية فى عصر دولة المماليك

فى مصر " مرجع سابق " ، ص ١٢٢ .
(٢) سعيد عاشور ، مصر الشام فى عصر الايوبيين والمماليك " مرجع سابق " ص ٢٦٥ .

(٣) _____ ، العصر المماليكى فى مصر والشام " مرجع سابق " ص ٢٧٥ .

(٤) المقرئى ، الخطط والاشار " مرجع سابق " ج ٢ ص ٤٧٨ .

(٥) المرجع السابق ، ج ٢ ص ١٠٥ طبعة بولان .

والمجاعة والغلاء والوباء وكما حدث فى سنة ٦٦٢ هـ ببلاد الشام فى عهد الملك الظاهر بيبرس ، وقد كان الامام النووى معاصرا لها . فقد غلت الاسعار وقلت الغلات وأصبح الناس بالشام فى فيق عيش ، وضعف حال بسبب قلة الامطار . (١) وبسبب كثرة حدوث انخفاض النيل ابان الحكم المملوكى والذى كان له اكبر الاثر فى تعطيل الزراعة وهلاك كثير من السكان والدواب . (٢) وهناك سبب آخر فى غاية الاهمية هو التبذير والاسراف الفاحش على القصور والحفلات والمآكل والمشارب وتسلب الامراء وأرباب الدولة على الاموال العامة .

وكانت تحدث حالات عدم استقرار الحياة الاقتصادية فى عصر المماليك بسبب تلاعب السلاطين بالعملة ، أو نتيجة حدوث الفتن والمنازعات المستمرة بين طوائف المماليك . (٣)

ومن جهة أخرى كان من نتيجة ذلك الانتعاش الاقتصادى أن رصـد سلاطين المماليك وامراؤهم واعيانهم الاموال الوفيرة لانشاء الاربطة والسبل والمدارس والمساجد ، واقفوا عليها الدور والاراضى والاموال ، فنتج عن ذلك نهضة تعليمية تربوية كانت من مفاخر ذلك العصر . (٤)

-
- (١) السيوطى ، المنهاج السوى فى ترجمة الامام النووى ، ص ١٣
(٢) العرينى ، المماليك " مرجع سابق " ، ص ١٧٤ .
(٣) المقرئى ، السلوك " مرجع سابق ج ٣ ، ص ٨٢ ، ج ٢ ص ١٧
(٤) محمود رزق سليم ، عصر سلاطين المماليك ونتائج العلمى والادبى
(مكتبة الاداب بالجماهير ، ١٣٦٦ - المجلد الثانى ، ص ٢٦٣ .

وحيث ان ذلك الرخاء الاقتصادى فى عصر سلاطين المماليك فى معظم فتراته ، والشراء الفاحش لامراء والسلاطين وغيرهم ، أغرى الكثير منهم بالمبالغة فى الانفاق على المنشآت التعليمية بسخاء وتسابق جنونى فى الابهة المظهرية بين المنشئين ، بالإضافة الى فقدان الرقابة الادارية التعليمية المسؤولة التى كان يمكن أن تنسق وترتب صرف الاموال فى وجهها الصحيح . (١)

٣ - الحياة الاجتماعية فى عصر الامام النـووى

لقد رأينا كيف كانت تعيش البلاد المملوكية من الناحية السياسية ونريد هنا أن نتعرف على الحالة الاجتماعية للبلاد فى عصر الامام النوى رحمه الله . ولانستطيع أن نفهم آراء الامام النوى وأفكاره دون أن نلم المامة سريعة بظروف الحياة الاجتماعية التى عاشها ، وذلك للعلاقة القائمة بين الانسان وبيئته ، وتأثير كل منهما فى الآخر ، لأن أفكار الانسان وآراءه ومشاعره تؤثر فيها النظم والتقاليد والعادات والآراء السائدة فى مجتمعه (٢) .

يقول اثنان من علماء الاجتماع : " اننا حينما نقدم على دراسة المجتمع لانحاول أن ندرس لكل ما يحدث فى " المجتمع " أو كل ماينتج عن الاحوال الاجتماعية ، لأن هذا الكل يشمل مظاهر النشاط الانسانى ولاسبيل لمعرفة الا بالعلوم الانسانية جميعا" (٣) . ولذا يتعذر على الباحث

(١) علي سالم النباهين ، نظام التربية الاسلاميه فى عصر دوله المماليك " مرجع سابق " ص ٤١٧ .

(٢) حسن عبدالعال ، فن التعليم عند بدر الدين ابن جماعة " مرجع سابق " ، ص ٢٥ .

(٣) ر.م ماكيفر وشازلر ه ، يدج ، المجتمع ، ترجمة على احمد عيسى ، ط ٢ (مصر : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦١) ص ٤ - ٥

" أن يلم بجميع أطراف الحياة الاجتماعية ، لأن أفق الحياة الاجتماعية نفسه غير محدود حتى يمكن الالمام بجميع أطرافه " (١) . ولقد كان المجتمع فى عصر المماليك متميزا بتفاوت طبقاته لأن البنية الاجتماعية فى ذلك العصر تتكون من أجناس وطبقات شتى ، ليسوا جميعا من جنس واحد ، ولا يربطهم مذهب واحد ، إلا أنهم يجمعهم دين واحد وشرعية واحدة وأخلاق واحدة . وقد انقسم المجتمع الى طبقات يتلو بعضها بعضا فى المراتب الاجتماعية . فالمصورة العامة لذلك المجتمع تتألف من طبقات اجتماعية أهمها :

١ - طبقات المجتمع :

أولا : طبقة المماليك :

جاء المماليك الى مصر من مختلف البلاد ، ومن أجناس مختلفة وأولها جنس الترك ، وقد جلبوا على يد تجار الرقيق الذين بذل لهم السلاطين والأمراء أموالا طائلة فى سبيل اقتناء عدد كبير منهم بسبب " الفوضى التى عمت العلاقات بين حكام المسلمين فى مصر والشام " (٢) وحرص كل حاكم أو ملك على تكوين " عصبية لنفسه يعتمد عليها فى الاحتفاظ بآمارته ، أو فى صد عدوان جيرانه ، ولم يجد أمراء المسلمين فى ذلك العصر وسيلة لتحقيق هدفهم إلا عن طريق الاكثار من شراء المماليك ، فاشترى منهم أعدادا كبيرة ، وعنوا بتدريبهم وتنشئتهم ليكونوا عدة وسندا " (٣) .

-
- (١) سعيد عبدالفتاح عاشور، المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك ، ط ١ (القاهرة : دار النهضة العربية ، ١٩٦٢) ، ص ٢ .
(٢) سعيد عاشور ، مصر والشام فى عصر الايوبيين والمماليك " مرجع سابق " ، ص ١٥١ .
(٣) المرجع السابق ، ص ١٥٢ .

ولقد شهدت السنوات الأخيرة من القرن السادس الهجرى والنصف الاول من القرن السابع الهجرى ازدياد نفوذ المماليك فى مختلف الإمارات والسودول الاسلامية فى الشرق الادنى ومنها مصر والشام (١).

ومن المعروف أن المماليك عاشوا طبقة منفصلة عن سائر السكان فى مصر والشام فلم يتزوجوا من أهل البلاد، بل اختاروا زوجاتهم وجواريتهم من بنات جنسهم اللائى جلبهن التجار (٢). ولا شك أن هذه العزلة التى عاشها المماليك مع أنفسهم أوجدت فجوة واسعة بين الحكام والمحكومين ، مما ترك أثرا واضحا فى المجتمع المعاصر ، ذلك أن أهل البلاد فى مصر والشام ظلوا طوال عصر المماليك لايعنيهم شيء من أمر الاحداث الكبرى الداخلية والخارجية التى أحاطت بمجتمعهم ولم يحسب المماليك حسابا لأحد من سكان البلاد سوى فئة المعتمدين الذين أعطوهم حقهم من التقدير ، رغم أن المماليك كانوا - أحيانا - يتنكرون لهم ولا يتورعون عن اهانتهم (٣).

ولقد عاشت طبقة المماليك فى ترف ورفاهية ، وثروة عظيمة ، بسبب الاقطاعات الكبيرة التى امتلكوها . وتبدو مظاهر الترف والبذخ أوضح ما تكون فيما خصه المماليك للانفاق على قصورهم (٤).

(١) سعيد عاشور، مصر والشام فى عصر الايوبيين والمماليك " مرجع سابق " ص ١٥٢ .

(٢) على النباهين ، نظام التربية الاسلامية " مرجع سابق " ، ص ١٣٤ .

(٣) على بن داود الصيرفى ، نزهة النفوس والابدان فى تواريخ الزمان ، تحقيق حسن حبشى (القاهرة : مطبعة دار الكتب - مركز تحقيق التراث ، ١٩٧٣) ، ج ٢ ، ص ٢٦ ، ٢٨ .

(٤) حسن ابراهيم عبد العال ، فن التعليم عند ابن جماعة " مرجع سابق " ، ص ٢٦ .

ثانيا : طبقة المعتمدين : (المثقفين)

تتكون هذه الطبقة من أرباب الوظائف الديوانية والفقهاء والعلماء والادباء والكتاب ، وقد امتاز المعتمدون ولاسيما جماعة العلماء السـذى ينتمى اليهم الامام النووى بمميزات طوال عصر المماليك منها نفوذهم لدى الدولة ، واحترام السلاطين واجلالهم ، وقد علل بعض زعماء المماليك احترامهم للعلماء بأن ذلك يعود " لانهم عرفوا بهم دين الاسلام ، وفـى بركتهم يعيشون " (١) . وكذلك يمكن أن نلمس نفوذ العلماء عند عامة الشعب لما يتمتعون به من مكانة وتقدير واحترام .

ولقد عاش بعض هؤلاء المعتمدين فى سعة وبسطة فى الحياة نتيجة لما أغدقته الدولة عليهم من رواتب ، وبما استأثر به المعتمدون من الوظائف الدينية والسياسية العليا مثل مناصب قضاة القضاء على المذاهب الأربعة ، والحسبة والوزارة وغيرها . (٢) ومما يدل أيضا على اجلال هذه الفئة وتوقيرها فى ذلك العصر ما يرويه المقرئى من أن السلطان الظاهر بيبرس " ركب لزيارة الشيخ محمد بن منصور بن أبى يحيى أبى القاسم القبارى ، فلم يمكنه من الطلوع اليه ، ولم يكلمه الا وهو فى البستان والشيخ فى عليته ثم مضى لزيارة الشاطبى " (٣) . وما رواه السيوطى من أن الشيخ

-
- (١) سعيد عبد الفتاح عاشور، المجتمع المعمرى فى عصر سلاطين المماليك " مرجع سابق " ، ص ٢٩ .
- (٢) المرجع السابق، ص ٢٨ - ٢٩ . * العلية : الزرفة فى الطبقة الثانية من الدار وما فوقها . المجمع الوسيط ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ص ٦٢٥ .
- (٣) المقرئى ، السلوك " مرجع سابق " ج ١ القسم الثانى ، ص ٤٩٩ .

تقى الدين بن دقيق العيد قد حضر مرة عند السلطان لاجين ، فقام اليه السلطان وقبل يده ، فلم يزد على قوله " أرجوها لك بين يدي الله " (١) . على أن هذه المكانة التي وصل اليها العلماء والمعممون في عصر المماليك ، لم تمنع بعض السلاطين والأمراء من التعرض لهم بالنقد والتهكم ، ولم يرض المماليك أن تشاركهم فئة من السكان في ركوب الخيل ، فاشتروا على السلاطين حرمان المتعممين من ركوبها ، وكثيرا ما انسابت جموع المماليك العامة في شوارع القاهرة للاعتداء على الفقهاء والمتعممين وانزالهم عن خيولهم وسلبهم اياها (٢) .

ثالثا - طبقة التجار من أهل اليسار :

كانت طبقة التجار مقربة أحيانا من السلاطين ، وتمتع هذه الطبقة باحترام ومكانة بارزة في مختلف البلاد والمدن في عصر سلاطين المماليك ، وذلك لما يتمتعون به من يسر ورخاء ، وكذلك لحاجة السلاطين اليهم ، ففى أوقات الأزمات والشدائد . فهم كانوا الممولين الرئيسيين للدولة ، وبالتالي فقد أصبحت ثروتهم دائما مطمعا لسلاطين المماليك ، فغالوا في فرض الرسوم الباهظة عليهم ، كما أكثروا من مصادرة أموالهم ، لذلك لم يطمئن التجار في عصر المماليك على أموالهم وتجارتهـم (٣) .

رابعا - طبقة الصناع وأرباب الحرف والفلاحين :

أما الصناع وأرباب الحرف فقد امتلأت بهم المدن الكبيرة . وكان أهل الحرفة الواحدة يكونون نقابة لما نظام ثابت ، يحدد عددهم ومعاملتهم

(١) السيوطي ، حسن المحاضرة " مرجع سابق " ج ٢ ، ص ١٦٨ - ١٦٩ .

(٢) سعيد عاشور ، العصر المماليكي في مصر والشام " مرجع سابق " ، ص ٣٢٤ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٣٢٤ .

ولقد تمتعوا بعطف السلاطين ، ولم يتعرض أهل الذمة للهوان الا فى أوقات الشدة والاضطرابات والفتن ، وفيما عدا ذلك فلقد تمتعوا بكل ما يتمتع به المسلمون من حقوق وامتيازات* (١) . تلك كانت أهم فئات المجتمع فى مصر والشام وطبقاته فى عصر المماليك .

ورغم ما امتاز به هذا العصر من حرص على اقامة المساجد وبنائها المدارس والخوانق والربط والزوايا . وازدهار التقوى فى كل مظاهر السلوك الرسمى . الا أن الامراض الاجتماعية كانت تسرى فى كيان المجتمع وقتئذ ، حيث انتشر البغاء ، وحصلت الدولة على ضرائب من البغايا ، وعم بين الناس شرب الخمر ، وظهر بينهم المنكر واستشرى الفساد . وحاول السلطان الظاهر بيبرس أن يحد من خطورة هذه الامراض فيما يرويه المقرئى بقوله :

" وكتب السلطان بازالة الخمر وابطال الفساد والخواطىء من القاهرة ومصر .. فظهرت كلها من المنكر ونهبت الحانات التى جرت أهل الفساد على الاقامة بها ، وسلبت جميع أموال المفسدات ، وحبس حتى يتزوجن ، ونفى كثير من المفسدين ، وكتب السلطان الى جميع البلاد بمثل ذلك ، وحط المقرر (الضريبة أو الرسوم) على هذه الجهة من المال ، وعوض المقطعين جهات حلالا " (٢) .

ولم يقتصر الامر عند هذا الحد بل ان السلطان الظاهر بيبرس سار على نفس النهج فيما يتعلق بالنظم الحربية وانزال العقوبات الصارمة لمن يرتكب جرائم . فمن وصاياه لولى الحرب مكافحة الخمر والحشيش وتفقد أرباب

(١) محمد بن محمد القرش المعروف بابن الاخوه ، معالم القربة فى أحكام الحسبة ، تحقيق محمد محمود شعبان ، صديق أحمد عيسى المطيعى (مصر : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٦ ، ص ٩٦ .

* هذا حالهم عند المسلمين اما الآن فالمسلمون يتعرضون فى كل مكان من بلاد غير المسلمين الى الاضطهاد والتنكر وليس لهم ذنب الا التعصب الدينى من غيرهم .

(٢) المقرئى ، السلوك " مرجع سابق " ، ص ٥٧٨ .

النحل واقامة حكم السياسة (١). ولقد وصف المؤرخ ابن كثير السلطان الظاهر بيبرس بقوله : " قد أبطل الخمر ونفى الفساد من البلاد ، وكان لا يرى شيئا من الفساد والمفساد الا يسعى في ازالته بجهد وطاقته (٢). ولقد أشنى السيوطى كذلك على السلطان الظاهر بيبرس بقوله : " وأمر في أيامه بآراقة الخمر ، وابطال المفسدات والخواطء ، واسقاط المكوس المرتبة عليها ، فأحسن في ذلك كل الاحسان (٣) " .

ولقد رأى الامام النووى فى عصره المظالم وقد شاعت ، والمساواة وقد انتهكت ، ورأى كذلك الضرائب والاتاوات التى أرهقت غالبية السكان ، وصاحب ذلك انتشار المفسدات الاخلاقية مثل الزنا ، والخمر ، والرشوة وغيرها ، وكذلك ظهور المعتقدات الباطلة مثل الاعتقاد فى قدرة المشايخ والأولياء والسحر ، والتنجيم ، ومظاهر اللهو ، وكانت فى الشام فى تلك الايام - أيام الامام النووى - كما يروى المؤرخون ، منكرات معلنة ، ومعاصى ظاهرة ، ولا يقدر على ازلتها الا السلطان (٤) .

لكن السلطان الظاهر بيبرس لم يتفرغ للإصلاح الدينى والخلقى فى الداخل ، كما تفرغ ووفق للظفر العسكرى والسياسى فى الخارج (٥). ولقد

-
- (١) العمري ، أحمد ابن فضل الله ، التعريف بالمصطلح الشريف ، القاهرة ، بدون ، (١٣١٢) ، ص ١٠٢ .
- (٢) ابن كثير ، البداية والنهاية " مرجع سابق " ، ج ١٣ ، ص ٢٧٦ .
- (٣) السيوطى : حسن المحاضرة " مرجع سابق " ، ج ٢ ، ص ٩٦ .
- (٤) على الطنطاوى ، الامام النووى ، " مرجع سابق " ، ص ٥٣ .
- (٥) المرجع السابق ، ص ٥٤ .

أثنى الامام النووى على السلطان الظاهر بيبرس فى احدى رسائله اليه بقوله : " آمرا بالمعروف ، ناهيا عن المنكرات ، مبطلا للحوادث ، مظهرا للمحاسن والخيرات بما فعله من ازالة هذا المنكر العظيم " (١) . ولبيان مايتحلى به السلطان من صفات طيبة أنه لما وصلتته رسالة الامام النووى المشارة اليها آنفا أمر محتسب البلد باغلاق الحانات ، وارقة الخمر ، ومنع المنكرات وقمع أهلها (٢) .

أما من الناحية العقائدية فقد كانت معتقدات بعض المسلمين وعقولهم فريسة التشويه والانحراف اللذين أفسدا العقيدة الاسلامية فى نفوس عامة الناس ، وحل محلها كثير من الخرافات المتعلقة بتقديس أضرحة الأولياء والمزارات المختلفة ، وماحب ذلك كثير من الممارسات والبدع السيئة (٣) .

أما عن شؤون القضاء والعدالة ، فقد أولاها سلاطين المماليك جانبا كبيرا من اهتمامهم وعنايتهم . ذلك أن أهم تطور حدث فى النظام القضائى فى عصر المماليك هو ماقام به السلطان الظاهر بيبرس سنة ٦٦٥ هـ (١٢٦٥ م) من تعيين أربعة من قضاة القضاء يمثلون المذاهب الأربعة ، بعد أن كان الوضع منذ أيام ملاح الدين الايوبى قاصرا على منصب واحد هو قاضى قضاة المذهب الشافعى فقط دون غيره من المذاهب الأخرى كالحنفى ، والمالكى والحنبل (٤) .

-
- (١) السخاوى ، ترجمة النووى " مرجع سابق " ، ص ٤٨ .
 - (٢) المرجع السابق ، ص ٤٩ .
 - (٣) ماجد الكيلانى ، الفكر التربوى لابن تيمية " مرجع سابق " ص ٦٥ .
 - (٤) المقرئى ، السلوك " مرجع سابق " ج ١ القسم الثانى ، ص ٥٣٨ - ٥٤٠ .

ونجد كذلك أن التصوف كان عظيم الأهمية في مصر زمن الأيوبيين —
والمماليك ، حيث كان من أشهر المتصوفة المتقدمين ذو النون المصري ،
وابن الفارض الذي يعتبر من أعظم شعراء المتصوفة (١) . وكذلك انتشرت
الطرق الصوفية المنحرفة التي اعتادت الإقامة في زوايا خاصة ، تقام
فيها حلقات الذكر طبقاً لأشكال معينة من الرقص واللعب ، وخلال هذه
الحلقات كان الكثير من الدراويش يقضمون قطع الزجاج ، ويخطون في
النار ، ويلعبون بالحيات ، ويغرسون السكاكين في أجسامهم (٢) . كما يفعل
بعضهم اليوم .

ومن المعروف أن التصوف ليس مجرد ظاهرة دينية فحسب ، بل كان
أيضاً ظاهرة اجتماعية خطيرة . حيث توافد على مصر في العصرين الأيوبي
والمملوكي كثير من زعماء المتصوفة ومشايخهم — وبخاصة من المغرب —
الذين أشاعوا بمصر حياة الزهد والتقشف مما ترك أثراً خطيراً في المجتمع
المصري (٣) . فالمتصوفة طائفة مسرفة في الدين ، وهم متفاوتون في مقالاتهم
عن العبادة (٤) .

تلك كانت بعض ملامح الحياة الاجتماعية ، ومظاهر البيئة التي
عاش فيها الإمام النووي .

-
- (١) السيد الباز العريني ، الأيوبيون (بيروت : دار النهضة العربية ،
١٩٦٧) ، ص ٢١٧ .
- (٢) ابن كثير : البداية والنهاية " مرجع سابق " ، ج ١٤ ، ص
٣٦ .
- (٣) سعيد عاشور ، مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك " مرجع
سابق " ، ص ١١٧ .
- (٤) أحمد فؤاد الأهواني ، التربية في الإسلام (مصر : دار المعارف ، د٠) ، ص ٩١ .

الحياة الفكرية فى عصر الامام النووى

يعتبر هذا العصر - القرن السابع الهجرى - " من أزهر العصور ، فقد حفل بالكثير من العلماء المتمكنين الذين تركوا من المؤلفات النافعة المفيدة (١) " ولذلك اهتم سلاطين المماليك ببناء المدارس وانشاء دور العلم ، ونشطت بذلك حركة التعليم وازداد عدد الطلاب وكثر المدرسون ، غير أن الملاحظ أن كثرة افتتاح المدارس فى هذا العصر لم يكن ضمن سياسة تعليمية ثابتة مدروسة ، وانما كان أمرا مرتجلا يخضع لرغبة السلاطين وغيرهم ، يدفع اليه أحيانا القربى الى الله سبحانه والزلفى اليه ، وأحيانا الرغبة فى الابقاء على بعض الممتلكات التى يوقفها الأمير أو الثرى على المدرسة أو المسجد فلا تصادر بعد موته (٢) . ونجد أن الامام النووى قد أشار الى سبب اختياره المدرسة الرواحية لحلها ، اذ هى من بناء بعض التجار ، المتصفين بالعدالة فى دمشق ، كما قال عنه الياضى (٣) .

وقد تنافس سلاطين المماليك وأماؤهم فى بناء دور العلم ، وتشجيع العلم والعلماء لتوفر الوقت والمال لديهم . ولم يكن لهم باع واسع فى المشاركة الفعلية فى الحركة العلمية ، كما فعل بنو أيوب (٤) . وربما

(١) عبد الغنى الدقر، الامام النووى " مرجع سابق " ، ص ١٢ .

(٢) حسن ابراهيم عبد العال ، فن التعليم عند بدر الدين بن جماعة " مرجع سابق " ، ص ٤٨ .

(٣) السخاوى : ترجمة النووى " مرجع سابق " ص ٥ ؛ مرآة الجنان

١٨٣/٤ .

(٤) عبد اللطيف حمزة ، الحركة الفكرية فى مصر فى العصرين الايوبيين

والمملوكى الاول ، ط ٨ (القاهرة : دار الفكر العربى ، ١٩٦٨) ،

ص ١٤٩ - ١٥٤ .

يجد الباحث العذر لسلطين المماليك فى عدم قدرتهم على تلك المشاركة العلمية وذلك بسبب انشغالهم بالحروب المتتالية التى لم تخل منها فترة من فترات حكمهم من ناحية ، وبحكم نشأتهم أرقاء ، ثم تعليمهم العسكرى واختلاف لغاتهم من ناحية أخرى . ورغم ذلك فقد كان منهم من يتقرب إلى العلماء ، ويحضر مجالسهم العلمية . من ذلك ما سمعه عن ولع بعض السلاطين^(١) مثل الظاهر بيبرس بسماع التاريخ^(٢) . وقد وجد منهم من اشتغل بالتاريخ والفقه والحديث واللغة العربية ، بل تعدى منهم لأقراء الطلبة والتدريس لهم^(٣) .

ونجد أن الحركة العلمية فى مصر قد ازدهرت ازدهارا واسعا فى عصر سلاطين المماليك ، اذ أصبحت محور نشاط علمى متعدد الأطراف . ويرجع ذلك إلى ما أصاب أنحاء العالم الاسلامى من نكبات وتدمير . فى العراق غزا المغول بغداد التى كانت محورا للعلم والعلماء ، وكذلك ما أصاب الاندلس على أيدي المصليبيين فضلا عما أصاب الشام من أضرار على أيدي المصليبيين والمغول معا . وفى وسط تلك الغمة التى ألمت بالامة الاسلامية منذ القرن السابع الهجرى (الثالث عشر للميلاد) لم يجد علماء المشرق والمغرب بلدا عربيا آمنا تطيب فيه الحياة سوى مصر التى غدت مركزا

(١) على سالم النباهين ، نظام التربية الاسلامية فى عصر دولة المماليك

" مرجع سابق " ، ص ١٤٧ .

(٢) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة " مرجع سابق " ، ج ٧ ، ص

١٨٢ .

(٣) سعيد عاشور ، المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك " مرجع

سابق " ، ص ١٤٢ .

للخلافة العباسية بعد احيائها على يد الملك الظاهر بيبرس كما سبق ذكره
ومارت مصر " محل سكن العلماء ، ومحط رجال الفضلاء (١) " .

وخير مايدل على ازدهار الحركة العلمية فى عصر المماليك ، هو
عظم الثروة العلمية التى وملتنا من ذلك العصر بالذات . ومازالـت دور
الكتب فى جميع أنحاء العالم مشحونة بمئات المخطوطات التى ترجع الى عصر
سلاطين المماليك بمصر (٢) . ويضاف الى ذلك عنايتهم بانشاء المؤسسات
التعليمية من مدارس ومكاتب ومساجد وخوانق وربط وزوايا (٣) .

وبالنظر الى المدارس فانها كانت بمثابة معاهد التعليم العالى .
وهى مؤسسات أشبه بالجامعات اليوم - يخصص لكل مدرسة منها المدرسون
وتلحق بها خزانة كتب كبيرة ، يؤمها الطلاب لتحصيل العلم والمعرفة (٤) .

وقد حرص سلاطين المماليك على محاكاة سلاطين الأيوبيين فى انشاء
عدد كبير من المدارس مثل المدرسة الظاهرية التى أنشأها الظاهر بيبرس
بدمشق وهى اليوم مقر المكتبة الظاهرية . وقد عينوا لتلك المدارس
المدرسين والمعידين والموظفين ، ووقفوا عليها الاوقاف الغنية لتضمن

-
- (١) السيوطى ، حسن المحاضرة " مرجع سابق " ، ج ٢ ، ص ٨٦ .
(٢) سعيد عاشور ، مصر والشام فى عصر الايوبيين والمماليك " مرجع
سابق " ، ص ٢٧٤ .
(٣) المقرئى ، الخطط والآثار " مرجع سابق " ، ج ٣ ، ص ص
٣١٣ - ٤٦٥ .
(٤) المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ص ٣١٥ - ٣٨٥ .

للطلاب والمدرسين قدرا من الحياة الهادئة تجعلهم ينصرفون الى الاشتغال
بالعلم آمنين مطمئنين (١).

وشمة ظاهرة امتازت بها الحياة العلمية الفكرية فى عصر سلاطين
المماليك وهى الاقبال الشديد على تأليف الموسوعات الضخمة التى تحوى
الموسوعة الواحدة منها كثيرا من المعلومات المتنوعة المتباينة . وكان
من أشهر هذه الموسوعات كتاب " نهاية الارب فى فنون الأدب " للنويرى
(ت ٧٣٢ هـ) وهو موسوعة كبيرة تقع فى نيف وثلاثين مجلدا مطبوعا . وكذلك
" مسالك الابعار فى ممالك الامصار " لابن فضل الله العمرى (ت ٧٤٨ هـ) ،
وهو موسوعة شهيرة تقع فى بضعة وعشرين مجلدا ، تناولت فنون الادب
والتاريخ والجغرافيا وغيرها (٢) .

ولا يوقف الامر عند هذا الحد ، بل ان مما انفرد به هذا القرن على
صورة لم يسبق لها مثيل ، هو انشاء ثلاث مدارس للطب ، ومدرسة للهندسة
فى دمشق ، فكان فى هذه العاصمة أعظم جامعة اسلامية عربية حوت العلوم
الدينية والدنيوية ، فلم تكن دون القاهرة بأزهرها الذى بنى فى القرن
الرابع ، ولا بغداد بمدرستها النظامية التى أسست فى القرن الخامس (٣) .

-
- (١) النويرى ، نهاية الارب فى فنون الادب ، مجلد ٣٠ ، ص ٣٤١ .
(٢) على سالم النباهين ، نظام التربية الاسلامية " مرجع سابق " ،
ص ١٥٠ .
(٣) محمد كرد على ، خطط الشام (دمشق : مطبعة الخديثة ، د . ت) ،
ج ٤ ، ص ٤٣ - ٤٤ .

وقد ذكر السير وليم موير ذلك فقال : " انه بنى فى عهد المماليك مدارس
وكليات لتعليم الناس علوم الطب والفلسفة والفنون والعلوم الرياضية
والطبيعية (١) " . ويرجع سبب انتشار المدارس فى عهد المماليك الى
نظرتهم الى بركة العلم وفضله ، يضاف الى ذلك أن أمراء المماليك
خافوا على اولادهم من تأثير السلطان وجاه السلطة . فقد كانوا يخشون
عادية سلطانهم على ذريتهم لما له عليهم من الرق أو الولاء [أى يعتبرون
المماليك أنفسهم أرقاء لأسيادهم أو موالى عن طريق الاسر والسبى فى
الحروب أو الشراء] ، فاستكثروا من بناء المدارس والزوايا ، وانربط ،
ووقفوا عليها الاوقاف المغلة يجعلون فيها شركا لولدهم ... ينظر منها
أو يصيب منها ، مع حاجتهم غالبا من الجنوح [أى من فعل] الى الخير ،
والتماس الاجور فى المقاصد والافعال ، فكثر الاوقاف لذلك (٢) " واذا كان
التعليم العالى قد وجد قسطا كافيا من العناية فى المدارس ، فإن
التعليم الابتدائى نهضت به المكاتب التى أنشئ عدد كبير منها فى عصر
سلاطين المماليك (٣) . وكانت مناهج التعليم الابتدائى تشتمل على " تعليم
القرآن الكريم والكتابة وضبط الحروف بالشكل ، وعقائد أهل السنة
والجماعة ، وأصول الحساب ... ، ومبادئ الفقه " (٤) . ونجد أنه

-
- (١) السير وليم موير ، تاريخ دولة المماليك ، تعريب محمود عابدين
وسليم حسن ، ص ١٨٩ .
- (٢) ابن خلدون ، المقدمة (القاهرة : المكتبة التجارية لمصاحبهها
مصطفى محمد ، د . ت) ، ص ٤٣٤ - ٤٣٥ .
- (٣) سعيد عاشور ، مصر والشام فى عصر الايوبيين والمماليك " مرجع
سابق " ص ٢٨٠ .
- (٤) على سالم النباهين ، نظام التربية الاسلامية " مرجع سابق " ،
ص ٣٤٦ .

كان الى جوار تلك المدارس مكاتب صغيرة ملحقة بها لتعليم الصغار مبادئ القراءة والكتابة ، وشيئا من العلوم الأولية مع تحفيظ القرآن الكريم (١)

وسيتناول الباحث بعض جوانب الحركة العلمية فى القرن السابع الهجرى التى تدلل على وضع العلم والتعليم فى تلك الفترة منها :

١ - انواع العلوم :

كانت المواد الدراسية التى تدرس فى معظم المؤسسات التعليمية فى عصر سلاطين المماليك تتركز بالدرجة الاولى حول القرآن الكريم وعلومه ، والحديث وعلومه ، والمذاهب الفقهية الرئيسة الأربعة تؤازرها علوم اللغة العربية . وذلك لأن معرفة الشريعة الاسلامية من أسمى ما تهدف اليه التربية فى ذلك الوقت .

ويمكن تقسيم العلوم السائدة فى ذلك العصر الى مايلى :

(أ) العلوم الشرعية :

وتشمل علوم التفسير والحديث وعلومه والفقه واصوله ، والفرائض .

(ب) علوم اللغة العربية وأدبها :

وتشمل اللغة والنحو والبيان والأدب . ومعرفتها ضرورية على علماء الشريعة . كما تشمل علوم البلاغة وقد اشتغل علماء العربية فى العصر المملوكى فيها بالشرح والتفصيل أو الاختصار . وعلى رأسهم جلال الدين القزوينى . (٢)

ونجد ان من مفاخر عصر دولة المماليك ظهور المعجم اللغوى المشهور " لسان العرب " لمؤلفه ابن منظور المصرى . (٣)

(١) محمود رزق سليم ، عصر سلاطين المماليك " مرجع سابق " المجلد السابع ، ص ٢٣٣ .

(٢) المرجع السابق ، الجزء الثالث ، ص ص ١٥٥ - ١٥٦

(٣) السيوطى ، حسن المحاضرة " مرجع سابق " ، ج ١ ص ص ٥٧٠ - ٥٧٣ .

وهكذا وجدت اللغة العربية الاهتمام والرعاية جنباً الى جنب مع العلوم الشرعية ليتم التكامل بينهما .

(ج) العلوم العقلية :

رغم ان العلوم الشرعية وعلوم اللغة العربية كانتا مهيمنتين على المناهج الدراسية الاخرى فى عصر دولة المماليك ، الا ان الحياة العلمية لم تكن تخلو من العلوم العقلية الضرورية لسير الحياة اليومية فى المجتمع .

وكان من أهم هذه العلوم مايلي :

١ - علم الطب :

وقد كان من العلوم المعروفة فى عصر دولة المماليك ، وقد اشتغل به عدد من الاطباء منهم الطبيب المعروف ابن ابى أصيبعة (ت ٦٦٨ هـ) الذى ألف " تاريخ الاطباء " المشهور فى عشر مجلدات المسمى بـ " عيون الانباء فى طبقات الاطباء " .

٢ - علم الهندسة :

لقد عنى سلاطين المماليك بعلم الهندسة حيث تم افتتاح مدرسة لهذا الغرض ولان الحاجة ماسة اليها فى البناء .

وهناك علوم أخرى كان انتشارها على نطاق ضيق نبغ فيها أشخاص معدودون ربما تلقوها على ايدى افراد متخصصين . من هذه العلوم علم الفلسفه والجدل المنطوق .

د - التاريخ والتراجم :

وقد وجدت علوم التاريخ والتراجم عناية كبيرة فى عصر سلاطين المماليك حيث ان ذلك العصر هو العصر الذهبى للتأليف فى التاريخ . (١)

وقد برع فى تلك العلوم كثير من العلماء أمثال ابن العديم الذى ألف كتابه " بغية الطلب فى تاريخ حلب " وقام باختصاره باسم " زبدته الطلب فى تاريخ حلب " .

ومنهم ابن خلكان المؤرخ الحجه والذى ألف كتابه المشهور "فيات الاعيان وانبياء ابناء الزمان " والذى يعد من المصادر الاساسية حتى يومنا هذا . ومنهم ابو شامه المؤرخ ومن أهم مؤلفاته كتاب " الروفتين فى اخبار الدولتين : النورية والملاحية "

٢ - أنواع التعليم :

ان التعليم فى عصر سلاطين المماليك لم يتخذ فيه سياسة عامه عليا تتكفل الدولة بتنفيذها والانفاق عليها من أموالها العامه . بل كانت سياسة التعليم فردية شخصية موكله الى همم الامراء وضمائـر السلاطين ورغبات الرؤساء كل منهم على حده .

وكان يسود فى عصر سلاطين المماليك نوعان من التعليم هما :

١ - التعليم العسكرى وكان يعنى بثقافة العنصر التركى ثقافة عسكرية الغرض منها تنشئة الجنود واعدادهم للحرب ، وهذه الثقافة العسكرية كانت مقصورة على المماليك فقط ، ولم يكن للشعب صله به ، ولم يسمح لاحد من أبناء الشعب بالاندماج فيه ، وكان مقر ذلك فى طباق قلعة الجبل . (٢)

٢ - التعليم الشعبى . وكان مقره المدارس والمساجد ، وقد اوقفت عليه الاوقاف ويسرت به سبل العلم لطلابه من ابناء الشعب والوافدين عليه .
غير انه لم يكن يعنى به العناية التامة لانه حق الشعب ، ولكن زلفى الى الله وقربى . (٣)

(١) محمود رزق سليم - عصر سلاطين المماليك " مرجع سابق ، المجلد السادس

ص ٤٣٦ .

(٢) (٣) المرجع السابق ، المجلد السابع ، ص ٣٠٦

٣- انواع المدارس :

قام سلاطين المماليك بتأسيس دور التعليم واقفوا عليها
الاقواف ورتبوا لشيخوها الرواتب ولطلابها المعونات ، من مـ
وطعام وكسوه ومسكن فى بعض الاحيان .

وتتمثل دور التعليم حينذاك فيما أنشئ من المدارس والمساجد
وما شيد من الخوانق والربط والزوايا . كان الى جوارها
مكاتب صغيرة ملحقة لتعليم الصغار . وقد فتحت تلك الدور
ليتعلم فيها من يشاء من أبناء الشعب .

وكانت مدارسهم بمثابة جامعات علمية عظيمة الشأن ، كما
كان التعليم فيها بالمجان . (١)

٤- اتجاهات الحركة العلمية :

كانت سياسة سلاطين المماليك وأمرائهم منصرفة الى انشاء المساجد
واتخاذها أماكن يتعبد فيها الناس لربهم ، ودورا للتعليم يتلقى
فيها الطلاب دروس العلم . وقد تكون الدوافع الحقيقية وراء اتباع
تلك السياسة تعزيز سلطانهم فى داخل البلاد وخداع الشعب من هذه
الناحية الدينية ليتم لهم خفوعه . وقد تكون صادرة عن ايمان
حق واخلاص لله تعالى دعاهم الى تعمير مساجده ، وقد تكون احدى
وسائلهم الى استمرار انتفاع ذرائعهم بما تدره عليهم - اوقاف
مساجدهم من أموال .

(١) المرجع السابق ، المجلد السابع ، ص ٢٢٢

وقد اوقف الممالك اوقافا واسعة على المساجد التى أنشأوها —
لينفق عليها من ريعها ، وخصصوا فى احيان كثيرة معونات للطـ^ـلاب
المقيمين بها المنقطعين للعلم وطلبه . وعنوا عناية تامه باختيار
الشيخ الذين يتولون التدريس بها ، وكادوا يجعلون فى كل مسجد مكتبه
مليئه بنفائس كتب العلم كما قرروا انواع الدروس التى تلقى بها . (١)

وقبل أن نختتم الحديث عن الحركة الفكرية فى القرن السابع الهجرى
يجدر بنا أن نذكر اختلاف بعض العلماء المعاصرين حول الحركة العلمية
فى القرن السابع الهجرى وما تلاه من قرون وانقسامهم الى فريقين :

الفريق الاول : يرى أن القرن السابع الهجرى وماتلاه من قـ^ـرون
يتمف بالجمود الفكرى ، والتقليد لتراث السلف ، واغلاق باب الاجتهاد
يقول أحد علماء هذا الفريق من المعاصرين " ان الجيل
الذى تلى القرون الثلاثة الاولى من المفكرين جيل آخر
بدأ منذ القرن الرابع الهجرى واستمر حتى بداية القـ^ـرن
الثامن الهجرى ، وهو جيل انحدر فى تفكيره عن مستـ^ـوى
المواقف العلمية الى الوقوف عند الاصول والنظريات دون محاولة
ابتكار جديد مثلها وهو ما أسموه بالاتباع " (٢) .

(١) محمود رزق سليم ، عصر سلاطين الممالك ، " مرجع سابق " المجلد

السادس ، ص ٣١٦ .

(٢) ماجد الكيلانى ، تطور مفهوم النظرية التربوية الاسلامية " مرجع سابق "

ص ٢٤٥ .

ومنهم من يعلل ركود الحركة الفكرية عند المسلمين بعد القرن السادس الهجرى بعد أن ظلت هذه الحركة قوية مزدهرة منذ القرن الثانى فى التأليف والترجمة فى شتى العلوم والمعارف الى جمود التعليم ووقوفه عند طريقة لا يتطور عنها منذ بداية التعليم عند المسيان الذين انطبعت نفوسهم على طريقة خاصة فى فهم الدين يعصب التحول عنها ويرجع السرف فى ذلك الى أن " غاييتهم القصوى هى حفظ القرآن ، وغرضهم هو تلقين أصول الدين ، مع الابتعاد عن تعليم أى مسألة من مسائل الدنيا الا ماقت به الضرورة ... ولطول العهد بهذه الطريقة التى دارت مع الزمان ، واتبعها الناس قرنا بعد قرن ، آمنوا بأنها الطريقة الوحيدة التى ينبغى اتباعها (١) " ومما يؤيد ذلك رأى العالم ابن خلدون حيث يقول : " ... وقف التقليد فى الامصار عند هؤلاء الاربعة - أى المذاهب الاربعة المعروفة - ... وسد الناس باب الخلاف وطرقه ... وردوا الناس الى تقليد هؤلاء ... ولم يبق الا نقل مذاهبهم (٢) " .

وأما الفريق الآخر فيرى ان اتهام علماء القرن السابع الهجرى وما تلاه من قرون بالجمود الفكرى ، واغلاق باب الاجتهاد ، والوقوع فى براثن التقليد اتهام يشوبه شئ من الجور ، ويقوده كثير من التزم وعسدم التسامح ، فيقول أحد العلماء المعاصرين لهذا الفريق فى ذلك " ان اتهام علماء المسلمين الذين جاءوا بعد القرن الرابع الهجرى بالجمود الفكرى ،

(١) أحمد الاهوانى ، التربية فى الاسلام " مرجع سابق " ص ٩٦ .

(٢) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٤٤٨ .

واغلاق باب الاجتهاد ، والوقوع فى براثن التقليد ، - تهمة غبية ظالمة -
ذلك لان لهذا الذى يسمونه جمودا وتقليدا وفرارا من الاجتهاد سببا ماديا
خارجا عن طوقهم واختيارهم ، ولا شأن له بقدراتهم العلمية البتة " . ثم
يقول : " والسبب يتلخص فى أن الساحة الاجتهادية التى أمامهم محدودة
بنصوص الكتاب والسنة ، وكليات المبادئ الاسلامية ، والضوابط الاجتهادية
العامّة " . (١)

فالتأخر والجمود لا ينعته به الفقهاء المتأخرون فحسب وانما عليهم
ان ينعتهوا أيضا سائر المفكرين فى حقول العلوم والفنون ، ومع ذلك فان
هناك بعض العلماء مثل أبى شامة (ت ٦٦٥ هـ) ألف كتابا بعنوان " المؤمل
فى الرد الى الاصل الاول " يدعو مؤلفه الى دعوتين هما :

- (١) التخرج من الفتيا
- (٢) عدم التقيد تقيدا تاما بالائمة الاربعة ، وذلك أسوة
بأولئك الائمة الاربعة أنفسهم (٢)

وقال أيضا الامام النووى : " ان الاجتهاد نوعان :

- ١ - مستقل وقد فقد من رأس المئة الرابعة فلم يمكن وجوده .
 - ٢ - منتسب (يريد مجتهد المذهب) وهو باق الى أن تأتى أشراف الساعة
ولا يجوز انقطاعه شرعا لأنه فرض كفاية . ومتى قصر أهل مصر حتى
تركوه أثموا كلهم " (٢) .
-
- (١) محمد سعيد رمضان البوطى ، على طريق العودة الى الاسلام ، ط ٣ (بيروت: مؤسسة
الرسالة ، ١٤٠٣) ، ص ١٩٩ - ٢٠٠ . ولمزيد من الايضاح انظر المرجع نفسه ٢٠١ - ٢٠٤
 - (٢) عبد اللطيف حمزة ، الحركة الفكرية فى مصر فى العصرين الايوبيين
والمملوكى الاول " مرجع سابق " ص ٢٠٣ .
 - (٣) المرجع "سابق" ، ص ٢٠٢ ؛ كتاب الفكر السامى فى تاريخ الفقه الاسلامى
الحجوى ، الجزء الثانى ، القسم الرابع ، ص ٤٥٢ .

وقد انتشر بين الناس مثل قول النووى هذا ، وهو أنه ليس لأحد أن يختار بعد المائة الرابعة للهجرة ، ويعنون بذلك أنه ليس لأحد أن يحدث مذهباً جديداً بعد المذاهب الأربعة المعروفة . وبذلك أقفل الفقهاء على أنفسهم باب الاجتهاد المطلق ، وقصروا أنفسهم على الاجتهاد المقيّد بالمذهب (١) .

ومع هذا فمن الانصاف للفقهاء فى العصر المملوكى بمصر والشام أن يقال أنهم كانوا يتطلعون الى نوع من الاستقلال فى الفقه ، أولى به أن يسمى " سعة فى التصرف " على حد قول (عبد اللطيف حمزة) . ولم يكن هذا غريباً منهم بعد أن ركدت ريح الفقهاء السنيين بمجرء الفاطميين الى مصر (٢) .

وأختم هذا الكلام بذكر رأيي فيما تقدم وهو أن اطلاق الجمود الفكرى على ما بعد القرن الرابع الهجرى فيه نوع من التجاوز والجور . وذلك بوصف علماء تلك القرون بعدم اعمال فكرهم وتحريك عقولهم وتنشيط أذهانهم . اذ أننى أعتبر تلك الفترة فترة توقف وتدقيق وتمحيص للكم الهائل من المؤلفات التى وصلت اليهم من علماء القرون التى سبقتهم . وكذلك نجد أن الظروف والاحوال فى البلاد الاسلامية غير مستقرة من جميع النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية .

(١) عبد اللطيف حمزة " مرجع سابق " ، ص ٢٠٢ ، محمد بن الحسن الحنوفى الشعالى الفاسى ، الفكر السامى فى تاريخ الفقه الاسلامى ، خرج أحاديثه وعلق عليه عبد العزيز بن عبد الفتاح القارىء ، المدينة المنورة : المكتبة العلمية ، ١٣٩٧ (ج ٢ القسم الرابع ، ص ٤٥٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٥٢ .

ومن الجدير بالذكر أن نوضح في هذا المقام بأنه ظهر في تلك
القرون السابقة علماء نوابغ ومفكرون آجلاء في شتى العلوم والمعرفة .
فضلا على أن علماء القرون الثلاثة الأولى وجدوا الساحة العلمية خالية
أمامهم ، وبالتالي فلم يدعوا لمن بعدهم من ساحات العلوم المختلفة
إلا القليل .

والكلمة الجامعة لحال هذا العصر من ناحيته الفكرية هو " أنه
إن لم يكن عصر إبداع كعصور الاجتهاد ، فهو - بجملته وأكثر علومه -
عصر نقل متزن ، وتقليد واع ، وجمع في تحفظ ، وتحقيق ، وتحرير وتصحيح ،
وتهذيب ، بل أحيانا اجتهاد مقيد [في المذهب] (١) " .

(١) عبد الغنى الدقر ، الامام النووي " مرجع سابق " ، ص ١٤ .

ثانيا : حياة الإمام النووى وسيرته

هو الامام الحافظ الفقيه المحدث ، ناصر السنة ، وقامع البدعة محي الدين ، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري بن حسن بن حسين بن محمد بن جمعة بن حزام النووى الدمشقى^(١) . ولد فى العشر الأوسط من المحرم سنة احدى وثلاثين وستمائة بنوى ، وتوفى بها^(٢) . وكان أبوه من أهلها المستوطنين بها^(٣) . ونوى قاعدة الجولان الآن ٠٠٠ من أرض حوران من أعمال دمشق^(٤) . فهو الدمشقى أيضا خصوصا وقد أقام الشيخ النووى بدمشق نحو من ثمانية وعشرين عاما^(٥) .

ولقد نشأ الامام النووى كما صرح به الحافظ الذهبى فى سير النبلاء فى ستروخير ، اذ عاش فى كنف أبيه وأنه " بقى يتعيش فى الدكان لأبيه مدة . وأن أباه كان دكانيا بنوى^(٦) " . وقد وصف علاء الدين ابن العطار^(٧) ،

(١) أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلى ، شذرات الذهب فى أخبار من ذهب (بيروت : المكتب التجارى للطباعة والنشر والتوزيع) ج ٥ ، ص ٣٥٤ .

(٢) السخاوى ، ترجمة النووى (مرجع سابق) ، ص ٤ .

(٣) السبكى ، طبقات الشافعية الكبرى " مرجع سابق " ، ج ٨ ، ص ٣٩٦ .

(٤) السخاوى ، ترجمة النووى " مرجع سابق " ، ص ٣ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٣ .

(٦) المرجع السابق ، ص ٤ .

(٧) على بن ابراهيم بن العطار ، كان أبوه عطارا وجده طبيباً ، صاحب النووى ولازمه واشتغل عليه ، حتى كان يقال له مختصر النووى ، توفى سنة ٧٢٤ هـ .

والد شيخه النووى ، بقوله : " الشيخ الزاهد الورع ولى الله " (١) . ويقول عنه الذهبى أيضا و " كان شيخا مباركا (٢) " ولما مات والد النووى سنة ٦٨٥ هـ صلى عليه صلاة الغائب (٣) . وهذا يدل على شهرة صلاحه . وواضح أنه عاش بعد وفاة ابنه الامام النووى تسع سنين ، وقد جاوز السبعين .

ولقد حبب الله العلم للنووى ، وهياه لقبوله ، فحفظ القرآن صغيرا وانشغل به عن اللعب مع أقرانه ، يقول شيخه ياسين بن يوسف الزركشى : " رأيت الشيخ محي الدين وهو ابن عشر سنين بنوى ، والصبيان يكرهونه على اللعب معهم وهو يهرب منهم ويبكى لأكراهمهم ، ويقرأ القرآن فى تلك الحال ، فوقع فى قلبى حبه ، وجعله أبوه فى دكان فجعل لا يشتغل بالبيع والشراء عن القرآن (٤) " .

ثم قدم النووى الى دمشق سنة ٦٤٩ هـ بعد أن حفظ القرآن فى قريته وكان عمره آنذاك تسع عشرة سنة ، وكانت دمشق فى ذلك الحين محج العلماء وطلبة العلم . فسكن المدرسة الرواحية (٥) واستمر بها حتى مات لم ينتقل

(١) السخاوى ، ترجمة النووى " مرجع سابق " ، ص ٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٧٦ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٧٦ .

(٤) السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى " مرجع سابق ، ج ٨ ، ص ٣٩٦ .

(٥) المدرسة الرواحية بدمشق " . . . واقفها أبو القاسم هبة الله

المعروف بابن رواحة ، كان أحد التجار وفق الثروة والمقدار ، ومن

المعدلين بدمشق وقد ابتنى المدرسة الرواحية ، داخل باب

الفراديس ووقفها على الشافعية ، وفوض نظرها وتدريسها الى الشيخ

تقى الدين بن الملاح الشهرزورى " ، ابن كثير ، البداية والنهاية

، ج ١٣ ، ص ١١٦ .

منها حتى ولا بعد ولايته الاشرفية " كما قاله التاج السبكي فى الطبقات الوسطى . والسبب فى اقامته بها يعود كما ذكر الياضى بقوله : " وسمعت أنه انما اختار الإقامة بها على غيرها لحلها [أى أنها من جهة حلال] (١) " . وبقي الامام النووى نحو سنتين لا يرضع جنبه بالارض ويتقوت بخبز المدرسة لاغير ، وقال السخاوى : " بل كان يتصدق منها أيضا " (٢) . وحفظ التنبيه للشيرازى فى نحو أربعة أشهر ونصف . وقال السخاوى : " وعرضه فى سنة خمسين وستمائة لسبع مضيئ من شهر ربيع الاول (٣) " ، وقرأ كذلك ربيع كتاب " المهذب " حفظا فى باقى السنة على شيخه الكمال اسحاق بن احمد المغربى (٤) . ويقول عنه تلميذه : ابن العطار " وجعلت أشرح وأصح على شيخنا الكمال اسحاق المغربى ولازمته فأعجب بى لما رأى من ملازمتى للاشتغال وعدم اختلاطى بالناس ، وأحبنى محبة شديدة ، وجعلنى معيد الدرس بحلقته لاكثر الجماعة (٥) " . وكان لا يضيع وقتا فى غير التعلم ، لاسيما

(١) السخاوى ، ترجمة النووى " مرجع سابق " ، ص ٤ .

(٢) (٣) المرجع السابق، ص ٥ .

(٤) الكمال اسحاق بن احمد المغربى ، الشيخ المفتى الامام الفقيه الشافعى ، احد مشايخ الشافعية واعيانهم ، كان اماما فاضلا مقيما بالمدرسة الرواحية ، وقد أخذ عنه جماعة منهم الامام النووى ، وقال النووى عنه " أول شيوخى الامام المتفق على علمه وزهده وورعه وكثرة عبادته وعظيم فضله ، وتمييزه فى ذلك على اشكاله ، توفى سنة ٦٥٠ هـ .

المراجع : السبكي ١٢٦/٨ ؛ تهذيب الاسماء واللغات للنووى ١٨/١ .
(٥) السخاوى " مرجع سابق " ، ص ٦ . ، النعيمى ، الدارس فى تاريخ المدارس " تحقيق جعفر الحسنى (دمشق : المجمع العلمى العربى ، ١٣٦٧ ، ج ١ ، ص ٣٥ .

بعد وفاة شيخه الكمال اسحاق المغربي ، فانه زاد في الاشتغال بالعلم والعمل (١) . فكان يقرأ في كل يوم احد عشر درسا * على مشايخه شرحا وتصحيحا (٢) . يقرأ على النحو التالي : درسين في " الوسيط " للغزالي ، ودرسا في " المذهب " للشيرازي ، ودرسا في " الجمع بين الصحيحين " للحميدي ، ودرسا في " صحيح مسلم " ، ودرسا في " اللمع " لابن جني في النحو ، ودرسا في " اصلاح المنطق " لابن السكيت في اللغة ، ودرسا في التصريف ، ودرسا في أصول الفقه ، ودرسا في أسماء الرجال ، ودرسا في أصول الدين (٣) . وكان يعلق جميع ما يتعلق بها من شرح مشكل ، وايضاح عبارة ، وضبط لغة (٤) .

وقد خطر للامام النووي الاشتغال بعلم الطب فاشترى كتاب " القانون " لابن سينا ، وعزم على الاشتغال فيه ، وتذكر المصادر أن الامام النووي لم يبدأ في طلب العلم الا في سن الثامنة عشرة أو نحوها من عمره . وأخذ في التصنيف بدءا ١٤ من سنة ستين وستمائة والى أن مات (٥) .

-
- (١) السخاوي ، ترجمة النووي " مرجع سابق " ، ص ٦ .
(*) تذكر اكثر المراجع أنه " كان يقرأ كل يوم اثني عشر درسا " والصحيح ما أثبتناه بدليل عدد الدروس التي جاءت في النصوص جميعها .
(٢) الذهبي ، تذكرة الحفاظ " مرجع سابق " ، ج ٤ ، ص ١٤٧٠ .
(٣) المرجع السابق ، ص ١٤٧٠ .
(٤) المرجع السابق ، ص ١٤٧٠ .
(٥) محمد بن احمد الذهبي ، العبر في خبر من غبر ، تحقيق صلاح الدين المنجد (الكويت : مطبعة حكومة الكويت ، ١٣٨٦) ، ج ٥ ، ص ٣١٢ .

ونلاحظ من خلال ماسبق أن :

الامام النووى أخذ يؤلف الكتب بعد مكثه بدمشق عشر سنـوات .
ونخلص من ذلك فنقول : يحتمل أن الامام النووى قد اشتغل بالطب ثم تركه
وعمره آنذاك مابين التاسعة عشر الى حدود التاسعة والعشرين " أى مابين
سنة (٦٥٠ - ٦٦٠ هـ) والله أعلم .

أما من حيث تعلم مهنة الطب " فتعلمها ضرورة لما عرف من فائدتها
وذلك بحفظ الصحة للاصحاء ودفع المرض عن المرضى بال مداواة وحتى يحصل لهم
البراء من أمراضهم بإذن الله (١) ، " الا أن الامام النووى قد أظلم قلبه عند
اشتغاله بكتاب " القانون " لابن سينا ، ويرجع السبب فى ذلك الى أن كتاب
القانون السالف الذكر غير مجرد عن أصول الفلاسفة ، والذي صرح صاحبه فى
أوله " بابتناء الطب المورد فى كتابه عليها ، وإن الطبيب يتعلم مايبنى
عليه من العلم الطبيعى " (٢) ، يضاف الى ذلك أن صاحب الكتاب المذكور يعيد
من كبار الفلاسفة فى عصره ، ولذا فكتابه فيه الكثير من الفلسفات
اليونانية وذلك لتأثره البالغ بها وبفلاسفة اليونان . ونجد كذلك أن هذه
الفلسفات اليونانية بعيدة كل البعد عن الاسلام وتجد لها فى عصر الامام
النووى محاربة شديدة ولمن يتعلمها حتى وصل بهم الأمر الى أن يرموا
أصحابها بالزندقة والفسق . ولذا اعترى الامام النووى ما اعتراه من ظلام
قلبه بمجرد عزمه على الاشتغال فى ذلك الكتاب السالف الذكر، فقام ببيع
الكتاب " القانون " لابن سينا فى الحال فاستنار قلبه ورجع الى حاله ، ومع

(١) ابن خلدون ، المقدمة " مرجع سابق " ، ص ٤١٥ .

(٢) عبد الغنى الدقر، الامام النووى " مرجع سابق " ، ص ٧٠ .

ذلك كله فقد كان الامام النووى ملما بعلم الطب النبوى الذى مدحه الشافعى - رحمه الله - بقوله " العلم علمان علم فقه للأديان ، وعلم طب للابدان " كما يعلم أيضا من خلال شرحه لصحيح مسلم عند قوله صلى الله عليه وسلم : " لكل داء دواء . فاذا أصيب دواء الداء برأ باذن الله عز وجل (١) .

ومما يدل على اجتهاد الامام النووى فى طلب العلم والحرص عليه ما نقله السخاوى عن الامام الذهبى فى سير النبلاء بقوله : " وضرب به المثل فى اكبابه على طلب العلم ليلا ونهارا ، وهجرة النوم الا عن غلبة ، وضبط أوقاته بلزوم الدرس أو الكتابة أو المطالعة أو التردد إلى الشيوخ (٢) " . ويقول عنه كذلك تلميذه ابن العطار : " وذكر لى رحمه الله أنه كان لا يضيع له وقتا فى ليل ولا نهار الا فى وظيفة من الاشتغال بالعلم حتى أنه فى ذهابه فى الطرق وإيابه يشتغل فى تكرار محفوظاته أو مطالعة . وأنه بقى على التحصيل على هذا الوجه نحو ست سنين (٣) " . ثم اعتنى بالتأليف حين تأهل له ، فألف مؤلفات كثيرة منها ما أكمله ، ومنها ما لم يكمله اذ عاجلته منيته . يقول ابن كثير : " مما كمل شرح مسلم ، والروضة ، والمنهاج ، والرياض ، والاذكار ، والتبيان ، وتحرير التنبيه وتصحيحه ، وتهذيب الاسماء واللغات ، وطبقات الفقهاء ، وغير ذلك ، ومما لم يتمه ولو كمل لم يكن له نظير فى بابيه : شرح المهذب الذى أسماه المجموع ... ولا أعرف فى كتب الفقه أحسن منه (٤) " . ويمتدح

(١) شرح صحيح مسلم ، ج ١٤ ، ص ١٩٢ - ١٩٤ .

(٢) السخاوى ، ترجمة النووى " مرجع سابق " ، ص ٧ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١١ - ١٢ .

(٤) ابن كثير ، البداية والنهاية " مرجع سابق " ، ج ١٣ ، ص

كتاب المجموع أيضا كمل من الاسنوى وابن الملتن بقولهما : " ليته أكمله
ونقصت كتبه كلها (١) " .

واشتغل الامام النووى بالتدريس ، فكان معلما فذا ، أحسن توجيهه
طلابه ، وتذكر المصادر أنه " باشر تدريس الاقبالية (وهى مدرسة كبرى
فى الفقه الشافعى) نيابة عن ابن خلكان الى آخر سنة ٦٦٩ هـ ، وكذلك
ناب فى الفلكية والركنية (وهما مدرستان مشهورتان فى عصره) ، وولى
مشيخة دار الحديث الاشرفية (٢) . فى رمضان سنة ٦٦٥ هـ بعد وفاة شيخها شهاب
الدين عبد الرحمن المقدس شيخ دار الحديث المعروف بأبى شامة ، الى أن
توفى الامام النووى سنة ٦٧٦ هـ . وهى أشهر دار فى بلاد الشام لعلم الحديث .
ومن الجدير بالذكر أن الامام النووى لم يوافق على توليتها الا بعد جهد
جهيد والحاح شديد من الناس . ومما يدل على ذلك رسالة الشيخ النووى
لابن النجار مانعه : " أو ما علمت لو أنصفت كيف كان ابتداء أمرها ،
أو ما كنت حاضرا مشاهدا أخذى لها ؟ (٤) " . ولقد حدث الامام النووى
بالمصحيحين (صحيح البخارى وصحيح مسلم) بدار الحديث الاشرفية سماعا

(١) السخاوى ، " مرجع سابق " ، ص ٢١ .

(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية " مرجع سابق " ، ج ١٣ ، ص ٢٧٩ .

(٣) عبد القادر محمد النعيمى ، الدارس فى تاريخ المدارس " مرجع
سابق " ، ج ١ ، ص ٢٠ - ٢١ .

(٤) السخاوى ، ترجمة النووى " مرجع سابق " ، ص ٥٢ .

وبحثا ، وبقطعة من سنن أبى داود ، وبالرسالة للقشيري ، وصفوة التتميم ،
والحجة على تارك المحجة لنصر الدين المقدس كلها سماعا وبحثا ، وشرح
معانى الآثار للطحاوى (١) .

وسمع الامام النووى من كبار شيوخ عصره أمثال الكمال اسحاق بن
احمد المغربى ، وعبد الرحمن بن نوح المقدس (٢) ، وشيخ الشيوخ عبد العزيز
ابن محمد الانصارى (٣) ، وابراهيم بن عيسى المرادى (٤) ، وأبى الحسن سـلار

-
- (١) السخاوى ، ترجمة النووى " مرجع سابق " ، ص ٢٩ .
(٢) شمس الدين عبد الرحمن بن نوح بن محمد المقدس ، مدرس الرواحية
بدمشق ، وأجل أصحاب ابن العلا ، وأعرفهم بالمذهب (الشافعى) توفى
فى ربيع الاخر سنة ٦٥٤ هـ .
المراجع : شذرات الذهب ٥/٢٦٥ ، السبكى ٨/١٨٨ ، البداية والنهاية
١٩٥/١٣ ، النجوم الزاهرة ٧/٤٠ " .
(٣) شيخ الشيوخ شرف الدين عبدالعزيز بن محمد بن عبد المحسن الانصارى
الدمشقى الحموى الشافعى الاديب ، كان أبوه قاضى حماه ويعرف بابن
الرفا ، ولد بدمشق سنة ٥٨٦ هـ وبرع فى الفقه والشعر والحديث ، وكان
مفرط الزكاء ، مات بحماه فى ثامن رمضان سنة ٦٦٢ هـ .
المراجع : " شذرات الذهب ٥/٣٠٩ ، السبكى ٨/٢٥٨ ، تذكرة الحفاظ ٤/١٤٤٣
النجوم الزاهرة ٧/٢١٤ - ٢١٨ ، فوات الوفيات ١/٥٩٨ - ٦٠٧ " .
(٤) ابراهيم بن عيسى المرادى الاندلسى المصرى الدمشقى ، قال فيه النووى
: " الفقيه الامام ، الحافظ ، المتقن ، المحقق ، الضابط ، الزاهد ،
الورع ، الذى لم ترعيني فى وقتى مثله . كان رحمه الله بارعا فى
معرفة الحديث وعلومه ، وتحقيق ألفاظه ، لاسيما الصحيحان ، ذا عناية
باللغة والنحو ، والفقه ، ومعارف الصوفية . . . حسن التعليم ، محبته
نحو عشر سنين لم أر منه شيئا يكره " . توفى بمصر فى اوائل سنة
ثمان وستين وستمائة " .

المراجع : السبكى ٨/٢٢ ، شذرات الذهب ٥/٣٢٦ ، حسن المحاضرة ١/٤١٦ " .

ابن الحسن الاربلى^(١) وغيرهم .

وأما عن تلاميذه : فيقول تلميذه ابن العطار " وسمع منه خلق من العلماء والحفاظ والصدور والرؤساء ، وتخرج به خلق كثير من الآفاق وسار علمه وفتاويه فى البلدان^(٢) "

ومن أبرز تلاميذه علاء الدين ابو الحسن على بن ابراهيم بن داود الدمشقى المعروف بابن العطار* ، ويتحدث عن ملازمته للنووى فيقول: " وكانت مدة محبتي له مقتصرأ عليه دون غيره ، من أول سنة سبعين وستمائة وقبلها بيسير الى حين وفاته - أى نحو ست سنين^(٣) " . وكذلك البدر محمد

(١) أبو الحسن سلاّر بن الحسن بن عمر بن سعيد الاربلى ، تلميذ ابن الصلاح ، وشيخ النووى ، قال النووى فيه " هو شيخنا المجمع على امامته ، وجلالته ، وتقدمه فى علم المذهب (الشافعى) على أهل عصره بهذه النواحي^(٤) " . وكان معيدا بالمدرسة البادرائية ، فلم يزل على ذلك الى ان مات ، لم يرد (يطلب) منصبا آخر ، قال الشريف عز الدين : وكان عليه مدار الفتوى بالشام فى وقته ، ولم يترك بعده فى بلاد الشام مثله ، توفى فى جمادى الآخرة سنة ٦٧٠ هـ عن بضع وستين سنة^(٥) .

(٤) المراجع : السبكى ، طبقات الشافعية الكبرى ١٤٩/٨ .
(٥) شذرات الذهب ٣٣١/٥ ، ٣٣٢ ، السبكى ١٤٩/٨ ، البداية والنهاية ٢٦٢/١٣ .

(٢) السخاوى ، " مرجع سابق " ، ص ٣٠ .

(*) سبقت ترجمته ص ٥٥

(٣) المرجع السابق ، ص ٣٠ .

ابن ابراهيم بن سعد الله بن جماعة^(١)، وشهاب الدين أبو حفص عمر بن كثير
(والد المؤرخ المحدث ابن كثير)^(٢)، والشمس محمد بن ابى بكر بن ابراهيم
ابن عبد الرحمن النقيب^(٣)، وهو آخر من كان من أعيان أصحاب الامام النووى.
وعبد الله بن محمد بن على^(٤)، وقال النووى عنه : " وهو من فضلاء أصحابنا
المتأخرين^(٥)" وغير هؤلاء كثير من تلاميذ الامام النووى .

(١) البدر محمد بن ابراهيم بن سعد الله بن جماعة بن على بن جماعة ،
محدث فقيه ، مولده سنة ٦٣٩هـ بحماه ، ولى قضاء القدس مدة ثم درس
بالقيصرية بدمشق ، ولى قضاء القضاء بمصر - ثم دمشق ، مات بمصر سنة
٧٣٣ هـ .

المراجع : " السبكي ١٣٩/٩ - ١٤٠ ، البداية والنهاية ١٦٣/١٤ ، شذرات
الذهب ١٠٥/٦ ، طبقات الاسنوى ٣٨٦/١ " .

(٢) أبو حفص محمد بن كثير بن ضو بن كثير القرشى ، ولد سنة ٦٤٠ هـ ، وعنى
بالنحو والعربية واللغة ، وحفظ اشعار العرب ، وتمذهب للشافعى ،
وأخذ عن النووى . . . ، توفى سنة ٧٠٣ هـ .
المراجع : " ابن كثير ٣١/١٤ - ٣٢ " .

(٣) الشمس محمد بن ابى بكر بن ابراهيم النقيب ، الحاكم بحمص ثم طرابلس
ثم حلب ، ثم مدرس الشامية البرانية ، وصاحب النووى ، واعظم بتلك
الصحة رتبة عليّة ، وله الديانة والعفة ، والورع ، وكان من أساطين
المذهب الشافعى . . . ، ولد سنة ٦٦٢ هـ وتوفى شانى عشر ذى القعدة
سنة ٧٤٥ هـ ، بالمدرسة الشامية .

المراجع : " السبكي ٣٠٧/٩ - ٣٠٨ ، الدر الكامنة ١٩/٤ ، الاسنوى ٢/
٥١٢ ، شذرات الذهب ١٤٤/٦ " .

(٤) عبد الله بن محمد بن على بن ابى عقامة أبو الفتوح القاضى ، وصاحب
كتاب " الخناثى " ، قال النووى : " وهو من فضلاء اصحابنا المتأخرين
له مصنفات حسنة ، من أغربها وانفسها " كتاب الخناثى " مجلد لطيف
فيه نفائس حسنة ، ولم يسبق الى تصنيف مثله " .

المراجع : " السبكي ١٣٠/٧ ، تهذيب الاسماء واللغات ٢٦٢/٢ ، طبقات
ابن هداية الله ٧٨ " .

(٥) تهذيب الاسماء واللغات ٢٦٢/٢ .

وأما عن أخلاقه فإنه كان كثير العبادة. و " الزهد والقناعة ومتابعة السالفين من أهل السنة والجماعة ، والمثابرة على أنواع الخير، لا يعرف ساعة من غير طاعة (١) ". وأثر عنه الشجاعة وقوة الايمان والصراحة فى قول الحق ، فقد كان يواجه الملوك والسلطين والظلمة ويخوفهم بالله تعالى . ويقول عنه القطب اليونينى (٢) . " أنه كان كثير التلاوة للقرآن والذكر ، معرضا عن الدنيا مقبلا على الآخرة (٣) ". ويصفه تلميذه ابن العطار بقوله : " وكان رفيقا بى شقيقا علي لا يمكن أحدا من خدمته غيرى على جهد منى فى طلب ذلك منه ، مع مراقبته لى فى كل حركاتى وسكناتى ، ولطفه بى فى جميع ذلك ، وتواضعه معى فى جميع الحالات ، وتأديبه لى فى كل شىء حتى الخطرات وأعجز عن حصر ذلك (٤) ". وقال عنه الذهبى : " ترك جميع الجهات الدنيوية فلم يكن يتناول من جهة من الجهات درهما ، وأنه ما أخذ للاشرفية فيما بلغنى جامكيه(*) بل اشترى بها كتباً ووقفها (٥) ". وقد وصفه السبكي بقوله : " الشيخ الامام العلامة ، علم الزهاد، وقدوة العباد، محي علوم الاولين ، وممهد سبل الصالحين " (٦) .

-
- (١) السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى " مرجع سابق " ، ج ٨ ، ص ٣٩٦
 (٢) هو موسى بن محمد اليونينى البعلبكي ، قطب الدين الفتح، مؤرخ توفى فى دمشق سنة ٧٢٦ هـ " شذرات الذهب ٧٣/٦ - ٧٤ " .
 (٣) السخاوى ، ترجمة النووى " مرجع سابق " ، ص ١٢ .
 (٤) المرجع السابق، ص ٣٠ .
 (*) الجاميكة : وجميعها جوامك وهي مرتبات خدام الدولة والجنود
 المرجع ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة " مرجع سابق "
 ج ١٢ ، ص ١٧٢ ، ٢٢٨ .
 (٥) المرجع السابق ، ص ٣٧
 (٦) الطنطاوي ، الامام النووى ، " مرجع سابق " ، ص ٢٢ .

وأما عن مكانته فنذكر ما رواه المؤرخون عنه ، فقد ذكر الذهبي
في كتابه "سير النبلاء" قوله :

" الشيخ القدوة ، الحافظ الزاهد العابد ، الفقيه
المجتهد الرباني ، شيخ الاسلام ... صاحب التمانين
التي سارت بها الركبان ، واشتهرت بأقاصي البلدان ..."
الى ان قال : " لازم الاشتغال والتصنيف محتسبا في
ذلك مبتغيا وجه الله مع التعبد والصوم والتهجد
والذكر والأوراد ، وحفظ الجوارح وضم النفس ، والصبر
على العيش الخشن ، ... ، وكان مع ملازمته التامة
للعلم ، ومواظبته لدقائق العمل ، وتركه النفس
من شوائب الهوى ، وسيء الاخلاق ... ، عارفا
بالحديث ، قائما على اكثر فنونه ، عارفا برجاله ،
رأسا في نقل المذهب ، مستضلعا من علوم الاسلام (١) " .

وقال الذهبي في كتابه " العبر " : " وكان [النووي] مع تبحره
في العلم ، وسعة معرفته بالحديث والفقه واللغة وغير ذلك بما قد سارت
به الركبان ، رأسا في الزهد ، وقدوة في الورع عديم المثل في الامور
بالمعروف والنهي عن المنكر (٢) " وقال عنه ابن كثير في طبقات
الشافعية له ونقله السخاوي بقوله : " الشيخ الامام ، العلامة
الحافظ ، الفقيه النبيل ، محرر المذهب ومهذب ، وضابطه ومرتبته ، أحد
العباد والعلماء الزهاد ، وكان على جانب كبير من العلم والعمل والزهد
والتثقيف ، والاقتصاد في العيش ، والصبر على خشونته ، والتورع الذي لم
يبلغنا عن أحد في زمانه ولا قبله بدهر طويل (٣) " وأرخ له الشيخ قطب

(١) عبد الغني الدقر ، الامام النووي ، ص ١٧٥ ، السخاوي ، ص ٥٨ ، السبكي

• ٣٩٦/٨

(٢) الذهبي ، العبر ، ج ٥ ، ص ٣١٢ - ٣١٣ .

(٣) السخاوي ، ص ٦١ .

الدين اليونيني ونقله الذهبى بقوله : " كان أوحـد زمانه فى العلم والورع والعبادة والتقلـل وخشونة العيش^(١) " ويقول عنه ابن كثير " العلامة شيخ المذهب وكبير الفقهاء فى زمانه^(٢) " ، وهناك الكثير والكثير عن مكانة الامام النووى بين العلماء وهذا غيض من فيض . وتوفى - رحمه الله - ليلة أربع وعشرين من رجب من سنة ست وسبعين وستمائة بنـووى^(٣) ودفن بها بعد حياة حافلة بالعلم والمجاهدة والزهد والورع رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته .

ويستنتج الباحث مما سبق مايلـى :

- ١ - ان الامام النووى بدأ فى طلب العلم وهو فى سن مبكره .
- ٢ - ممارسة الامام النووى للتدريس عمليا واشتغاله به عند تأهله لذلك .
- ٣ - اهتمامه بجميع العلوم وبخاصة العلوم الشرعية والعربية . فهما يأتيان فى المرتبة الاولى من اهتمامه ، ولذا كان اكثر مؤلفاته فيهما .
- ٤ - تفرغه لطلب العلم وعدم الاشتغال بغيره ليلا أو نهارا .

(١) الذهبى ، تذكرة الحفاظ " مرجع سابق " ، ج ٤ ، ص ١٤٧٣ .
(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية " مرجع سابق " ، ج ١٣ ، ص ٢٧٨ .
(٣) الذهبى ، تذكرة الحفاظ " مرجع سابق " ، ج ٤ ، ص ١٤٧٣ .

الفصل الثاني

منهج الإمام النووي الإصلاحى

- دعوته الإصلاحية للسياسة .
- العدالة الاجتماعية وتطبيق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الفصل الثانى

منهج الامام النووى الاصلاحى ودعوته

١ - دعوته الاصلاحية للسياسة

إن تاريخ الاصلاح والتجديد متصل فى الاسلام ، فالاصلاح والكفاح مترافقان لهذه الأمة الاسلامية ، لايتخلفان عنها ، وكان لسيرة الامام النووى وحياته النزيهة ، " وزهده فى حطام الدنيا ، وابتعاده عن مناصب الدولة ، وتمرده على الشهوات ، ومواجهته لكبار الملوك والسلاطين بالحق ، وارشاده للخلق باخلاص ونزاهة ، ولايمانه القوى تأثير فى نفوس الناس ، فقد أدى حق النصيحة ، وحذر من سطوة الله ، وتبرأ من الجور الفاشى ، والظلم القاسى " (١) .

ولقد دعا الامام النووى الى الاصلاح السياسى فى عصره ، وذلك بأن تكون الدولة الاسلامية على جانب كبير من القوة فيما يتعلق بشؤون الحياة والتي تربط بين الحاكم والمحكوم ، آخذة بالاصول الصحيحة الواردة فى كتاب الله وسنة رسوله ومطبقة لمنهج الله وأحكامه كما طبقها السلف الصالح . فالدين والدولة لايمكن الفصل بينهما ، وبدون قوة الدولة يتعرض الدين للخطر ، وبدون دعائم الشريعة تنقلب الدولة الى مؤسسة ظالمة لرعاياها . وحتى تبقى الدولة حارسة للدين كما ينبغى ، يجب على كل فرد

(١) أبو الحسن الندوى ، رجال الفكر والدعوة فى الاسلام " مرجع سابق " ، ص ٩٠ .

من أفرادها أن يقوم بواجبه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن يمارس حقه في النصيح (١).

فصلاح الناس متعلق بصلاح العلماء والحكام ، وفسادهم بفساد علماءهم وحكامهم ذلك ما نطق به الامام أبو الفرج ابن الجوزي حيث قال : " صنفان - اذا صلحا - صلت الأمة ، واذا فسدت فسدت الأمة : السلطان والعلماء (٢) ". ويقول سفيان الثوري كما نقله أبو نعيم الاصبهاني : " وصنفان اذا صلحا صلح الناس : السلطان والقراء (٣) ، وهذا ما أثبتته الواقع العملية في كل عصر ومصر . فصلاح الفرد يؤول الى اصلاح المجتمع وهو الغرض الاسمي للاسلام ، ويؤكد ذلك الغزالي ، بقوله : " ففساد الرعايا بفساد الملوك وفساد الملوك بفساد العلماء (٤) "

وبطبيعة الحال فقد برز من خرج عما ألفه العلماء من آداب ، فصار يذهب بعض العلماء الى قصور الملوك والسلاطين والأمراء ، ويتباهون بذلك .

(١) ماجد الكيلاني ، الفكر التربوي عند ابن تيمية " مرجع سابق " ، ص ٦٨ .

(٢) أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي ، المصباح المضيئ في خلافة المستفيين ، تحقيق ناجية عبد الله (بغداد : وزارة الأوقاف العراقية ، ، ١٩٧٦) ، ح ١ ، ص ٢٤٥ .

(٣) أبو نعيم أحمد عبد الله الاصبهاني ، حلية الاولياء وطبقات الاصفياء ، ط ٢ (بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٩٦٧) ح ٧ ، ص ٥ .

(٤) الغزالي ، أبو حامد محمد ، احياء علوم الدين (القاهرة : دار الشعب ، د . ت) ح ٧ ، ص ٩٢ .

وفى ذلك يقول أبو الفرج عبد الرحمن الجوزى : " فمن تلبس إبليس على الفقهاء مخالطتهم الأمراء والسلطين ومداهنتهم وترك الإنكار عليهم مع القدرة على ذلك ، وربما رخصوا لهم فيما لارخصة لهم فيه ، لينالوا من دنياهم عرضا فيقع بذلك الفساد " (١) . لأن الدخول على السلطين خطر عظيم على العلماء ، ولأن نواياهم قد تحسن فى أول الدخول ، ثم تتغير باكرامهم وانعامهم ، أو بالطمع فيهم ، ومن ثم لا يمتاسكون عن مداهنتهم وترك الإنكار عليهم (٢) ، وقد كان علماء السلف يبعدون عن الأمراء لما يظهر من جورهم فتطلبهم الأمراء لحاجتهم اليهم فى الفتاوى والولايات (٣) . وقد استدل النووى على ذلك " بجهل هذا النفر من المعلمين وفساد نواياهم (٤) " .

ونجد أن الامام النووى يقف من السلطان الظاهر بيبرس الموقف الصلب الذى لاتلين قناته ، والسلطان فى قمة جبروته وعنقوان قوته ماهابه ولا خشى وعيده ورمى فى وجهه بكلمة الحق سافرة صارخة ، جريئة مدوية ، خوفا على الرعية ، حفاظا على الدين ، وصونا للحق .

واليك بعضا من صور كتابات ورسائل الامام النووى الى الملوك والسلطين . يقول عنه تلميذه ابن العطار : " وكان مواجهها للملوك

(١) ابن الجوزى ، تلبس إبليس ، تصدير احمد حمدى امام (القاهرة : مطبعة المدنى ، ١٤٠٣) ، ص ١٦٩ .

(٢) ، (٣) المرجع السابق ، ص ١٧٠ .

(٤) النووى ، التبيان فى آداب حملة القرآن ، " مرجع سابق " .

والجبايرة بالانكار ، لاتأخذه فى الله لومة لائم ، بل كان اذا عجز عن
المواجهة كتب الرسائل ويتوصل الى ابلاغها (١) " فمما كتبه وغيره من الشيوخ
للسلطان بيبرس يذكرونه ويدعون به الى النظر فى احوال رعيته والرفق
بهم ، وليس فيما يقولونه ضرر بل هو نصيحة محضة ، وشفقة تامة . ولقد
جاء رد الجواب من السلطان بالانكار والتوبيخ والتهديد . وبالتالى فلم
يسكت النووى على ذلك بل رد عليه برسالة أخرى جاء فيها " ... والسلطان
يعلم أنها نصيحة له وللرعية ، وليس فيها ما يلام عليه ، ولم نكتب للسلطان
الا لعلمنا بأنه يحب الشرع ومتابعة أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى الرفق بالرعية والشفقة عليهم ، واكرامه لأشار النبى صلى الله عليه
وسلم ، وكل ناصح للسلطان موافق على هذا الذى كتبنا (٢) " . وكذلك قوله
عندما اشتدت الحالة سوءا بأهل الشام وأصبحوا فى ضيق عيش وضعف حال
بسبب قلة الامطار وغلاء الاسعار ، وقلة الغلات والنبات وغير ذلك : " أنه
تجب الشفقة على الراعى والرعية ، ونصيحته فى مصلحته ومصلحتهم ، فإن
الدين النصيحة (٣) " .

ولقد أوضح لنا الامام النووى من خلال كتاباته ورسائله أن تهديد
السلطان للرعية فيه ظلم لهم ، فليس هو المرجو من عدل السلطان وحلمه
برعيته ، وذلك بسبب نصيحة العلماء له ، ودون علمهم بذلك فيقول : " فكيف
يؤاخذون به لو كان فيه ما يلام عليه ؟ (٤) " ، وأما تهديد الرعية من
قبل السلطان دون ذنب اقترفوه فيرد الامام النووى على السلطان بقوله

-
- (١) السخاوى ، ترجمة النووى " مرجع سابق " ، ص ٤٠ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٤٢ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٤٠ .
(٤) المرجع السابق ، ص ٤٢ .

" وأما تهديد الرعية بسبب نهيحتنا وتهديد طائفة فليس هو المرجو من عدل السلطان وحلمه ، فأى حيلة لضعفاء المسلمين المفرقين فى أقطار ولاية السلطان فى كتاب كتبه بعض المسلمين الناصحين نهيحة للسلطان ولهم ، ولا علم لهم به (١) " . وأما عن نفسه فإنه كان لا يخشى التهديد ولا أكثر منه وهو القتل فيقول فى ذلك : " وأما أنا فى نفسى فلا يضرنى التهديد ولا أكثر منه " (٢) وقوله أيضا : " وأنا بحمد الله تعالى ممن يود القتل فى طاعة الله تعالى " (٣) .

وبعد ذلك فهذه الامثلة تدل على حرص الامام النووى الشديد على المصلحة العامة للمسلمين وليست المصلحة الشخصية . بالاضافة الى اصراره القوى فى دعوة السلطان الى اصلاح نفسه وأمرائه لأن بهم صلاح الرعية والبلاد . فيقول فى ذلك " ولايمنعنى ذلك من نهيحة السلطان ، فانى أعتقد أن هذا واجب على وعلى غيرى ، وما ترتب على الواجب فهو خير وزيادة عند الله تعالى ... وأن نقول الحق حيثما كنا ، وأن لانخاف فى الله لومة لائم ... ولاحجة لنا عند الله اذا تركنا النهيحة الواجبة علينا (٤) " .

ونجد للامام النووى مواقف كثيرة مع السلطان الظاهر بيبرس منها : " موقفه عندما طلب السلطان بيبرس أن توقع له فتوى من قبل العلماء على جواز أخذ مال الرعية ليستنصر به على قتال الاعـداء ، فوقعها كثير من فقهاء الشام ، بعضهم خوفا وبعضهم

(١) السخاوى ، ترجمة النووى " مرجع سابق " ص ٤٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٢ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٥٣ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٤٢ - ٤٣ .

طمعا ، وامتنع خلق من العلماء على فتواه بالجواز ، مما أدى الى قتل الكثير منهم ، فسأل السلطان هل بقى أحد من العلماء لم يوقع على الفتوى ؟ قالوا بقى الامام النووى ، فطلب من النووى التوقيع وقال له السلطان : اكتب بخطك مع الفقهاء الموافقين له فامتنع النووى وقال : لا ، فقال ما سبب امتناعك ؟ فقال : أنا أعرف أنك كنت فى الرق للامير بندقدار ، وليس لك مال ، ثم من الله عليك وجعلك ملكا ، وسمعت أن عندك ألف مملوك كلهم عنده حياصة^(١) من ذهب ، وعندك مائتا جارية لكل جارية حق من الحلى . فاذا أنفقت ذلك كله ، وبقيت ممالكك بالبندود والصوف بدلا من الحياصات الذهب ، وبقيت الجوارى بثيابهن دون الحلى ، ولم يبق فى بيت المال شىء من نقد أو متاع أو أرض . أفيتيتك بأخذ المال من الرعية ، وانما يستعان على الجهاد وغيره بالافتقار الى الله تعالى ، واتبع آثار نبيه صلى الله عليه وسلم . فغضب السلطان من كلامه وقال : أخرج من بلدى يعنى دمشق فقال الشيخ : السمع والطاعة وخرج الى نوى فقبل للملك ما سبب عدم قتلك له ؟ فقال : كلما أردت قتله أرى على عاتقه سبعين يريدان افتراس فامتنع من ذلك . فقال الفقهاء ان هذا من كبار علمائنا وملحائنا وممن يقتدى به فأعده الى دمشق ، فرسم برجوعه فامتنع وقال : لا أدخلها والظاهر بها ، فمات الظاهر بعد شهر يوم الخميس السابع والعشرين من المحرم سنة ٦٧٦ هـ بدمشق^(٢) .

(١) الحياصة : الثياب الموشاة بالذهب فى مضايقها .

(٢) السخاوى " ترجمة النووى " مرجع سابق " ، ص ٨٠ .

ويعتبر الامام النووى المرجع للناس فى كل ملمة تلم بالبلد ، وكان مفزع الناس فى الخطوب اليه ، واعتمادهم بعد الله فى الملمات عليه وكان سفيرهم الى الملوك ووسيلتهم الى السلاطين . فهو لم يعتزل دنياه فلا يدري ماذا فيها ؟ وانقطع عن الناس فلا يعرف ما هم عليه ، بل انه لم يكن يلين للسلاطين ويتذلل لهم حتى لا يبالوا به ، ولم يكن يغلظ عليهم ، ويشدد معهم حتى ينفروا منه ، بل كان يعرف كيف يخاطبهم ، فيمدحهم بما هو فيهم من فضيلة ، وينكر عليهم ما هم فيه من مخالفة (١) . ولقد كان السلف " يتلطفون فى الانكار ، وأولى الناس بالتلطف فى الانكار على الامراء فيصلح أن يقال لهم : ان الله قد رفعكم فاعرفوا قدر نعمته ، فان النعم تدوم بالشكر ، فلا يحسن أن تقابل بالمعامى (٢) " .

وسيتناول الباحث بعضا من كتابات الامام النووى فى النصح للسلطان مع ملاطفته له فيقول النووى : " وقد أوجب الله على المكلفين نسيحة السلطان أعز الله أنصاره ، ... ومن نسيحة السلطان - وفقه الله لطاعته ، وتولاه بكرامته (٣) " وقوله أيضا فى احدى رسائله " وقد شاع بين الخاص والعام أن السلطان كثير الاعتناء بالشرع ، ويحافظ على العمل به ، وأنه بنى المدارس لطوائف العلماء ، ورتب القضاء من المذاهب الاربعة ، وأمر بالجلوس فى دار العدل لاقامة الشرع ، وغير ذلك مما هو معروف من اعتناء السلطان - أعز الله أنصاره - بالشرع ، وأنه اذا طلب طالب منه العمل

-
- (١) على الطنطاوى ، الامام النووى " مرجع سابق " ، ص ٣٢ .
(٢) ابن الجوزى ، تلبيس ابليس " مرجع سابق " ، ص ٢١٢ .
(٣) السخاوى " مرجع سابق " ، ص ٤٣ ، ٥٣ .

بالشرع أمر بذلك ولم يخالفه (١) . وكل ماكتبه الامام النووى فى رسائله يهدف الى اصلاح الامور التى أصبحت مخالفة لشرع الله عز وجل وهدى نبيه صلى الله عليه وسلم ، ومع ذلك فالامام يذكر محاسن السلطان بيبرس دون غمط لها كما سبق ذكرها .

وغاية الامام النووى من ذلك هو ماذكره فى احدى رسائله للسلطان بقوله : " ونحن نحب للسلطان معالى الامور وأكمل الاحوال ، وما ينفعه فى آخرته ودنياه ، ويكون سببا فى دوام الخيرات له ، ويبقى ذكره له على ممر الأيام ، ويخلد فى سننه الحسنة ويجد نفعه (٢) " . وكذلك فان غرض الامام النووى وغايته من اصلاح السياسى فى عصره ودعوته اليه بالسلطان والقلم ماهو الا " غيرة على الشرع ، واعظاما لحرمان الله تعالى ، واقامة للدين ، ونصيحة للسلطان وعامة المسلمين (٣) " .

وان أفضل جهاد هو كلمة حق عند سلطان ظالم لرعيته يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : " أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر (٤) " فنجد أن السلطان الظاهر بيبرس مع جبروته وسطوته وعنفوان قوته ، كان يفزع من الامام النووى لجراته فى الحق دون مهابة من أحد . يقول القطب اليونينى : " انه جآى النووى - واقف الظاهر غير مرة بدار العدل بسبب الحوطة على بساتين دمشق فحكى عن الملك الظاهر أنه قال : أنا أفزع منه (٥) "

(١) السخاوى ، ترجمة النووى " مرجع سابق " ، ص ٥٠ - ٥١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٣ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٥٣ .

(٤) رواه احمد وابن ماجه .

(٥) السخاوى " مرجع سابق " ، ص ٤٥ .

ويقول الحافظ الشمس بن ناصر الدين الدمشقي في " التبيان لبديعه الزمان " : " وكانت له - آى للنووى - هيبة ووقار باهر حتى كان يخاف منه الملك الظاهر (١) " .

والواقع ان ما يحمل للناس من سوء الادارة من قبل الزعماء والحكام يقع ضرره بالدرجة الاولى عليهم وعلى مصالحهم ، وفي هذا العدد يقول المقرئى : " ليس بالناس سوى سوء تدبير الزعماء والحكام ، وغفلتهم عن النظر فى مصالح العباد (٢) " فما من شك أن الاصلاح عموما يبدأ من الفرد ثم يعود عليه فذلك الاصلاح التربوى أيضا . وهناك ارتباط وثيق بين منهج الامام النووى الاصلاحى ومنهجه التربوى له حيث أن الامام النووى " لم يكن يكتفى بتلقين تلاميذه العلم فحسب ، بل كان يأخذهم بحسن السلوك مع الله ومع الناس (٣) " . اضافة الى اهتمامه بمشاكل مجتمعه وسعيه لحلها ، ولاصلاح المجتمع كله . فيقول : " اعلم ان التعليم هو الاصل الذى به قوام الدين وبه يؤمن امحاق العلم ، فهو من أهم أمور الدين وأعظم العبادات " (٤) .

لذا فان العلم أساس كل اصلاح ، وتاج كل نهضة ، والتعليم ليس الا السبيل الى نشر العلم وثقافة العقول به وتهذيب النفوس (٥) " . فعن

-
- (١) السخاوى " مرجع سابق " ، ص ٦٣ .
 - (٢) تقى الدين احمد بن على المقرئى ، اغاثة الامة بكشف الغمة ، تقديم بدر الدين السباعى (دار ابن الوليد ، ١٩٥٦) ، ص ٥ .
 - (٣) على الطنطاوى ، الامام النووى " مرجع سابق " ، ص ٢٦ .
 - (٤) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٥٠ .
 - (٥) احمد الاهوانى التربية فى الاسلام " مرجع سابق " ، ص ٥ .

طريق التعليم والتربية يحمل العلم للناس . ومعرفة ما يجب عليهم من حقوق وواجبات نحو الحكام والناس ، فالعلم مرتبط ارتباطا وثيقا بالاصلاح لأن الناس عن طريقه يعرفون ما لهم وما عليهم ، فيتم بذلك التناصح بما يصلح الحكام عن طريق العلماء الغيورين على شرع الله ، وهذا يترتب عليه صلاح أحوال الناس والبلاد . اذا فالدعوة الى الاصلاح مشروطة بالعلم ، لأن الجاهل ربما دعا الى الباطل ، وأمر بالمنكر ، ونهى عن المعروف . وهذا اتجاه تربوي رشيد رسمه الامام النووي لمن يريد الاصلاح ، وهو أن يبدأ باصلاح البيئة ذاتها .

٢ - دعوته الى العدالة الاجتماعية وتطبيق الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

يعد الامام النووي من الذين " يحسون بآلام الناس ، وضيقهم ومظالمهم ، ليس عنده من حب الذات ذرة واحدة (١) " ، فانه كان يمشى مع المظلومين حتى تثبت حقوقهم فهو يسعى الى العدالة الاجتماعية في مجتمعه . ولذا فهو يرسل الرسائل متى عجز عن مواجهة الملوك والسلاطين ويتوصل الى ابلاغها للسلطان والتي تتضمن العدل في الرعية ، وازالة المكوس عنهم ، ويذكره دائما بالنظر في أحوال رعيته والرفق بهم ، وازالة الضرر عنهم . لأن الاسلام " يفرض قواعد العدالة الاجتماعية ، ويضمن حقوق الفقراء في أموال الأغنياء ، ويضع للحكم وللمال سياسة عادلة (٢) " .

(١) عبد الغنى الدقر : الامام النووي " مرجع سابق " ، ص ١٥٨ .
(٢) سيد قطب : العدالة الاجتماعية في الاسلام (القاهرة : دار الشروق ، ١٤٠٠) ، ص ٢٠ .

فالعدالة الاجتماعية فى الاسلام هى " عدالة انسانية شاملة لكل جوانب الحياة الانسانية ومقوماتها ، وليست مجرد عدالة اقتصادية محدودة . وهى اذن تتناول جميع مظاهر الحياة وجوانب النشاط فيها ، كما تتناول الشعور والسلوك ، والضماير والوجدانات . والقيم التى تتناولها هذه العدالة ليست القيم الاقتصادية وحدها ، وليست القيم المادية على وجه العموم ، انما هى هذه ممتزجة بها القيم المعنوية والروحية جميعا (١) " .

ومن خلال ذلك فقد حرص الامام النووى على مصلحة اخوانه من الفقهاء وغيرهم ، وذلك عندما صدر مرسوم سلطانى يقضى بأن لا يكون الفقيه منزلا (أى يعمل) فى اكثر من مدرسة فيقول النووى فى ذلك : " قد بلغ الفقهاء أنه رسم فى حقهم بأن يغيروا عن وظائفهم ، ويقطعوا عن بعض مدارسهم ، فتأكدت بذلك أحوالهم ، وتضرروا بهذا التضييق عليهم ، وهم محتاجون ولهم عيال ... واللائق ... اكرام هذه الطائفة والاحسان اليهم ومعاضدتهم ، ودفع المكروهات عنهم والنظر فى أحوالهم بما فيه من الرفق بهم ، فقد ثبت فى صحيح مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " اللهم من ولى من أمر أمتى شيئا فرفق بهم فأرفق به (٢) " . فتحقيقا للعدالة الاجتماعية فى مجتمعه ، دعا الامام النووى السلطان الى ابقاء الفقهاء فى مدارسهم لأنهم محتاجون للمال لكثرة عيالهم الذين يحتاجون الطعام والشراب والكساء وغير ذلك ، ولأن هؤلاء الفقهاء ليس لهم موارد رزق خاصة

(١) سيد قطب ، العدالة الاجتماعية " مرجع سابق " ، ص ٣٢ .

(٢) السخاوى ، ترجمة النووى " مرجع سابق " ، ص ٤٦ ؛ جلال الدين السيوطى ، المنهج السوى فى ترجمة الامام النووى ، ص ٢٩ - ٣٠ .

وانما مورد رزقهم بيد الحكام فليس للسلطان " أن يحفى الناس ، فيأخذ كل مالهم ويدعهم فقراء ؛ أو يجعل موارد رزقهم كلها فى يديه يستذل أعناقهم بها ويجعلهم عبيدا له ، ويفقدهم القدرة على أن يقوموا بواجبهم فى النسيحة الحرة والرقابة الواعية ، وتغيير المنكر أيا كان مصدره (١) "

ولقد أوضح الامام النووى تلك العدالة الاجتماعية فى احدى رسائله للسلطان الظاهر بيبرس ، وذلك عندما قرر السلطان أخذ مال من الرعيّة ليستنصر بها فى قتال العدو . قال فيه : " فاذا قرر السلطان له أجنادا مخصوصين ولهم أخبار معلومة من بيت المال كما هو الواقع ، تفرغ باقى الرعية لمصالحهم ومصالح الاجناد والسلطان وغيرهم من الزراعة والصنائع وغيرهما مما يحتاج الناس كلهم اليها ، فجهاد الاجناد مقابل بالاخبار المقررّة لهم ولايحل أن يؤخذ من الرعية شيء مادام فى بيت المال شيء من نقد أو متاع أو أرض أو ضياع تباع أو غير ذلك ... وبيت المال بحمد الله معمور (٢) " .

فهنا الامام النووى يحدد مسئوليات الجند مادام لهم رواتب مخصصة من الدولة فى قتال الاعداء ، وكذلك عدم جواز أخذ المال من الرعيّة مادام بيت مال المسلمين عامرا بالاموال ، ويتمتع به السلطان وخاصته .

(١) سيد قطب ، العدالة الاجتماعية " مرجع سابق " ، ص ١١١ .

(٢) السخاوى " مرجع سابق " ، ص ٤١ - ٤٢ ، السيوطى : المنهج السوى فى ترجمة الامام النووى " مرجع سابق " ، ص ٢٤ - ٢٥ .

لذا نرى الامام النووى لايجيز أخذ مال من الرعية حسب هذه الاحوال التى ذكرها . ولان من العدالة الاجتماعية ممارسة النقد البناء لمعالج المجتمع بكل جرأة من قبل العلماء وهذا ما فعله الامام النووى تجاه السلطان الظاهر بيبرس .

فلم يكن الامام النووى آنذاك يعيش فى برج عاجى منطويا على نفسه ، منفصلا عن مجتمعه ، بل كان عظيم التجاوب معه ، شديد الاحساس بما يجب عليه من المشاركة الايجابية فى اسعاده ، واصلاح حاله ، لان الرقبة الاجتماعية فى صورته الحقيقية هو " أن يكون الفرد فعلا معطاءا ذا أثر فى الحياة (١) " . وهذا ما كان عليه الامام النووى من قدرته على التكيف والاندماج مع الآخرين والعيش معهم ومخالطتهم والتفاعل معهم والاهتمام بشؤون أمته التى ينتمى اليها ، وبمجتمعه الذى هو فرد من أفرادها . فهو يطبق قول الرسول صلى الله عليه وسلم وينفذه ليصبح من المسلمين : " من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم (٢) " . ويذكر الامام النووى أن أمور المسلمين لاتعمل الى السلطان كما ينبغى بل تحرف الى غير وجهها الصحيح ، وهذا ليس من العدالة الاجتماعية الحققة فى شئ . فالواجب على السلطان أن يتحرى ويتقضى أحوال رعيته ، لأن كل راع مسئول عن رعيته فالراعى والرعية مطالبان كلاهما برعاية الله فى كل تصرف ، وخشية

(١) عز الدين التميمي ، بدر اسماعيل سمرين ، نظرات فى التربية الإسلامية ، ط ١ (عمان : دار البشير ، ١٤٠٥ هـ) ، ص ٧٤ .

(٢) رواه الحاكم فى المستدرک ٣١٧/٤ .

الله هي الضمانة الأخيرة في تحقيق العدالة (١) " ولذا فان الامام النووي يعظ السلطان وينبه الى أمر خطير ألا وهو أن أمور المسلمين لاتنهي اليه على وجهها بل تحرف حسب أهواء الولاة ، فيقول : " ولو رأى السلطان ما يلحق الناس من الشدائد ، لاشتد حزنه عليهم ... ولكن لاتنهي اليه الامور على وجهها ، فبالله آغث المسلمين يغثك الله ، وارفق بهم يرفق الله بك (٢) " . ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : " مامن عبدا يسترعيه الله رعية فلم يخطها بنمسيحه الا لم يجد رائحة الجنة (٣) " .

فمحتملة القول أن " العدالة في نظر الاسلام مساواة انسانية ينظر فيها الى تعادل جميع القيم ، بما فيها القيمة الاقتصادية البحتة . وهي على وجه الدقة تكافؤ في الفرص ، وترك المواهب بعد ذلك تعمل في الحدود التي لاتتعارض مع الاهداف العليا للحياة (٤) " . والمهم في عدالة الاسلام " أنها لم تكن مجرد نظريات ، بل أخذت طريقها الى واقع الحياة (٥) " ومن هنا كان العدل أصلا من أعظم أصول التشريع في الاسلام ، فأينما تحقق كان التشريع الاسلامي معه . يقول ابن القيم في ذلك في كتابه " الطرق الحكمية " : " فاذا أظهرت أمارات العدل وأسفر وجهه بأى طريق كان فثم شرع الله ودينه (٦) " .

-
- (١) سيد قطب ، العدالة الاجتماعية " مرجع سابق " ، ص ١١٢ .
 - (٢) السخاوى ، ترجمة النووي " مرجع سابق " ص ٤٤ ، السيوطى المنهج السوي " مرجع سابق " ، ص ٢٨ .
 - (٣) رواه الشيخان أى البخارى ومسلم .
 - (٤) سيد قطب ، العدالة الاجتماعية " مرجع سابق " ، ص ٣٥ .
 - (٥) المرجع السابق ، ص ١٠٦ .
 - (٦) أبى عبد الله محمد بن أبى بكر المعروف بابن قيم الجوزيه ، الطرق الحكمية في السياسة الشرعية ، تقديم محمد محي الدين عبد الحميد مراجعة احمد عبد الحليم العسكرى (القاهرة : المؤسسة العربية للطباعة والنشر ، ١٣٨٠) ، ص ١٦ .

وكذلك " فالعدالة الاجتماعية لا تكون دائما على حساب الفرد . فهي

للفرد ، كما هي للجماعة (١) على حد سواء .

ويعد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر منهاجا للاصلاح الاجتماعى
ولـذا فـإن تحقيق الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مطلوب من
كل فرد فى المجتمع ، لأنه المسؤول وحده أمام ربه عن سلوكه ، وعن
حسن تعاونه مع بقية أفراد مجتمعه ، وعن تطبيق مبدأ الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر على نفسه وعلى الآخرين .

ولقد كان الامام النووى يسعى الى تطبيق مبدأ الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر على نفسه وعلى أفراد مجتمعه . وذلك
ما يرويه عنه الامام الذهبى المؤرخ فيقول : " كان عدم المثل
في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر (٢) " ولقد أجمع
المؤرخون على أن الامام النووى - رحمه الله - كان
لا يبالى فى أمره ونهيه لومة لائم ، بل لا يبالى بالاهانة
أو الموت ، ولا يكبر عنده أحد عن النصيحة حتى العلماء والامراء والملوك

(١) سيد قطب ، العدالة الاجتماعية " مرجع سابق " ، ص ١١٧ .
(٢) الذهبى ، تذكرة الحفاظ ، " مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ١٤٧٣ .

والجبابرة ، يقول عنه تلميذه ابن العطار : " كان النووى مواجها للملوك
والجبابرة بالانكار ، لا يأخذه فى الله لومة لائم (١) " . ويقول الحافظ
الشمس بن ناصر الدين الدمشقى فى " التبيان لبديعة الزمان " عنه : " ...
والقيام بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر (٢) " .

ويقول الذهبى عنه كذلك : " وكان يواجه الملوك والظلمة بالانكار ،
ويكتب اليهم ويخوفهم بالله تعالى (٣) " . وهناك قضايا مشهورة وقفها
الامام النووى فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فى وجه الملك الظاهر بيبرس
ومن أشهرها قضية الحوطة على الغوطة " بساتين الشام " . يروى القطب
اليونينى موقف الامام النووى فى ذلك فيقول : " واقف الظاهر غير مرة بدار
العدل بسبب الحوطة على بساتين دمشق وغير ذلك (٤) " .

وقال العماد ابن كثير : " أنه قام على الظاهر فى دار العدل فى
قضية الغوطة لما أرادوا وضع الاملاك على بساتينها ، فرد عليهم ذلك (٥) " .
ويقول السبكى فى طبقاته الوسطى : " وطال مافاه بالحق لا تأخذه لومة
لائم ، ونادى بحضرة الاسود الضراغم ... ونطق معتهما بالباطن الظاهر غير
ملتفت الى الملك الظاهر (٦) " .

-
- (١) السخاوى ، ترجمة النووى ، " مرجع سابق " ، ص ٤٠ .
 - (٢) المرجع السابق ، ص ٦٣ .
 - (٣) الذهبى ، تذكرة الحفاظ ، " مرجع سابق " ج ٤ ، ص ١٤٧٣ .
 - (٤) السخاوى ، ترجمة النووى " مرجع سابق " ، ص ٤٥ .
 - (٥) المرجع السابق ، ص ٤٥ .
 - (٦) المرجع السابق ، ص ٦٠ - ٦١ .

ولا غرو اذا كان الامام النووى لايبالى فى سبيل الله ، وفى سبيل الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ان يقتل أو يقطع رزقه ، فلا يبالى بالاولى أن يهان او يطرد او يضرب . وكان لايسكت عن اى مخالفة شرعية مهما يكن مصدرها من ادنى الناس الى الملوك والرؤساء ، ولم يكن يبالى فى الحق ملكا ولا سلطانا ولا عالما من العلماء حتى وان كان شيخه التاج الفزارى وذلك عندما فتح السلطان الظاهر بيبرس الفتوحات المشهورة وعم الناس الجوارى وتسروا بهن سئل التاج الفزارى عن ذلك فرخص فيه ، وصنف جزءا فى إباحة ذلك ممن غير تخميس . يقول القطب اليونينى :

" فحصل للناس بقوله : (اى التاج الفزارى) خير عظيم لان الناس لم يزالوا يغنمون ويستولدون الجوارى ويبيعوهـن فيحكم الحكام بصحة بيعهم وشرائهم واجراء جميع مايتعلق بهم على حكم الصحة . ولو فتحوا باب وجوب تخميس الغنائم لحرم وطء كل جارية تغنم قبل تخميسها ، لان نكاح الجارية المشتركة حرام فيؤل ذلك الى مفساد كثيرة . فلما وقف الشيخ النووى على ذلك نقضه كلمة كلمة وبالغ فى الرد عليه (اى على التاج الفزارى) ونسبه الى أنه خرق الاجماع فى ذلك واطلق لسانه وقلمه فى هذا المعنى (١) " .

وكان يصرف اوقاته كلها فى العلم والعمل والامر بالمعروف والنهى عن المنكر يقول عنه تلميذه ابن العطار : " قد صرف أوقاته كلها فى أنواع العلم والعمل . فبعضها للتصنيف وبعضها للتعليم ، وبعضها للصلاة . وبعضها للتلاوة والتدبر ، وبعضها للامر بالمعروف والنهى عن المنكر (٢) " .

(١) السخاوى " مرجع سابق " ، ص ٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٦ .

ويقول عنه كذلك التقى محمد بن الحسن اللخمي فيقول : " ... مشابرا على الصوم ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر في أشد المواطن وأعجبها (١) ". كما قال المحدث ابو العباس أحمد بن فرح الاشبيلي ، ونقله الذهبي عنه قوله : " كان الشيخ محيي الدين قد صار اليه ثلاث مراتب ، كل مرتبة منها لو كانت لشخص شدت اليه آباط الابل من أقطار الارض ، المرتبة الاولى : العلم والقيام بوظائفه . والمرتبة الثانية : الزهد في الدنيا ، والمرتبة الثالثة : الامر بالمعروف والنهي عن المنكر (٢) " . يقول الذهبي أيضا في وصف الامام النووي في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر : " ... يقول الحق وان كان مرا ، لا يخاف في الله لومة لائم (٣) " . ولقد كانت حياة الامام النووي كلها " وقفا على الدعوة الى دين الله امما بالكتابة والتصنيف أو الاقبال الى الناس حكاما ومحكومين يذكرهم بالله ويدعوهم اليه (٤) " وكان رحمه الله يقوم بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر بالموعظة الحسنة والكلام اللين واما بالكتابة اذا عجز عن المواجهة يقول السخاوي : " وكان أمره بالمعروف ونهيه بلسانه وقلمه (٥) " ويقول أيضا عبد الرحمن بن يوسف البعلبي فيه : " وكان أمارا بالمعروف

-
- (١) السخاوي " مرجع سابق " ، ص ٥٦ .
 - (٢) الذهبي ، تذكرة الحفاظ " مرجع سابق " ، ج ٤ ، ص ١٤٧٣ . ، السيوطي ، المنهاج السوي " مرجع سابق " ، ص ١٢ .
 - (٣) السخاوي ، " مرجع سابق " ، ص ٣٩ .
 - (٤) محمد سعيد رمضان البوطي ، هكذا فلندع الى الاسلام ، (بيروت : الشركة المتحدة للتوزيع ، د . ت) ، ص ٣١ .
 - (٥) السخاوي " مرجع سابق " ، ص ٣ .

ناهيا عن المنكر على الامراء والملوك والناس عامة (١) .

ونجد أن الامام النووي قد توفرت فيه شروط الامر بالمعروف والنهي عن المنكر منها :

١ - أن يكون الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فقيها عالما بأوامر الله ونواهيه ، فلا يتخذ عقله أو ذوقه أو هواه معدرا لأوامره ونواهيه فيضل الناس بغير علم ، وأن يكون عارفا بعلم الأحكام ومناط الامر والنهي (الحكم) . حتى لا يأمر أو ينهاي بدون معرفة لسبب الامر والنهي (٢) . فكان الامام النووي متحليا بالفقه والعلم التام بما يأمر به وما ينهاي عنه . ويقول سفيان الثوري رحمه الله في ذلك : " لا يأمر السلطان بالمعروف الا رجل عالم بما يأمر ، عالم بما ينهاي ، رفيق فيما يأمر ، رفيق بما ينهاي ، عدل فيما يأمر ، عدل فيما ينهاي (٣) " .

٢ - وينبغي أن يكون رفيقا حليما بالناس عند الامر والنهي . اذ الفرق والحلم من لوازم دعوة الناس حتى نحصل على الغرض المطلوب من الامر والنهي " لأن الله رفيق يجب الرفق في الامر كله . وما وجد الرفق في أمر الا زانه وما نزع من شيء الا شانه (٤) " . وتحقيقا لقوله

-
- (١) السخاوي " مرجع سابق " ، ص ٥٧ .
(٢) تقى الدين أبو العباس احمد بن تيمية ، الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، تحقيق محمد السيد الجليبيد ، (جدة : دار المجتمع للنشر والتوزيع ، ١٤٠٤) ، ص ٧ - ٨ .
(٣) احمد بن عبد الله احمد ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء وطبقات الاصفياء " مرجع سابق " ، ص ٦ ، ص ٣٧٩ .
(٤) صحيح مسلم ، كتاب البر ، باب الرفق ، ح ٢٠٠٤/٤ .

تعالى : ﴿ اَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ
بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ^(١) ۝ ﴾ .

٣ - وينبغي أن يكون شجاعا فى الحق ، والمراد بالشجاعة شجاعة القلب ورباطة الجأش وليست الشجاعة المطلوبة هنا فى قوة الجسم أو شدة العضلات . بالاضافة الى تحلى الداعية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بالعبر على اذى الناس ، لان الداعية لابد أن يتعرض لكثير من اذى الناس فى المال أو النفس أو الاهل .

ونجد أن تلك الأمور السابقة الفقه والعلم - العبر - الحلم - الرفق - كان الامام النووى يتحلى بها حتى أصبح عديم المثل فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر كما قال الامام المؤرخ الذهبى .

وخلاصة القول بأن هذا الأسلوب وهو الامر بالمعروف والنهى عن المنكر " من الامور الضرورية فى المجتمع الاسلامى ، اذ أن الامر بالمعروف هو وسيلة اصلاح الافراد والجماعات والمجتمع ، كما أن النهى عن المنكر وسيلة يتطبع بها من أتى منكرا ان يجد من ينهاه عنه ويرشده الى الصواب ويأمره بالمعروف فيعتدل سلوكه ويفيق الى الحق . وهذا الأسلوب لو أهمله المسلمون لعمهم البلاء ولفسد المجتمع " مصداقا لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : " ما أقر قوم المنكر بين أظهرهم الا عمهم الله بعذاب محتضر " (٢) .

(١) سورة النحل ، آية رقم ١٢٥ .

(٢) فوزى سالم عفيفى ، السلوك الاجتماعى بين علم النفس والدينى - (الكويت : وكالة المطبوعات ، د . ت) ، ص ٢٠٣ - ٢٠٤ .

فالامر بالمعروف والنهي عن المنكر مبدأ تربوي من المبادئ التربوية
السامية والضرورية والتي ينبغى على المسلمين كافة وعلى العلماء خاصة
العمل به وتطبيقه التطبيق الامثل والصحيح حتى يؤتى الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر آكله وليسود فى المجتمع الاصلاح واتباع منهج الله عز وجل
دون انتهاك لحدوده ومحارمه . ولتعود الامة الاسلامية الى سالف مجدها خير
أمة أخرجت للناس لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر كان أحد الركائز
الاساسية لها والاركان القائمة عليها .

دبکات السانی

الفکر الربوبی عند اللہ تعالیٰ والنوروی

الفصل الأول

- المنهاج .
- أعراض التعلم .
- العوامل المؤثرة في التعلم .
- طرق التدريس والدراسة في نظره .

الباب الثانى

الفكر التربوى عند الامام النووى

الفصل الأول

أولا - المنهاج

قبل أن نتعرف على المنهاج الدراسى عند الامام النووى يحسن بنا أن نعرف المنهاج فى اللغة وهو " الطريق الواضح ، وكذلك المنهج والنهج " (١) وقد وردت لفظة " منهاج " فى قوله تعالى : ﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ (٢) وهى فى هذه الآية الكريمة تعنى أيضا الطريق البين الواضح (٣) .

" أما فى الميدان التربوى فقد استخدم هذا المصطلح للدلالة على أكثر من معنى ، بل ان المرء قد يخرج بصورة مشوشة عندما يطالع التعريفات المتعددة للمنهاج (٤) " . ونجد أن هناك مفهوميين متباينين للمنهاج : المفهوم القديم أو " التقليدى " والمفهوم الحديث أو " الشامل " .

فنجد أن المنهاج بمفهومه التقليدى يركز تركيزا قويا على ايعمال مجموعة محددة من المعلومات والحقائق الى أذهان المتعلمين ، كما أنه

(١) ابن الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الافريقى ، لسان العرب (بيروت : دار صادر ، د . ت) م ٢ ، ص ٣٨٣ .

(٢) سورة المائدة ، آية رقم ٤٨ .

(٣) محمد على المابونى ، صفوة التفاسير ، م ١ ، ط ٤ (بيروت : دار القرآن الكريم ، ١٤٠٢ هـ) ، ص ٣٤٦ - ٣٤٧ .

(٤) عبدالرحمن صالح عبدالله ، المنهاج الدراسى (الرياض : مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية ، ١٤٠٥) ، ص ٣ .

يهتم بتبسيط المعارف والعلوم كي يتمكن المتعلمون من حفظها واستظهارها (١) ولذا فهو يوجه العناية الى جانب من جوانب القدرة الذهنية فقط دون غيرها مثل الحفظ والتذكر مع إغفال أى نشاط آخر ليس له صلة باتقان المادة الدراسية ويجعل ذلك خارجا عن نطاق المنهج (٢)، ثم ان المعلم فى هذا المنهج التقليدى يحرص كل الحرص على معرفة مقدار ما حفظه طلابه ، كذلك لانسى أن طريقة الشرح أو الالقاء هى التى كانت سائدة فى ظل المنهج التقليدى (٣) .

ويمكننا القول بأن مصطلح المنهج بمفهومه التقليدى يعنى ————— المقررات الدراسية (٤) فنجد من عرّفه بأنه : " مجموعة نظامية من الدروس الأكاديمية المطلوبة للحصول على شهادة فى حقل من الحقول الدراسية (٥) " ، كما كان ينظر الى المنهج قديما على أنه " مجموعة من المواد يفرض على التلميذ أن يتعلمها ويستظهرها ... وكان ينظر أيضا الى الكتاب المقرر ومتابعة دراسته على أنه النوع الوحيد من أنواع التعلم (٦) " .

- (١) عبد الرحمن صالح، المنهج الدراسى " مرجع سابق " ، ص ٣ - ٤ .
- (٢) بريكان بركى القرشى ، القدوة ودورها فى تربية النشء ، ط٢ (مكة : المكتبة الفيصلية ، ١٤٠٥) ، ص ٦٣ .
- (٣) عبد الرحمن صالح ، " مرجع سابق " ، ص ٦ - ٧ .
- (٤) حلمى الوكيل ، محمد امين مفتى ، أسس بناء المناهج وتنظيماتها (القاهرة : مطبعة حسان ، ١٩٨٢) ، ص ٦ .
- (٥) فريد نجار وآخرون ، قاموس التربية وعلم النفس التربوى (بيروت : الجامعة الامريكية ، ١٩٠٦) ، ص ١٢٢ .
- (٦) صالح عبد العزيز، التربية الحديثة - مادتها - مبادئها - تطبيقاتها العملية - ط ٧ (مصر : دار المعارف ، ١٩٦٩) ، ص ٢٣٥ .

وفى ضوء هذا المنهاج التقليدى فالمعلم يلعب دورا حاسما وفعالا فى عملية التعليم بينما يقتصر دور ونشاط التلميذ على مجرد الاستماع وتلقى مايقوله المعلم " بل ان الهدف من التربية انتقل من المتعلم الى المادة الدراسية فأصبح اتقان المقرر الدراسى هو الركن الأساسى فى المنهاج التقليدى بغض النظر عن مدى ملاءمته لحالات المتعلمين ودوافعهم^(١) " وعلى هذا نجد " ان الكتاب المقرر كان يلعب دورا كبيرا فى تحديد المنهج (٢) " .

أما ما يتعلق بالخبرات التى يحصل عليها المتعلمون ، والأنشطة المدرسية خارج المدرسة أو داخلها فى ظل المنهاج التقليدى فيعتبر ضربا من الترف الفكرى ، اذ لم يكن يلقى لها بال من مخطى المنهج، وبالتالي " فهى لا تلقى أدنى اهتمام من القائمين على أمور التربية لوقوعها خارج اهتمام المدرسة (٣) " .

أما فى العصر الحديث (فى القرن الثامن عشر الميلادى وما بعده) فقد اتجه علماء التربية الحديثة الى تلافى العيوب والقصور الذى تضمنه المنهاج القديم أو " التقليدى " بحيث " أصبح المنهج يعمل على النواحي التالية :

- العناية الشاملة بجميع نواحي نمو التلاميذ .
- الاهتمام بتوجيه سلوك التلاميذ نحو الأهداف التربوية المنشودة .

(١) عبد الرحمن صالح ، المنهاج الدراسى ، " مرجع سابق " ، ص ٤ .
(٢) صالح عبد العزيز " مرجع سابق " ، ص ٢٣٥ .
(٣) عبد الرحمن صالح " مرجع سابق " ، ص ٥ .

- تهيئة المجال أمام التلاميذ لتكامل خبراتهم وتفاعلهم مع بيئتهم .
- توثيق العلة بين المدرسة والمجتمع . (١)

وبناء على المواصفات الجديدة للمنهاج ، فقد أصبح مفهوم المنهاج الحديث أو " الشامل " يعنى " مجموع الخبرات (الثقافية والاجتماعية والرياضية والفنية) والمواقف التعليمية وأوجه النشاط التى توفرها المدرسة لتلاميذها داخل جد رانها وخارجها بهدف مساعدتهم على النمو المتكامل لنواحى شخصياتهم ، وتعديل سلوكهم ، طبقا لأهدافها التربوية ، لتجعل منهم أفرادا نافعين لأنفسهم ولمجتمعهم (٢) " . كما يعرف المنهاج بمفهومه الحديث أيضا بأنه " مجموع الخبرات التى تهيؤها المدرسة للتلاميذ داخلها أو خارجها بقصد مساعدتهم على النمو الشامل أى النمو فى جميع الجوانب - العقلية ، الثقافية ، الدينية ، الاجتماعية ، الجسمية ، النفسية ، الفنية - نموا يؤدي الى تعديل سلوكهم ويعمل على تحقيق الأهداف التربوية المنشودة (٣) " .

ولاشك أن المنهاج الدراسى الذى تناوله الامام النووى يتناول المنهج القديم " التقليدى " الذى يركز أساسا على حفظ واستظهار المقررات الدراسية وأهمها كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم الصحيحة

-
- (١) عرفات عبد العزيز سليمان ، المعلم والتربية - دراسة تحليلية مقارنة لطبيعة المهنة - ، ط ٢ (القاهرة : مكتبة الانجلوالمصرية ، ١٩٨٢) ، ص ٩٧ .
 - (٢) المرجع السابق ، ص ٩٨ .
 - (٣) حلمى الوكيل " مرجع سابق " ، ص ١٩ .

وما نشأ حول كل منهما من فروع وعلوم ذات صلة وشيقة بهما ، دون أن يغفل الاهتمام بالنمو الشامل في جميع النواحي للتلاميذ وتعديل سلوكهم ، ولكن نجد أن ذلك الاهتمام من قبله أتى ضمنا في كتاباته كما سيتضح لنا لاحقا . ولقد وضع الامام النووى ذلك المنهاج الدراسى الذى كان يسير عليه المعلم فى تعليمه المتعلمين المبتدئين بقوله : " وأول ما يبتدىء به (أى المتعلم) حفظ القرآن ... ، وبعد حفظ القرآن يحفظ من كل فن مختصرا ، ويبدأ بالأهم ، ومن أهمها الفقه والنحو ثم الحديث والاصول ثم الباقي على ما تيسر (١) " . وهذا يؤكد الاهتمام بمعرفة كل انواع العلوم .

ونرى أن الامام النووى لديه ترتيب أولويات فى المنهاج الدراسى والذى ينبغى على المعلم أن يتدرج فى تعليمه اياه بادئا بالأهم منها كما ذكر مجملا فيقول فى ذلك : " ويكون تعليمه (أى المعلم) اياه (أى المتعلمين) ... تدريجيا شيئا فشيئا لتجتمع لهم مع طول الزمان جمل كثيرات (٢) " . على النحو التالى :

١ - حفظ القرآن الكريم دون الاشتغال عنه بغيره ، فهو من أهم العلوم على الإطلاق ولقد اعتبر الامام النووى نسيان القرآن الكريم من الكبائر وهذا ما صرح به فى كتابه " الروضة " واستشهد بحديث أبى داود " عرضت على ذنوب أمتى فلم أر ذنبا أعظم من سـورة أو آية أوتيتها رجل ثم نسيها (٣) " .

(١) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٦٤ - ٦٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٥ .

(٣) السيوطى ، الاتقان فى علوم القرآن ، ط ٣ (مطبعة حجازى ، ١٩٤١) ،

- ٢ - حفظ مختصر من كل فن حسب الأهمية . وأهمها بدءا بالفقه والنحو ثم الحديث والاصول ثم الباقي من الفنون حسب الاستطاعة (١) .
- ٣ - الانتقال بعد اتمام بحث المختصرات الى بحوث مطولة أكبر منها ، مع الاهتمام بالمطالعة المتقنة للكتب وتمحيص ما جاء فيها مع التعليق عليها دون أن يحتقر أى فائدة يراها المتعلم أو يسمعها فى أى فن كانت وعليه بالمبادرة بكتابتها مع المواظبة المستمرة على كل ما كتبه من خلال مطالعته الدائمة لها . (٢)
- ٤ - الاعتماد على المتخصصين فى كل فن وذلك بشرح الدروس المطلوب حفظها عليهم دون الاعتماد على الكتب وحدها استقلالاً لان ذلك يسبب أضرارا على المتعلمين ويستشهد النووى بقول الامام الشافعى " من تفقه من الكتب ضيع الاحكام (٣) " وبناء على ذلك لابد للتعليم أن يحدث بوجود المعلم ، لأن المعلم من أهم عناصر العملية التعليمية .
- ٥ - الاعتناء بكل الدروس والتعليق عليها ما امكن ، فان عجز اعتنى بالاهم (٤) .

(١) النووى ، المجموع ، " مرجع سابق " ، ص ٦٥ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٦٥
(٣) المرجع السابق ، ص ٦٤
(٤) المرجع السابق ، ص ٦٥

- أهمية العلوم :

وبناء على ما سبق نرى أن الامام النووى دعا المتعلم الى التدرج فى التعليم وبخاصة للمبتدئين بادئا بأهم العلوم على الاطلاق وهو حفظ كتاب الله العزيز ، وهذا التدرج فى التعليم مطلوب لأن الانسان لا يصل الى درجة النضج الفكرى دفعة واحدة ، وانما يتدرج فى ذلك حسب استعدادات المتعلم وقدراته .

ويتضح لنا من المنهاج الدراسى الذى ذكره الامام النووى أن هناك علوما اجبارية فى المنهاج أولها القرآن الكريم والذى هو أول العلوم الشرعية التى ينبغى أن يحفظها المتعلمون بل هو المحور الاساسى الذى يدور عليه التعليم . ولقد جعل الامام النووى حفظ القرآن والاحاديث وعلومهما من فروض الكفاية حيث يقول : " فرض الكفاية وهو تحصيل ما لا بد للناس منه فى اقامة دينهم من العلوم الشرعية كحفظ القرآن والاحاديث وعلومهما (١) " .

وأما عن تنظيم المنهاج الدراسى عند الامام النووى فانه يطلب من المعلم تقديم الدروس حسب أهميتها ويبدأ بالاهم فالمهم يقول الامام النووى فى ذلك : " فان ذكر [أى المعلم] دروسا قدم أهمها ؛ فيقدم التفسير ثم الحديث ثم الاصولين [أصول الفقة وأصول الدين] ثم المذهب ثم الخلاف ثم الجدل (٢) " .

- أنواع العلوم :

ولقد قسم الامام النووى العلوم الشرعية فى " مقدمة مجموعته " الى ثلاثة أقسام :

(١) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٤٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٦ - ٥٧ .

القسم الاول : فرض العين - " وهو تعلم المكلف ما لايتــــــأدى
الواجب الذى تعين عليه فعله الا به . ككيفية الوضوء والعلاة ونحوهما (١) "

القسم الثانى : فرض الكفاية : " وهو تحصيل ما لا بد للناس منه
فى اقامة دينهم من العلوم الشرعية ، كحفظ القرآن والاحاديث وعلومهما ،
والاصول ، والفقه ، والنحو ، واللغة ، والتعريف ومعرفة رواة الحديث ،
والاجماع ، والخلاف (٢) " .

أما ما يتعلق بالعلوم غير الشرعية كالطب والحساب ويحتاج اليه
الناس فى قوام أمر الدنيا فان الامام النووى يرى أنها فرض كفاية . كما
يرى ايضا " ان تعلم الصنائع التى هى سبب قيام مصالح الدنيا كالخياطة
والفلاحة ونحوها " " هى فرض كفاية وهذا أظهر (٣) " .

القسم الثالث : النفل " وهو كالتبحر فى أصول الادلة والامعان
فيما وراء القدر الذى يحصل به فرض الكفاية ، وكتعلم العامى نوافل
العبادات (٤) " .

أما العلوم غير الشرعية فقد قسمها الامام النووى من حيث حكمها
الشرعى الى ثلاثة أقسام أيضا :

-
- (١) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٤١ .
 - (٢) المرجع السابق ، ص ٤٤ .
 - (٣) المرجع السابق ، ص ٤٤ .
 - (٤) المرجع السابق ، ص ٤٥ .

القسم الاول : " محرم كتعلم السحر فانه حرام على المذهب الصحيح وبه قطع الجمهور وكذلك الفلسفة ، والشعبذة [الشعوذة] ، والتنجيم وعلوم الطبائعيين [علم الكلام ، وعلم المنطق] " وكل ماكان سببا لاشارة الشكوك [أى فى الناجية العقائدية] . ويتفاوت فى التحريم (١) " ونجد أن الامام النووى قد قصر التحريم على طائفة معينة " اذ يقول موضحا ذلك : " بل الصواب للعوام وجماهير المتفقهين والفقهاء الكف عن الخوض فى دقائق الكلام مخافة من اختلال يتطرق الى عقائدهم يصعب عليهم اخراجه (٢) " . فقله السابق لعل فيه حماية لجناب التوحيد من الانحراف الذى يخشى أن يقع فيه الناس .

القسم الثانى : " المكروه كاشعار المولدين التى فيها الغزل والبطالة (٣) " .

القسم الثالث : " المباح كاشعار المولدين التى ليس فيها سخرى ولاشئ مما يكره ولا ماينشط الى الشر ، ولا مايشبط عن الخير ولا مايحث على خير أو يستعان به عليه (٤) " .

(١) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٤٥ .

(٢) المرجع السابق، ص ٤٢ .

(٣) المرجع السابق، ص ٤٥ .

(٤) المرجع السابق، ص ٤٥ - ٤٦ .

ويود الباحث أن ينهى هذا الموضوع بالإشارة الى حقيقة هامة وهى
أن عناية المربي المسلم الامام النووى فى المنهاج الدراسى بالحفظ لم
تحل دون التأكيد على الفهم للدروس وعدم الاقتصار على حفظ اللفظ
واستظهار الجمل حيث أن للامام النووى أقوالا عدة . تؤكد على مبدأ الفهم
دون الاقتصار على الحفظ فقط فمن هذه الاقوال قوله : " وإذا ذكر لهم درسا
تحرى تفهيمهم بأيسر الطرق (١) " . وقوله كذلك : " ويختبر ... أفهامهم " (٢)
وقوله أيضا : " ويحرص على القرب من الشيخ ليفهم كلامه فهما كاملا بلا
مشقة (٣) " وقوله : " وإذا قال له الشيخ أفهمت ؟ فلا يقل نعم حتى
يتضح له المقصود ايضاحا جليا لئلا يكذب ويفوته الفهم (٤) " .

وبناء على أقوال الامام النووى السابقة فان الفهم عنده ركيزة
أساسية فى العملية التعليمية حيث لاينفع الحفظ دون الفهم بل لابد أن يكونا
معاً ليكون ذلك باعثاً على التفكير الصحيح .

ولقد ساد مفهوم التعلم كعملية حفظ للمعلومات ، ولم يكن فهم
الامام النووى للتعلم على أنه عملية تذكر لما يحفظونه غريباً ، إذ أن ذلك
الفهم يدخل ضمن مفاهيم عصره وثقافته التى أسهمت فى تشكيل فكره والتى
جعلته يؤكد على التحصيل والتذكر باعتبارهما قوام عملية التعلم (٥) .

(١) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٥٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٨ .

(٣) ، (٤) المرجع السابق ، ص ٦٢ .

(٥) حسن عبد العال " من قضايا التربية فى رسالة اللؤلؤ لابن

يحيى الانعارى " ، مجلة العلوم الاجتماعية ، العدد السابع (الرياض)

جامعة محمد بن سعود الاسلامية ، ١٤٠٣) ، ص ١٥٣ .

ثانيا : أغراض التعليم

من المعروف أن كل تعليم له أهداف أو أغراض يسعى الى تحقيقها المتعلمون ، فالهدف هو الغرض الذى يسعى الانسان الى تحقيقه ، وقد رسم له الطريقة والوسيلة التى من شأنها أن تحقق هذا الهدف .

وسيتناول الباحث بعض الأغراض أو الاهداف التى ذكرها الامام النووى ضمن مقدمة " مجموعة " والتى يمكن ايجازها على النحو التالى :

أولا - تحقيق النفع الدينى للمتعلمين :

يرى الامام النووى ان التعليم أداءه فعالة لتحقيق النفع الدينى الاخرى للمتعلم عند الله سبحانه وذلك عندما يريد بتعلمه وجه الله تعالى فحسب دون أن تكون بغيته من التعليم الوصول الى غرض دنيوى كالحصول على الشهادات أو الوصول الى المناصب العليا أو الوجاهة أو السمعة أو غيـر ذلك ، فمن كان غرضه شيئا من ذلك ليس له نعيم فى الآخرة ، لذا ينبغى على المتعلم ألا يطمع بشيء من الدنيا لكى ينال الفضل العظيم والخير الكثير من الله ، كما ينبغى عليه أيضا الاشتغال بطلب العلم النافع وملازمته يقول الامام النووى موضحا ذلك الغرض : " ان يقصد بعلمه وجه الله تعالى ولا يقصد توصلا الى غرض دنيوى كتحميل مال أو جاه أو شهرة أو سمعة أو تمييز عن الاشباه ، ... ولا يشين علمه بشيء من الطمع (١) " .

(١) النووى ، المجموع ، " مرجع سابق " ، ص ٣٥ .

ولقد استشهد الامام النووى على ذلك الغرض بالعديد من الآيات الكريمة والاحاديث الشريفة فمنها قال الله تعالى : ﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ (١) ، ومن الاحاديث : عن معاوية رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين " رواه البخارى ومسلم . وعن أنس رضى الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من خرج فى طلب العلم فهو فى سبيل الله حتى يرجع " رواه الترمذى ، وقال حديث حسن .

ومن الأثر عن معاذ رضى الله عنه : " تعلموا العلم فان تعلمه لله خشية ، وطلبه عبادة ، ومذاكرته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وتعليمه من لا يعلمه صدقة وبذله لأهله قرينة (٢) " وقال الشافعى : " من أراد الدنيا فعليه بالعلم ، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم (٣) " وقال بعضهم " أليس يستغفر لطالب العلم كل شيء أفك هذا منزلة (٤) " . وهناك الكثير من الآيات والاحاديث والاثار الدالة على حصول النفع الدينى الاخرى عند الله عز وجل للمتعلم منها ما استشهد به الامام النووى قول الشافعى رحمه الله " من أراد الدنيا فعليه بالعلم ، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم (٥) " .

-
- (١) سورة المجادلة ، آية رقم ١١ .
 (٢) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٣٣ .
 (٣) المرجع السابق ، ص ٣٤ .
 (٤) المرجع السابق ، ص ٣٤ .
 (٥) المرجع السابق ، ص ٢٩ .

هذا فيمن طلب العلم مريدا به وجه الله تعالى ، لا لغرض من أغراض الدنيا ، وقد ذكرنا بعض الفضل الذي يحصل للمعلم على ذلك . أما من أراد بعلمه غير الله تعالى مريدا به غرضا دنيويا فقد أورد الامام النووى فعلا فى ذم من أراد بفعله غير الله تعالى (١) .

وبيّن لنا الامام النووى أن من طلب العلم من المتعلمين يريد به شيئا من الدنيا كرياسة أو منصب أو نحو ذلك فهو مذموم ، وعلى المتعلم أن يريد بعلمه وجه الله تعالى ليرجو ثوابه فى الآخرة دون أن ينسب اليه من علمه شيء ، وفى ذلك يقول الامام النووى : " ولا يشين علمه وتعليمه بشيء من الطمع فى رفق تحصل له من مشغله عليه من خدمة أو مال أو نحوهما وان قلّ ولو كان على صورة الهدية التى لولا اشتغاله عليه لما أهداها اليه (٢) " . وقد استشهد الامام النووى على كلامه بالعديد من الآيات والاحاديث الشريفة والآثار فمنها : " قال الله تعالى : ﴿ من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له فى الآخرة من نصيب ﴾ (٣) " .

ومن الاحاديث ماروى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله عز وجل لا يتعلمه الا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة [يعنى ربحها] " .

(١) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٣٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٦ .

(٣) سورة الشورى ، آية رقم ٢٠ .

رواه أبو داود وغيره باسناد صحيح .

وما روى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " من تعلم علما ينتفع به فى الآخرة يريد به عرضا من الدنيا لم يرح رائحة الجنة (١) " .

وعن أنس وحذيفة قالا . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من طلب العلم ليمارى به السفهاء ، ويكاشر به العلماء ، أو يعرض به وجوه الناس اليه فليتبوا مقعده من النار " ورواه الترمذى من رواية كعب بن مالك وقال فيه " أدخله الله النار " (٢) .

ثانيا - تهذيب الاخلاق وتنميتها فى نفوس المتعلمين :

لقد طلب الامام النووى من المعلم أن يهذب أخلاق تلاميذه ويعمدل سلوكهم نحو الأفضل وأن يتدرج مع المتعلم على ذلك على اساس نزع الاخلاق السيئة وغرس الاخلاق الحسنة مكانها ، ففقد التعليم ليس تزويد المتعلمين بالمعارف والعلوم المختلفة فحسب ، بل اكسابهم الاخلاق الحسنة والخصال الحميدة وتهذيب نفوسهم وتقويم تلك الاخلاق الى الافضل . ولم تكن مهمة المعلم بالمتعلم مقصورة على حضور الدرس بل كان المتعلم يلازم شيخه ويقتدى به . ولعل الحاجة الى الادب كانت أشد من الحاجة الى العلم ، فالعلم

(١) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٣٩ - ٤٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٠ ، ابى عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذى

الجامع الصحيح وهو سنن الترمذى ، ط ٢ (القاهرة : مكتبة

ومطبعة مصطفى البابى الحلبي واولاده ، ١٩٧٥/١٣٩٥) ج ٥ ، ص ٣٢ .

بغير الادب والخلق يضيع أثره ويفقد قيمته . فقيمة الاخلاق والادب أن تظهر واضحة للتلاميذ من خلال المواقف المختلفة للمعلم . وفى ذلك كله يقول الامام النووى : " وينبغى أن يؤدب المتعلم عن التدريج بالاداب السنية والشيم المرضية ، ورياضة نفسه بالآداب والدقائق الخفية ، وتعودة الميانة فى جميع أموره الكامنه والجلية ^(١) " ويقول أيضا : " فأول ذلك ان يحرضه [أى المتعلم] بأقواله وأحواله [أى المعلم] المتكررات على الاخلاص والصدق وحسن النيات ، ومراقبة الله تعالى فى جميع اللحظات ، وأن يكون دائما على ذلك حتى الممات ^(٢) " .

ثالثا : إستمرارية وجود المعرفة فى المجتمع :

فبالتعليم يستمر العلم فى المجتمع ويزول الجهل عن الناس ، وفى ذلك يقول الامام النووى : " اعلم ان التعليم هو الاصل الذى به قوام الدين ، وبه يؤمن امحاق العلم فهو من أهم أمور الدين وأعظم العبادات وأكد فروض الكفايات ^(٣) " . ولذا نجد أن الله سبحانه حذر من كتمان العلم بالكثير من الآيات فمنها قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ^(٤) ﴾ . وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى ^(٥) ﴾ الآية

(١) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ج ١ ، ص ٥١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٥١

(٣) المرجع السابق ، ص ٥٠

(٤) سورة آل عمران ، الآية رقم ١٨٧ .

(٥) سورة البقرة ، الآية رقم ١٥٩ .

ثالثا - العوامل المؤثرة فى التعلم :

مما لاشك فيه أن هنالك عوامل متعددة تؤثر فى التعلم تأثيـرا مباشرا ، وقد ذكر الامام النووى بعض هذه العوامل المؤثرة فى التعلم ونبه اليها . ويستحسن أن نتعرف على التعلم فى أبسط عبارة له بأنـه " تعديل فى السلوك من خلال الممارسة " والممارسة نشاط يقوم به الفرد بدرجات متفاوتة ، وتختلف من موقف الى آخر .

والملاحظ أن كل الخبرات التى يكتسبها الانسان ، ليست مؤثرة فى السلوك . ولكى تكون الخبرة المتعلمة مؤثرة ، فهناك عوامل لابد منها فى عملية التعلم بالنسبة للمتعلم ، هذه العوامل استنتجت من الدراسات النفسية التى أجريت على المتعلم (١) .

وسيتناول الباحث بعضا من تلك العوامل المؤثرة فى التعلم التى ذكرها الامام النووى على النحو التالى :

العامل الاول : مبدأ الدافعية

من المتفق عليه فى الأوساط التربوية أن المرء لا يتعلم الا اذا كانت لديه دافعية للتعلم ، ولذا كانت الدافعية شرطا أساسا من شروط التعلم ، فلا تعلم دون دافع ، لأن عملية التعلم تتوقف على الدوافع التى تدفع اليها

(١) محمد صلاح الدين مجاور ، فتحى عبد المقصود الديب ، المنهج المدرسى أسسه وتطبيقاته التربوية ، ط ٥ (الكويت : دار القلم ، ١٤٠١ هـ)

فالدوافع تؤدي دورا مهما في هذه العملية . "ويقصد بالدافعية القسوة الداخلية التي تولد السلوك وتوجهه (١) " .

ونستطيع القول أن للدوافع تأثيرا هاما في عملية التعلم ، إذ يكفي أن نشعر التلميذ بأهمية شيء معين فنحفزه على تعلمه . ولقد أكدت الدراسات التجريبية التي اجراها علماء النفس المحدثون صحة هذا المبدأ ويعتبر الدافع " هو العامل الاساسي المسيطر على السلوك ، ويمتاز ذلك السلوك الناشئ عن الدافع بالنشاط والاستمرار والتنوع ، فكلما كان الدافع قويا ازداد النشاط (٢) .

ونجد أنه لم ترد كلمة " الدافعية " فيما كتب الامام النووي ، وانما عبر عنها بصيغ أخرى تحمل معناها من مفردات اللغة العربية أمثال : " النية " (٣) و " الهمة " (٤) و " الرغبة " (٥) و " جمع الهم " (٦) . ولقد أدرك الامام النووي أهمية الدوافع للتعلم وذلك بأن المتعلمين يتعلمون بصورة أفضل اذا ما اشتدت رغبتهم في التعلم ، وحسنت نيتهم له ، واستعدوا لقبول العلم وتلقيه . حينئذ يحقق المتعلم هدفه في الحصول على تعلم جيد مثمر . تظهر آثاره وعلاماته على المتعلم ، فينبغي له قبل تلقيه العلم " أن يظهر قلبه من الأدنى ليلصق لقبول

(١) عبد الرحمن صالح عبد الله ، المنهاج الدراسي " مرجع سابق " ، ص ١٣٨ .

(٢) عبد الله عبد الحى موسى ، المدخل الى علم النفس ، ط ٢ (مكتبة الخانجي ، ١٩٧٩) ، ص ٢٢٥ .

(٣) النووي ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٥٠ - ٥١ ؛ ٦٣ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٦٣ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٥١ ؛ ٦٣ .

(٦) المرجع السابق ، ص ٥٩ .

العلم وحفظه واستثماره^(١) " لما ورد فى الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ان فى الجسد مضغة ، اذا صلحت صلح الجسد كله ، واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب " ، وقالوا : " تطيب القلب للعلم كتطيب الارض للزراعة " ^(٢) . فالتعلم الناجح هو الذى يقوم على دوافع التلاميذ وحاجاتهم . وبالرغم من أن دراسة موضوع الدوافع المساعدة على التعلم . من أهم مشكلات سيكولوجية التعلم وأعقدها ، الا اننا لانستطيع أن نوضح للمعلم بدقة معالم الطريق الذى يسلكه حتى يتم له ذلك ^(٤) " . وعلى الرغم من صعوبة الكامنة وراء تحقيق ذلك ، الا أن للامام النووى رأى قيم فى تنمية دوافع المتعلمين للتعلم ، فقد أدرك صعوبة ذلك وعبر عنه بقوله : " وربما عسر فى كثير من المبتدئين بالاشتغال تصحيح النية لضعف نفوسهم وقلة أنسهم بموجبات تصحيح النية ^(٥) " ، ومستشهداً بقول سفيان الثورى كما نقل عنه الامام النووى : " ما عالجت شيئا أشد على من نيتى أنها تتقلب على ^(٦) " . يقصد بذلك تعديل ميلها وتكوين اتجاهات مرغوبة فيها نظرا لكثرة تقلبها بين الفينة والاخرى . فهى لاتستقر على حال . وهذا هو مكنم معوبتها .

- (١) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٥٨ .
- (٢) رواه البخارى ١١٧/١ فى الايمان ، ومسلم رقم (١٥٩٩) فى المساقاة .
- (٣) النووى " مرجع سابق " ، ص ٥٨ - ٥٩ .
- (٤) رمزية الغريب ، التعلم دراسة نفسية تفسيرية توجيهية ، ط ٥ ، (القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧٥) ، ص ٥٥٥ .
- * هكذا فى الاصل ، ولعله تصحيف والصواب : على كثير والله أعلم .
- (٥) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ج ١ ، ص ٥٠ - ٥١ .
- (٦) المرجع السابق ، ص ٢٩ .

وقد أدرك الامام النووى أهمية اشارة دوافع المتعلمين وتنمية ميولهم واتجاهاتهم الايجابية نحو تعلم العلم والاقبال عليه ، وتحفيزهم واثارة أفكارهم للتحصيل . فُثراه يطلب من المعلم أن يقف موقفا ايجابيا تجاه تنمية دوافع تلاميذه وذلك عن طريق ترغيبهم فى طلب العلم بشتى الطرق والوسائل المتاحة له . فمن أهم واجبات المعلم تجاه المتعلم " أن يرغب فى العلم ، ويذكره بفضائله وفضائل العلماء ، وأنهم ورثة الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم . ولا رتبة فى الوجود أعلى من هذه (١) " فالمعلم بلاشك المحرك الاول لنشاط وحماس تلاميذه والمشجع لهم على تحصيل العلم ، وأن مما يدل على شدة حرص الامام النووى على استمرارية نشاط المتعلمين واهتماماتهم ، والمحافظة على دوافعهم للتعلم ، حيث لا يتم التعلم بغير دافع له كما أسلفنا أوجب على المعلمين مراعاة ذلك أثناء تعليمهم طلابهم . حيث أن الاستمرار فى النشاط من أجل التعلم أمر مطلوب لتعلم جيد . وهذا ما أكدته علم نفس التعلم حديثا " ذلك لأن التعلم هو تغيير فى السلوك ينجم عن نشاط يقوم به الفرد ، والفرد لايقوم بنشاط من غير دافع (٢) " .

فالتعلم الفعال يكون نتيجة جهد معين يبذله المرء ، فالتعلم لا يحدث لمجرد وجود مثيرات ومنبهات فى البيئة التى يعيش فيها المتعلم ،

(١) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٥١ .

(٢) أحمد عزت راجح ، أصول علم النفس ، ط ٩ (الاسكندرية : المكتب المصرى الحديث ، ١٩٧٣) ، ص ٢٢٤ .

وان كانت تلك المثيرات احدى روافد عملية التعلم ، وقد أدرك المربون المسلمون أهمية الدافع الذاتى للمتعلم ومنهم الامام النووى الذى أكد على اخلاص النية فى طلب العلم لدى المتعلم وأهمية ذلك . فالنية سلوك باطنى يظهر على السلوك الملاحظ . فالحديث عن النية يعنى بالضرورة الاهتمام بنفسية المتعلم أى بدوافعه وعواطفه وانفعالاته . وعلى ضوء ذلك فالمنهاج السليم هو الذى يستثير دوافع المتعلمين فيوظف الدوافع الخيرة الكامنة من سباتها ويكبح جماح تلك التى تعبر عن نفسها بصورة مبالغ فيها (١) .

ويرى الامام النووى أن المتعلمين فى بدء تعلمهم يكونون فى أمس الحاجة الى الترغيب والتشجيع على تحصيل العلم ، وإشارة دوافعهم للتعلم وقد عبر الامام النووى عن تلك الاشارة وذلك التشجيع بعبارة " التحريض " فقال : " وتحريض على حفظ ما يبذل له لهم من الفوائد النفيسات (٢) " وقال : " وينبغى [أى على المعلم] أن يحرضهم [أى المتعلمين] على الاشتغال فى كل وقت [أى التعلم] (٣) " وقوله : " ومحرضا على التعلم (٤) " ، وقوله أيضا : " فأول ذلك أن يحرضه بأقواله وأحواله المتكررات على الاخلاص [أى فى النية] والصدق وحسن النيات ... وأن يكون دائما على ذلك حتى الممات (٥) " وينبغى على المعلم أن يقوم بتذكير المتعلم بأن

(١) عبدالرحمن صالح عبد الله ، المنهاج الدراسى " مرجع سابق " .

، ص ١٥٨ - ١٥٩ .

(٢) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٥٢ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٥٥ .

(٤) النووى ، التبيان فى آداب حملة القرآن " مرجع سابق " ، ص ٣١ .

(٥) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٥١ .

احضار نيته " تنفتح عليه أبواب المعارف ، وينشرح صدره ، وتتفجر من قلبه ينابيع الحكم واللطف ، ويبارك له في حاله وعلمه ، ويوفى ق للافادة في قوله وفعله وحكمه (١) " ، وذلك كما يقول الامام النووي ، " ليكون سببا في نشاطه وزيادة في رغبته " (٢) . " وتلك كلها غايات ومرغبات تحفز همم طلاب العلم وبخامة المبتدئين منهم ففى أول الطريق على التعلم وهى بلاشك قوية التأثير فيهم وقد ثبت أن " الاعتماد على الحوافز التى تشير نشاط المتعلم فى بدء تعلمه أمر له قيمته اذا كان قيامه بهذا النشاط الضرورى يكسبه شيئا يرغب فيه أو يجنبه شيئا يكرهه " (٣) .

واذا كان لابد من الميول والاتجاهات المرغوب فيها وإشارة دوافع التلاميذ لتعلم موضوع ما فلا بد من " أن تزود خبرة التلاميذ المعرفية بالموضوع المراد تكوين ميولهم نحوه فلو فرض مثلا ان أراد المعلم تكوين اتجاه دينى ... فلا بد أن يزودهم بالمعلومات والمعرفة الضرورية لايضاح الهدف فى أذهانهم والا كان نشاطهم غير موجه ، قليل القيمة التربوية " (٤) فان الامام النووي أكد على المعلم ضرورة تزويد تلاميذه بهذه الخبرة المعرفية لتكوين الميول والاتجاهات وإشارة الدوافع لديهم ، وقد اتخذ من تعلم الفقه مثلا يحتذى به فى بقية الموضوعات والعلوم الأخرى لكى يقبل المتعلمين على تعلم الفقه برغبة قوية ، فينبغى على المعلم أن يوقفهم على أهمية علم الفقه ، ويعرفهم بالهدف من تعلمه ، والنتائج

(١) النووي ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٥١ .

(٢) النووي ، التبيان فى آداب حملة القرآن " مرجع سابق " ، ص ٣١ .

(٣) فكرى حسن ريان ، التدريس : أهدافه ، أسسه ، أساليبه ، تقويم نتائجه

وتطبيقاته ، ط ٢ (القاهرة : عالم الكتب ، ١٩٧١) ، ص ٧٩ .

(٤) رمزية الغريب ، التعلم " مرجع سابق " ، ص ٥٠٧ .

المرتبة على تحصيله ، فيعقد مقارنة لهم بين قيمة تعلم ذلك العلم وبين
الاشتغال بغيره من نوافل العبادات البدنية فتصبح النتيجة لهذه المقارنة
تفضيل تعلم العلم وأولويته على نوافل العبادات البدنية لان الهدف من
تعلمه أسمى ، فيقول : "

" والحاصل أنهم (أى العلماء) متفقون على
أن الاشتغال بالعلم أفضل من الاشتغال بنوافل
الصوم والعلة والتسبيح ونحو ذلك من نوافل
عبادات البدن ، لان نفع العلم يعم صاحبه
والمسلمين ، والنوافل المذكورة مختصة به ، ولان
العلم مصحح فغيره من العبادات مفتقر اليه
ولا ينعكس ، ولان العلماء ورثة الانبياء ولا يوصف
المتعبدون بذلك ، ولأن العابد تابع للعالم
مقتد به مقلد له فى عبادته وغيرها واجب عليه
طاعته ولا ينعكس ، ولان العلم تبقى فائدته وأثره
بعد صاحبه والنوافل تنقطع بموت صاحبها (١) " .

وباعطاء التلاميذ هذه الخبرة المعرفية تتضح لهم أهمية العلم
ومكانته أو الموضوع المراد لهم تعلمه ، ومن ثم يندفعون الى تعلمه ،
وبالتالى يسهل عليهم تحصيله بعد وضوح مقاصده ومعانيه وأهميته ، وذلك
شرط أساسى فى كيفية استخدام المعلم للدوافع استخداما ناجحا ، اذ أنه
كلما كان موضوع الدرس مشبعا لهذه الدوافع والحاجات كانت عملية
التعلم أقوى وأكثر حيوية اذ ان من واجب المعلم ان يجعل مادته التى

(١) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٣٧ .

يعلمها لتلاميذه أكثر متعة وجاذبية لهم ، بل ينبغي أن تكون ذات معنى وأهمية بالنسبة له كذلك (١) .

ويعد التنافس وسيلة فعالة لحث المتعلمين على العمل والاجتهاد والتحصيل بل انه من أكثر الوسائل انتشارا ، لاشارة الافراد لنواحي النشاط اللازم للتعلم . فمن المؤكد أن المتعلمين الذين " لا يبذلون الجهد اللازم لتعلمهم يمكن استشارتهم بالمنافسة والمسابقة لكي يبذلوا نشاطا كبيرا (٢) " . ويرى الامام النووي أنه من الممكن للمعلم استخدام التنافس لاشارة دوافع المتعلمين للتعلم ، وباعثا لهم على بذل المزيد من الجهد والنشاط وذلك بأن " يطالبهم في أوقات باعادة محفوظاتهم ، ويسألهم عما ذكره لهم من المهمات ، فمن وجده حافظه مراعيًا له أكرمه وأشنى عليه ، وأشاع ذلك ما لم يخف فساد حاله باعجاب ونحوه (٣) " وكذلك قوله : " وينبغي للمعلم أن يطرح على أصحابه [أي تلاميذه] ما يراه من مستفاد المسائل ، ويختبر آفهامهم ، ويظهر فضل الفاضل ، ويثني عليه بذلك ، ترغيبا له وللباقين في الاشتغال والفكر في العلم وليتدربوا بذلك ويعتادوه (٤) " . فالمعلم عندما يظهر اعجابه وثناؤه وشكوهه واستحسانه بالمتفوقين من تلاميذه ، انما يلجأ بذلك الى الاستشارة الدافعة

(١) ج.ب جيلفورد ، ميادين علم النفس النظرية والتطبيقية ، ترجمة يوسف مراد ، ط ٤ (مصر : دار المعارف ، ١٩٧٥) ، ص ١٩٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٠٠ .

(٣) النووي ، المجموع " مرجع سابق " ص ٥٥ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٥٨ .

للنشاط والتي عبر عنها الامام النووى بقوله " ترغيبا له وللباقين فى الاشتغال والفكر فى العلم ، وليتدربوا بذلك ويعتادوه (١) " ويبين روح التنافس البناء الهادف بين التلاميذ ليحدث لهم التعلم الجيد المثمر .

وبالرغم من اعتقاد الامام النووى بأهمية التنافس وقيمه ، وبأنه وسيلة فعالة من وسائل الاستشارة الدافعية ، الا أنه حذر من سوء استخدامه . لذا ينبغى للمعلم عند استخدامه " أن تتاح لكل تلميذ الفرصة التى تساير قدراته . وان تتوافر الموضوعية التامة والحيثية فى تقدير التلاميذ (٢) " ولذا طلب الامام النووى من المعلم الحذر كل الحذر من سوء استخدام التنافس بين المتعلمين ، حيث أن ذلك يولد الشناء والبغضاء والعداوة بينهم ، وليس هذا هو المقصود من اجتماعهم للتعلم والدرس ، بل ان اجتماعهم ينبغى أن يكون لله تعالى ، واجتماع قلوبهم " على ظهور الحق وحصول الفائدة (٣) " المرجوة من التعلم وبالتالى فالامام النووى ينهى عن استخدام التنافس اذا أدى الى المشاحنة والخصام والكراهية والعداوة بين التلاميذ بحيث يود كل تلميذ لو قضى على زميله فيقول فى ذلك : " فلا يليق بنا المنافسة والمشاحنة (٤) " ويبين الغرض

(١) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٥٨ .

(٢) جابر عبد الحميد جابر ، سيكولوجية التعلم ونظريات التعلم ، ط ٤

(القاهرة : مكتبة النهضة العربية ، ١٩٧٨) ، ص ٥٥ .

(٣) ، (٤) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٥٧ .

الاسمى من التنافس والاجتماع فيقول : " بل شأننا الرفق والمفاء ، واستفادة بعضنا من بعض (١) " .

وواقع الامر أن المنافسة اذا لم تستخدم بمهارة ، واذا لم يوجهها المعلم الوجهة السليمة ، قد تكون ماثارا للحسد والحقد بينهم ، فيتنازعون الكتب والمراجع ، ويتحين كل منهم الفرصة للاضرار بزميله ، وبذلك يكون المعلم قد استخدم المنافسة لا لتشجيع التقدم انما لهدم العلاقات السليمة بين أعضاء المجتمع المدرسى (٢) " .

وقد نهى الامام النووى عن الحسد والاحتقار بين المتعلمين بقوله : " ولا يحسد أحدا [أى المتعلم] ولا يحتقره ولا يعجب بفهمه " (٣) ، وبالتالي يصبح العلم والتعلم وسيلة للعلو والتعالى على الاقران وسبيل الفوز عليهم ، وهو ما حذر منه الامام النووى فيما يرويه عن أبى يوسف رحمه الله تعالى قال : " يا قوم أريدوا بعلمكم الله فانى لم أجلس مجلسا قط أنوى فيه أن أتواضع الاّ لم أقم حتى أعلوهم ، ولم أجلس مجلسا قط أنوى فيه أن أعلوهم الاّ لم أقم حتى افتضح (٤) " . فالعلم عبادة بل من من أعظم العبادات ومن أفضل القربات الى الله تعالى ، فلا ينبغي أن يؤدي

-
- (١) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٥٧ .
 - (٢) رمزية الغريب ، التعلم " مرجع سابق " ، ص ٥٠٤ .
 - (٣) النووى ، المجموع ، " مرجع سابق " ، ص ٦٥ .
 - (٤) المرجع السابق ، ص ٤٧ .

العلم الى الشحناء والعداوة والبغضاء بين المتعلمين .

كما حذر الامام النووى المعلم نفسه من منافسته لتلاميذه وحسدهم على كثرة علمهم ، إذ أن ذلك أشد خطورة من منافسة التلاميذ بعضهم لبعض فقد يعتمد بعض المعلمين ذوى النفوس الضعيفة الى تلك المنافسة السيئة والهدامة حين يحملهم الحسد على الوقوف من طلابهم موقف المنافس لهم ، وذلك بتسفيه آراء النابهين منهم أو عدم الاكتراث لهم . مما يؤدي الى إحباطهم وقلة نشاطهم فى حلقة الدرس .

ولذا نرى الامام النووى ينهى المعلمين عن ذلك ، وبأنه لايليق بهم ولا يمح منهم؛ حيث أن فضل طلابهم يعود اليهم بالدرجة الاولى باعتبارهم السبب فى هذا الفضل ، بالاضافة الى ان حسن تربيتهم يعود عليهم بالخير فى الدنيا والآخرة وهم بمثابة آبائهم ، فيكون حسدهم هنا أشد حرمة عليهم ، ويقول الامام النووى ناهيا عن ذلك : " ولايحسد أحد منهم لكثرة تحصيله ، فالحسد حرام للجانب ، وهنا أشد ، فأنسبه بمنزلة الولد وفضيلته يعود الى معلمه منها نصيب وافر ، فانه مربيه وله فى تعليمه وتخريجه فى الآخرة الثواب الجزيل ، وفى الدنيا الدعاء المستمر والثناء الجميل (١) " وكذلك قوله : " ولايحسد أحدا منهم لبراعة تظهر منه ، ولا يستكثر فيه ما أنعم الله به عليه ، فان الحسد للجانب حرام شديد التحريم ، فكيف للمتعلم الذى هو بمنزلة الولد (٢) " .

(١) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٥٥ .

(٢) النووى ، التبيان فى آداب حملة القرآن ، " مرجع سابق " ، ص

ان المشاركة مع الآخرين والتعاون معهم يؤدي الى عدم التباغض والتحاسد والمفضى الى زيادة الدافعية بين التلاميذ وذلك ان كل تلميذ يسعى للاجتهاد وبذل المزيد من الجهد والتحصيل العلمى فى صفه الدراسى وبالتالى زيادة نشاط التلاميذ جميعا ومنافستهم لبعضهم البعض للحصول على مراكز متقدمة فى الصف دون اغفال الاهتمام بالتفاعلات والتعاون بين التلاميذ لان هذا يشيع جوامن اللفة والمحبة بينهم مما يؤدي الى تعلم مثمر جيد .

فالمتعلم عندما يشعر بالارتياح النفسى فى صفه ومع زملائه كأنهم أسرة واحدة فان ذلك مما يجعله يقبل على التعلم بحماس وينشاط زائدين وبالتالى زيادة الاستثارة الدافعية لديه .

وقد دلت " التجارب العلمية على ان الانتاج يزيد كثيرا اذا صحب التعلم قدر من النشاط الاجتماعى (١) " .

فالامام النووى يحث المتعلم على مشاركة زملائه والتعاون معهم وارشادهم على سبيل النصيحة وأن يتفاعل معهم فى حلقة الدرس ، مما يؤدي الى تنمية السلوك التعاونى بين التلاميذ ، وتشجيع التفاعلات الاجتماعى بينهم ، وزيادة الاستثارة الدافعية للتنافس الموجه بينهم وزيادة حماس ونشاط الطلاب الاقل جهدا بينهم . وكسر جماع التنافس غير

(١) جيلفورد ، ميادين علم النفس النظرية والتطبيقية " مرجع سابق "

الموجه المفضى الى العداوة والحسد ، مما ينشأ عنه الاهتمام بالتفاعـل والتعاون الجيد بين التلاميذ بدءاً من هذا التنافس ، ويوصى الامام النووى المعلم بأن يبين لهم أهمية تعاونهم مع أنفسهم وعلمهم فيقول : "وينبغي أن يرشد رفقته وغيرهم الى مواطن الاشتغال والفائدة ، ويذكر لهم ما استفاده على جهة النسيحة والمذاكرة ، وبارشادهم ببارك له فى علمه ويستنير قلبه ، وتتأكد المسائل معه مع جزيل ثواب الله عز وجل، ومن بخل بذلك كان بـضده فلا يثبت معه ، وان ثبت لم يثمر" ^(١) ذلك لان المشاركة مع الاخرين لها أثر فعال فى الاداء والتعلم بعفة عامة أعظم من أثر التنافس الشخصى فان ما يتعلمه الفرد بالمشاركة مع غيره من الافراد أنفع وأعلى قيمة عند الامام النووى مما يتعلمه نتيجة للنشاط الذى يحدثه التنافس . فالتربية الحقّة تشجع " التعاون اكثر من تشجيعها التنافس ، لان ذلك يؤدى الى زيادة فعالية التعليم ، بل لان هذا يؤدى الى نتائج اجتماعية مرغوب فيها ^(٢) " ، فعن طريق التعاون مع زملائه يتعلم الفرد كيفية التعاون الجماعى المثمر ليس فى نطاق المدرسة فحسب ، بل فى نطاق محيط مجتمعه ككل ، وبالتالي تكوين علاقات اجتماعية مرغوب فيها ، بالإضافة الى تعلم مواد الدراسة .

ونخلص الى القول بأن الدافعية ذات صلة وثيقة بالعملية التربوية ولا بد للمعلم من أن يأخذها بعين الاعتبار فى تعليمه وتدريبه لزيادة نشاط المتعلمين نحو التقدم .

-
- (١) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٦٥ .
(٢) برسيغال سيموندر ، الدروس التى تتعلمها التربية من علم النفس ، تعريب عبد الرحمن صالح عبد الله ، مراجعة احمد حسن عبد الرحيم ، ط ٢ (بيروت : دار الفكر ، ١٩٧٤) ، ص ٣٧ .

العامل الثانى : مبدأ الثواب والعقاب

ان مبدأ الثواب والعقاب له اهمية كبرى فى تحفيز التلاميذ وتشويقهم للتعلم ، كما أنهما شكلان رئيسان من أشكال الضغط الاجتماعى وباعشان على تعلم انماط السلوك المرغوب .

وقد اولى الامام النووى اهتماما بالغاً بالاشابه باعتباره ان اشهرها أقوى فى تحسين التعلم ، فطلب من المعلمين أن يشيخوا تلاميذهم عندما يستحقون ذلك بقوله : " ويظهر فضل الفاضل ، ويشنى عليه بذلك " (١) وقوله ايضا : " ويشنى (اى المعلم) على من ظهرت بجابته (اى من تلاميذه) مالم يخش عليه فتنه باعجاب او غيره " (٢) وهذا ما قد اثبتته البحوث حديثا بان الثواب أفضل من العقاب فى أشارة التربية . ولقد أدرك الامام النووى ذلك من قبل وسبق غيره بدليل ما ذكره فى كتاباته لالوان الحوافز المعنوية وعدم ذكره للفظ العقاب البته واقتصاره على التعنيف عند المصلحه والا فلا .

ولقد ادرك الامام النووى ببصيرته الشاقبة جدوى الثواب واشره البالغ على المتعلمين ، فهو يزيد من الاصابة والنجاح ، كما تقوى رغبتهم فى التحصيل والاشتغال بالعلم وليس هذا قاصرا على المثاب فحسب ، بل ان مجتمع المتعلمين يتأثرون بذلك ويصبح ثواب أحد زملائهم حافزا وباعشا لهم على التعلم . وفى ذلك يقول الامام النووى مبينا أهمية الثواب امام الطلاب : " ويشنى عليه بذلك ، ترغيبا له وللباقين فى الاشتغال

(١) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ص ٥٨

(٢) النووى ، التبيان فى آداب حملة القرآن " مرجع سابق ، ص ٣٤ .

والفكر فى العلم ، وليتدربوا بذلك ويعتادوه " (١) وقوله أيضا : " فمن وحدة حافظه مراعيًا له اكرمه واشنى عليه ، وأشاع ذلك (اى بين زملائه) " (٢) وبذلك يكون التكريم والترغيب والثناء من قبل المعلم لتلاميذه دافعا قويا لعملية التعلم ليس للطالب المجد فحسب ، بل ولغيره من الطلاب الاخيرين .

أما من حيث مبدأ العقاب واستخدامه من قبل المعلم ، فنرى الامام النووى يكاد لا يذكر العقوبة على الاطلاق ، فلم يكن يدعو الى استخدام اى نوع من العقاب ، ماعدا حالة واحدة أجازها فى كتاباته للمعلم الا وهى التعنيف ولكن بقيود وهى ان يكون التعنيف فى مصلحة المتعلم اما اذا كان غير ذلك فلا يعنفه يقول الامام النووى فى ذلك : " ولايعنف (اى المعلم) من غلط منهم فى كل ذلك الا ان يرى تعنيفه مصلحة له " (٣) وقوله أيضا : " ومن وجده مقصرا عنفه الا ان يخاف تنفيره (اى من طلب العلم) " (٤) . فنستنتج مما سبق ان الامام النووى دعا المعلم الى استخدام " التعنيف " اذا كان باعشا للتعلم ووسيلة من وسائل ضبط السلوك ، وهذا النوع لايتسبب فى الالم والاذى للمتعليم كما انه لا يخذش كرامتهم .

ويحذر الامام النووى المعلم من سوء استخدام التعنيف ، وطلب منه ان يكون تعنيفه للمتعلم لطيفا لطيفا مراعيًا لمشاعره واحاسيسه ولذلك يقول : " ومن قصر عنفه تعنيفا لطيفا مالم يخش تنفيره " (٥) وخلاصة القول ان الشواب والعقاب " اسلوبان متكاملان يوصلان الى ذات الهدف شريطة ان يحسن استخدام كل منهما " (٦)

(١) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ص ٥٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٥ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٥٨ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٥٥ .

(٥) النووى ، التبيان فى آداب حملة القرآن ، " مرجع سابق " ص ٣٤ .

(٦) عبدالرحمن صالح عبدالله ، المنهاج الدراسى " مرجع سابق " ص ١٦٠ .

العامل الثالث : مبدأ الفروق الفردية بين التلاميذ

يتوقف ما يستطيع الانسان تعلمه من حيث نوعه ومقداره وسرعة تعلمه على ذكاء الفرد وقدرته على التعلم ، فالذكي النابه أقدر على التحصيل وأسرع فيه ، وأدق فهما من غيره . يقول جيلفورد : " وتؤيد التجارب العامة بطبيعة الحال ما نتوقعه نظريا من أن هناك علاقة بين الذكاء وتعلم المواد الدراسية ^(١) " ولا بد من التأكيد على ان التسليم بوجود الفروق بين الافراد حقيقة قائمة لايجوز للتربية أن تحاربها أو تهملها . ولقد أدرك المربون المسلمون ومنهم الامام النووي أهمية مراعاة مبدأ الفروق الفردية بين الافراد ، بل والفروق الموجودة في الفرد نفسه ، وذلك أساسا لاينبغي اغفاله في أية عملية توجيه أو تعلم ذلك " لان الناس ليسوا قوالب جامدة متشابهة ولا نماذج شخصية متماثلة ^(٢) " .

ويدرك النووي أن المتعلمين يختلفون فيما بينهم ، ولذا أوجب على المعلم أن يكون على دراية تامة فيما بين المتعلمين وغيرهم من الفروق الفردية ، كما يعتبر الذكاء أحد الفروق الفردية بين المتعلمين وأن يكون له معرفة عميقة بالفروق الفردية القائمة بين تلاميذه ، لان تلك المعرفة من قبل المعلم تعتبر سمة أساسية لكل مرب كفاء ، كما أنه لاينبغي

(١) جيلفورد ، ميادين علم النفس " مرجع سابق " ، ص ١٧٩ .

(٢) عبد الحميد محمد الهاشمي ، الفروق الفردية - دراسة تحليلية تطبيقية (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٥) ، ص ١١ .

تجاهل وجود تلك الفروق الفردية بين التلاميذ ، والا سنتهم ولاريب بارتكاب خطأ تربوي جسيم عند القيام بأداء واجباتنا التدريسية (١) وبالتالي فان "هذا التفاوت بين البشر ضروري اذ لو كان الجميع صورا مكررة لشخص معين لما أمكن ان تجرى الحياة على ما هي عليه (٢) " .

ولقد أدرك النووي مبدأ الفروق الفردية بين الاشخاص بوجه عام وبين التلاميذ بوجه خاص فيقول الامام النووي في ذلك : " والاختيار أن ذلك يختلف باختلاف الاشخاص (٣) " وقوله أيضا " وهذا يختلف باختلاف الناس (٤) " وقوله أيضا : " وهذا يختلف باختلاف الناس والاحوال (٥) " .

واذا كان الناس أو المتعلمون يختلفون فيما بينهم - وهذه حقيقة لا تقبل الشك - فلا بد اذن للمعلمين مراعاة ذلك في تعليمهم ليسيسروا بالمتعلمين حسب قدراتهم ، فلا يكلفونهم ما لا يطيقونه ، ولا يحملونهم ما لا يتحملون ، بل يتعاملون معهم على قدر مستوياتهم فيقول الامام النووي : " فمن كان يظهر له بدقيق الفكر لطائف ومعارف فليقتصر على قدر ما يحصل له كمال فهم ما يقرؤه (٦) " وقوله كذلك : " وأن يعطى كل انسان منهم

-
- (١) آرثر جورج هيوز ، التعلم والتعليم " مرجع سابق " ص ٥٠ .
 (٢) عبد الرحمن صالح ، المنهاج الدراسي " مرجع سابق " ، ص ١٦٦ .
 (٣) النووي ، التبيان في آداب حملة القرآن " مرجع سابق " ، ص ٤٨ .
 (٤) النووي ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٦٣ .
 (٥) النووي ، التبيان " مرجع سابق " ، ص ٤١ .
 (٦) المرجع السابق ، ص ٤٨ .

مايليق به (١) . ويقول أيضا : " ولايدخر عنهم من أنواع العلم شيئا يحتاجون اليه اذا كان الطالب أهلا لذلك (٢) " . وقوله أيضا " ويفهم كل واحد بحسب فهمه وحفظه فلا يعطيه مالا يهتمله ، ولا يقصر به عما يهتمله بلا مشقة (٣) " . كما حذر الامام النووى المعلم من اعطاء المتعلم شيئا من العلوم والمعارف دون أن يمتلك المهارات والقدرات اللازمة لذلك فيقول : " ولايلق اليه شيئا لم يتأهل له لئلا يفسد عليه حاله (٤) " ، ويقول الامام النووى أيضا : " فلا يكثر على من لا يهتمل الاكثار ، ولا يقصر لمن يهتمل الزيادة (٥) " . بل ان الامام النووى يشدد فى هذه الناحية لدرجة أن يقول : " فلو سأل المتعلم عن ذلك لم يجبه ويعرفه أن ذلك يضره ولا ينفعه ، وأنه لم يمنعه ذلك شحا بل شفقة ولطفاً (٦) " . فالامام النووى لم يقتصر على المعلم فى التوجيه والارشاد فحسب بل للمتعلم أيضا فيقول فى ذلك : " ولا يحمل نفسه مالا تطيق مخافة الملل (٧) " . وقوله أيضا : " ولا يحمل نفسه مالا يطيق مخافة من الملل وضياع ماحصل (٨) " .

(١) النووى ، التبيان " مرجع سابق " ، ص ٣٤ .

(٢) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٥٢ .

(٣) ، (٤) المرجع السابق ، ص ٥٢ ، ٥٣ .

(٥) النووى ، التبيان " مرجع سابق " ، ص ٣٤ .

(٦) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٥٢ .

(٧) المرجع السابق ، ص ٦٣ .

(٨) النووى ، التبيان " مرجع سابق " ، ص ٤١ .

ويرى النووى أن اختلاف المتعلمين فى قدراتهم واستعداداتهم يقتضى تنوعا لاساليب التعليم وطرقه بما يلائم الفروق الفردية بينهم فيقول : " ويخاطب [أى المعلم] لكل واحد [أى من المتعلمين] على قدر درجته وبحسب فهمه وهمته ، فيكتفى بالاشارة لمن يفهمها فهما محقا (١) " .
وأما الاقل ذكاء من المتعلمين فله عند الامام النووى طريقة خاصة لتعليمه فيقول : " ويوضح العبارة لغيره [أى للاقل ذكاء] ويكررها لمن لا يحفظها الا بتكرار (٢) " ، ومن خلال ماسبق تبين لك قبل ذلك أن النووى مدرك لذلك الارتباط الوثيق بين الفروق الفردية بين التلاميذ وطريقة تدريسهم فعلى المعلمين أخذ ذلك فى الاعتبار وتطبيقه فى مدارسهم لتعم الفائدة المرجوة للجميع ، لان : " طريقة التدريس ذات علاقة وثيقة بهذا الموضوع ... ، ومهما يكن من أمر فان شخصية المعلم ذات أثر كبير فى نجاح أية طريقة مقترحة . فالمعلم هو المسؤول عن تقديم المواد التعليمية بصورة تلائم المتعلمين على الرغم مما بينهم من تفاوت (٣) " .

ولاشك أن " الفروق الفردية تعتبر مبدأ وقانون عام أساسى فى علم النفس ، وحيث أن التوجيه والارشاد حق لكل فرد ، فان مسألة الفروق الفردية تصبح ذات أهمية كبيرة . ولا بد من وضع الفروق الفردية فى الحسبان فى تعليمهم وارشادهم (٤) " .

-
- (١) ، (٢) النووى ، المجموع ، " مرجع سابق " ، ص ٥٣
(٣) عبد الرحمن صالح ، المنهاج الدراسى " مرجع سابق " ص ١٦٦ - ١٦٧ .
(٤) حامد عبد السلام زهران ، التوجيه والارشاد النفسى ، ط ٢ (القاهرة : عالم الكتب ، ١٩٨٠) ، ص ٦٥ .

وهكذا فاهتمام الامام النووى بالفروق الفردية بين التلاميذ ومراعاتها أثناء تعليمهم لا يعنى إلغاء ذاتية أو شخصية الفرد والعمل على إذابته فى بوتقة الجماعة . وانما العمل على تنمية مالى الافراد من قدرات تزيد من الفروق الفردية (١) .

ويوجب الامام النووى على المعلم بأن لا تكون طريقته فى التدريس واحدة ، لأن هناك فروقا فردية متفاوتة فيما بين التلاميذ ينبغى عليه مراعاتها أثناء ذلك ، وعليه أن يقدم لهم المادة التعليمية بصورة تلائم المتعلمين على الرغم مما بينهم من تفاوت ، فنرى الامام النووى فيما سبق يوضح لنا أن المتعلم قليل الذكاء يكون عادة بطيء التعلم وبالتالي لا يستطيع مواصلة تعلمه دون تبسيط شديد للمعارف والعلوم التى يأخذها ، وشرح سهل ميسر للخبرات التى يراد له تعلمها ، وتوضيحها له بالامثلة والأشياء والنظائر المفهومة له (٢) .

فالمعلم فى تعليمه لهذا الصنف من المتعلمين عند الامام النووى عليه أن " يذكر الاحكام موضحة بالامثلة من غير دليل لمن لا يتحفظ الدليل ، فان جهل دليل بعضها ذكره له (٣) " أما التلميذ الذكى فيلزمه طريقة مغايرة عند تعليمه خلافا لمن سبقه من قليلى الذكاء ، فيلزم أن تكون

(١) عبد الرحمن صالح ، المنهاج الدراسى " مرجع سابق ، ص ١٦٦ .

(٢) حسن عبد العال ، فن التعليم عند ابن جماعة " مرجع سابق " ص ١٨٨ .

(٣) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٥٣ .

المعارف والخبرات المراد له تعلمها تتحدى قدراته وتستثير ذكاءه فتخلو من كثير الامثلة وتنحو بصورة اكبر نحو التجريد والتعليل، والوقوف على أسرار الاحكام وفهمها^(١)، ولهذا نبه الامام النووى المعلم على ضرورة أن " يذكر الدلائل لمحتملها [أى من الاذكياء] ويذكر هذا مما بينا على هذه المسألة وما يشبهها وحكمه حكمها وما يقاربها مخالف لها، ويذكر الفرق بينهما ، ويذكر مايرد عليها وجوابه أن أمكنه ، ويبين الدليل الضعيف لئلا يغتر به ^(٢) ". وقوله أيضا : " ويكرر مايشكل من معانيه وألفاظه إلا اذا وثق بأن جميع الحاضرين يفهمونه ^(٣) ".
ان علمائنا سبقوا الغرب من قديم فى تربية المتفوقين والاعتناء بهم وهذا ما دعا اليه الامام النووى .

فيرى أن أمثال هؤلاء المتعلمين الاذكياء ، من ذوى الاستعدادات الخاصة ، يحتاجون الى رعاية خاصة من معلمهم ، وكذلك الى مناهج تعليمية تتلاءم وما يملكون من مواهب وقدرات خاصة يقبلها الامام النووى : ويوقر فاضلهم بعلم ^(٤) " . قوله وأن يرحب بهم عند اقبالهم اليه ، ويظهر لهم البشر ، وطلاقة الوجه ، ويحسن اليهم بعلمه ^(٥) " وان يرفع مجلس الفضلاء ويكرمهم بالقيام لهم على سبيل الاحترام ^(٦) " .

(١) حسن عبد العال ، فن التعليم عند ابن جماعة " مرجع سابق " .

، ص ١٨٨ .

(٢) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٥٣ .

(٣) (٤) المرجع السابق ، ص ٥٦ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٥٢ .

(٦) المرجع السابق ، ص ٥٦ .

وعلى المعلم أن يخص المتعلم الذكى بمزيد من الحفاوة والتكريم والخطوة الخاصة من قبله فينهي الامام النووى المعلم بقوله : " ولا يخاطب الفاضل منهم باسمه بل بكنيته ونحوها (١) " . ويستشهد على ذلك بحديث عن عائشة رضى الله عنها قالت : " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكنى أصحابه اكراما لهم وتسنية لأمورهم (٢) " . فنرى الامام النووى يومئذ كثيرا بهؤلاء الفئة من المتعلمين النابغين والعناية بهم بسبب استعداداتهم وقدراتهم الخاصة ، وليكون ذلك سببا لمواصلة تقدمهم العلمى بما ينفع المسلمين ويغنيهم عن سواهم .

وخلاصة القول ان ادراك الامام النووى حقيقة الفروق الفردية بين المتعلمين وكذلك اختلاف الناس بعضهم عن بعض فى المواهب والاستعدادات والقدرات أدى الى حثه المستمر للمعلم بمراعاة مبدأ الفروق الفردية بين المتعلمين ما أمكن لأن مراعاة الفروق الفردية بين التلاميذ حافز كبير على التحصيل العلمى ، فينبغى على المعلم تجاه ذلك أن يكتشف تعليمه وطريقته التدريسية حسب قدرات واستعدادات تلاميذه ، فكل واحد منهم لديه قدرات واستعدادات تختلف عن غيره ، وذلك باتباع طريقة ملائمة لجميع مستويات المتعلمين الذهنية ، ومتماشية مع تكافؤ الفرص بينهم ، واكتشاف التلاميذ النابغين منهم ، والوقوف على استعداداتهم الخاصة . وهى من حيث أهميتها تعتبر نقاط الانطلاق فى توجيه المعلم المتعلمين الى عملية تعليم فعالة مؤثرة .

(١) (٢) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٥٢ .

رابعاً - طرق التدريس والدراسة

تعتبر الطريقة التربوية جزءاً من المنهج وتمثل الأسلوب أو النهج الذى يسلكه المربى أو النظام الذى يرضيه لتزويد المتعلمين بالمبادئ والخبرات التى يتضمنها المنهج التربوى، وهى ما يعبر عنها فى العملية التعليمية بطريقة التدريس . فطريقة التدريس هى الاداة الموصلة بين المعلم والمتعلم . ولاشك أن هناك ارتباطاً وثيقاً بين المحتوى وطريقة التدريس لا يمكن الفصل بينهما ، فكل منهما يمثل حلقة فى المنهج التربوى وتكمل كل منها الاخرى وتتممها .

فنجد أن الطريقة تؤثر فى المحتوى الذى ينبغى أن يتعلمه المتعلمون ، وكيف يتعلمونه ومدى قابلية ما يتعلمونه للتطبيق ، كما أن للمحتوى دوراً فى تحديد طريقة التدريس الذى ينبغى للمعلم أن يسلكها . اذ تختلف الطريقة تبعاً لطبيعة المادة التعليمية ، وهى تتأثر أيضاً بكل من المعلم والمتعلم . فتأثر بالمعلم من حيث حالته النفسية وكفايته المهنية ، ومدى قدرته على تكييف أسلوبه واجراء التعديل على طريقته لتصبح أكثر حيوية ونجاحاً . أما المتعلمين فتأثر بهم من حيث مواجهتها لحاجاتهم وفروقهم الفردية وأعمارهم العقلية والزمنية ومواهبهم الخاصة ، وقدراتهم الشخصية (١) .

(١) بريكان القرشى ، القدوة " مرجع سابق " ص ٦٥ - ٦٦ .

ولقد اهتم المربون المسلمون منذ القدم بطرق التدريس، والدلالة على اهتمامهم بها ما قام به أحد المربين المسلمين وهو برهان الاسـلام الزرنوجى من تأليف كتاب فى تعليم طرق التعلم أسماه " تعليم المتعلم طريقة التعلم "(١). ولقد اهتم كذلك الامام النووى أيضا بطرق التدريس وان لم يكتب فيها كتابة خاصة ، الا أن الدارس يستطيع التعرف على آرائه فى أساليب التدريس وطرائقه فى عصره . ومن المعروف أن طرق التدريس وأساليبه " ليست واحدة فى كل عصر وفى كل مجتمع ، بل هى وليدة ظروف وحاجات ومطالب اجتماعية معينة ، ومن ثم فهى تتغير كلما تغيرت الأهداف التعليمية ، والاهتمامات التربوية ، لمواجهة متطلبات المجتمع وحاجاته ، كما يشملها التعديل والتبديل كلما تعددت وتنوعت مصادر المعرفة ، وكما لفحت رياح التغيير ثقافة المجتمع ، أو شملت توقعات أفرادها وآمالهم "(٢) ومن هنا ينبغى عدم الحكم على صلاحية طرق التدريس وأساليبه عند الامام النووى الا فى ضوء متطلبات عصره الذى عاش فيه ، وفى اطار المؤثرات الثقافية التى أحاطت به فى القرن السابع الهجرى . لذا ينبغى أن لانقيس آراءه فيما يخص طرق التدريس بما جدّ من طرق وأساليب للتدريس ، فرضتها ظروف عصرنا وخصائصه مثل طريقة تدريس الوحدات ، وطريقة المشروع وغيرها .

وتعرف الطريقة فى التدريس بأنها : " سلسلة فعاليات منظّمة ، يديرها فى الصف معلم يوجه انتباه طلابه اليه بكل وسيلة ، ويشاركهم

(١) سيد احمد عثمان ، التعلم عند برهان الاسلام الزرنوجى (القاهرة :

الانجلو المصرية ، ١٩٧٧) ، ص ٣٨ - ٣٩ .

(٢) حسن عبد العال ، فن التعليم " عند ابن جماعة " مرجع سابق ص ٢٠٥

فى هذه الفعاليات لتؤدى بهم الى التعلم^(١) " وهناك تعريف آخر نرى أنه أشمل تعريف للطريقة هو : " جميع أوجه النشاط الذى يقوم به المدرس فى اطار مقتضيات مادة تدريسه وخصائص نمو تلاميذه ، وظروف بيئته ، بغية مساعدة تلاميذه على تحقيق التعلم المرغوب والتغير المنشود فى سلوكهم ، وبالتالي مساعدتهم على اكتساب المعلومات والمعارف والمهارات والعادات والاتجاهات والميول والقيم المرغوبة^(٢) " .

ومن هنا ندرك أن الطريقة عملية تعليم تتطلب خطوات يؤدى الانتقال فيها من واحدة الى أخرى فى النهاية الى التعلم ، إذ هى وسيلة نختارها ونتبعها لتفهم التلاميذ فى درس ما مادة معينة ، ويتوقف على حسن اختيارها نوع التعليم والتعلم وبحسن اختيارها يحمل النجاح للمعلم ، إذ أن حسن الاختيار ييسر ايعال المعلومات الى أذهان الطلاب بأسرع وقت وأقل جهد^(٣) " .

وعلى الرغم من أننا لم نستطع التوصل الى تعريف محدد للطريقة فى التدريس عند الامام النووى الا أننا نجد أن التعليم فى العهود الاولى كان يعتمد على الطريقة الفردية الخاصة بالمعلم وابداعه وابتكاره ، بالإضافة الى استعانتة بطلابه الاذكياء النابغين لتعليم مجموعات صغيرة عند ازدياد عدد المتعلمين لديه . فعملية التعلم ليست عبارة عن معلم يستظهر المعلومات ليعلم ، وطالب يستظهر ليمتحن . بل إنها عملية

(١) محمد حسين آل ياسين ، المبادئ الأساسية فى طرق التدريس العامة ، (بيروت : دار القلم ، ١٩٧٤) ، ص ٧٥ .

(٢) عمر محمد التومى الشيبانى ، فلسفة التربية الاسلامية (طرابلس : الشركة العامة للنشر والتوزيع ، ١٩٧٥) ، ص ٤٠٥ .

(٣) محمد حسين آل ياسين ، المبادئ الأساسية فى طرق التدريس العامة " مرجع سابق " ، ص ٧٥ .

انسانية جعلت واجبات المعلمين لا تنحصر فى الصف والمدرسة فحسب بل تعدت الى خارجها (١).

وسيتناول الباحث بعض طرق التدريس المستخلعة مما كتبه الامام النووى عن آداب المعلم . كما سنحاول تصنيفها تحت ما نعرفنا عليه الان من طرق التدريس .

١ - الطريقة الالقائية

تعتبر طريقة الالقاء أو المحاضرة من الطرق المستخدمة قديما فى التعليم ، وعلى الرغم من قدم تلك الطريقة ، فلا يمكن اعتبارها عديمة الفعالية ، فان " ثمة ارشادات تجعل منها طريقة فعالة ، اذا مارأى المعلم أنها تناسب موقفا تعليميا معيناً (٢) " وتعتمد هذه الطريقة فى عمومها على عرض الحقائق والمفاهيم وتوضيحها وتفسيرها ، كما تقوم على شرح المعلومات وتبسيطها ليسهل على التلاميذ استيعابها . ويتوصل المعلم بها فى درسه للتأثير على شعور التلاميذ ، وإثارة عواطفهم ، وحفزهم على العمل والنشاط .

وعلى الرغم من أن التربية الحديثة لم تعلق على طريقة الالقاء أو المحاضرة أهمية كبيرة وأصبح الاتجاه العام لهذه التربية سائرا نحو

(١) محمد حسين آل ياسين "المبادئ الأساسية"، مرجع سابق، ص ١١ - ١٢.

(٢) عزت جرادات وآخرون ، التدريس الفعال ، ط ٢ (سلسلة مطبوعات المكتبة التربوية المعاصرة ، ١٤٠٤ هـ) ، ص ٧٦ .

الاستعانة بطرق التدريس الأخرى التى تستغل فى الدرجة الأولى فعالية المتعلم فى التعلم ، إلا ان هناك بعض المواقف فى التعليم لا يمكن الاستغناء فيها عن طريقة اللقاء أو المحاضرات (١) . وهى الى الآن تعتبر " من أكثر الطرق شيوعا ، ولا تزال تستمتع بمركز هام بين جميع الطرق (٢) " ومن هذه المواقف نجد أن المعلم يحاضر طلابه شفاهة ويشرح لهم الجديد من المعلومات أو ينقل اليهم فكرة معينة لا يعرفها الطلاب ولا يستطيعون أن يتوصلوا اليها لا فى كتبهم المدرسية المقررة ولا فى المراجع التى بين أيديهم ان وجدت . وقد يحتاج ايضا الى التأثير على شعورهم وإثارة عواطفهم ، وفى هذه الحالة لابد ان يلجأ المعلم الى اللقاء والعرض .

ولقد أهتم الامام النووى بطريقة اللقاء أو المحاضرة ، بل يكاد المرء يلحظ أنها الطريقة الغالبة فى عملية التدريس عنده ، وأن غيرها من الطرق والوسائل انما تدور فى فلكها نظرا لطبيعة المادة العلمية وقلة الكتب . وقد يكون للامام النووى بعض العذر لسيادة الفلسفة التعليمية التى تستند اليها طريقة اللقاء فى عصره الذى عاش فيه ، وهى أن محور التعليم كان يعتمد بالدرجة الأولى على قدرة المعلم فى توجيه مسار الدرس . وهذه الطريقة تربط المعلم بمجتمعه ، وتجعله يأخذ بعين الاعتبار اهتمامات طلبته ، كما أنه يتأثر بالمناقشات والمساءلات التى يثيرها الطلاب ، فتنبه الى آفاق علمية جديدة (٣) . فنجد أن مركز الفعالية الحقيقى فى العملية التعليمية لطريقة اللقاء كان هو المعلم . وأصبح " الطالب وعاء فارغا يصب فيه ما يجتمع

-
- (١) محمد حسين آل ياسين ، المبادئ الأساسية " مرجع سابق " ، ص ٧٧ - ٧٨
 - (٢) محمد عزت عبدالموجود وآخرون ، أساسيات المنهج وتطبيقاته (القاهرة : دار الثقافة للطباعة والنشر ، ١٩٧٩) ، ص ١٣٦ .
 - (٣) صالح احمد العلى ، دراسات فى تطور الحركة الفكرية فى صدر الاسلام (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٣ هـ) ، ص ٢٤ - ٢٥ .

لدى المعلم من معلومات الماضى وحكمه (١) " .

فالمعلم فى طريقة الالتقاء دوره الاساسى " تعليمهم
او اللقاء درس عليهم [اى على التلاميذ] (٢) " والقيام بجميع
المعارف والمعلومات اللازمة للمتعلمين عن الدرس فيبين
لهم " من الاصول والامثال والاشعار واللغات (٣) " ، وليس هذا فحسب بل إنه
ينبه تلاميذه الى الاخطاء التى قد يقع فيها بعض المصنفين للكتب المدرسية
المقررة عليهم ، فيقول الامام النووى منبها المعلم على تدارك تلك
الاطياء وتهويلها " مثلا هذا هو العواب ، وأما ما ذكره فلان فغلط أو
ضعيف " (٤) والسبب فى تنبيههم القصد منه " النصيحة لئلا يغتر به
لا لتنقص للمصنف (٥) " . كما أن على المعلم فى طريقة الالتقاء دور اكبر
وهو أن يقوم بتوضيح الدرس للتلاميذ توضيحا شاملا من جميع جوانبه إذ يبين
للمتعلم " جملا مما يحتاج اليه ، وينضبط له (٦) " ، كما يبين له " حـد
الامر والنهى والعموم والخصوص والمجمل والمبين [المفعول] والناسخ
والمنسوخ (٧) " وغير ذلك . وكل هذا التوضيح من قبل المعلم لجوانب
الدرس لا يتم الا بطريقة الالتقاء وحدها ، ولذا نبه الامام النووى المعلم
الى مراعاة معلحة المتعلمين فى تقديم الدرس أو تأخيره فيقول: " ويؤخر
ماينبغى تأخيره ، ويقدم ماينبغى تقديمه (٨) " ولاشك أن ذلك كله لابد

(١) محمد حسين آل ياسين ، المبادئ الاساسية فى طرق التدريس العامة

" مرجع سابق " ، ص ٧٧ - ٧٨ .

(٢) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ج ١ ، ص ٥٨ .

(٣) ، (٤) ، (٥) المرجع السابق ، ص ٥٣ .

(٦) ، (٧) المرجع السابق ، ص ٥٤ .

(٨) المرجع السابق ، ص ٥٦ .

أن يتم بالتدريج للتلاميذ فيقول الامام النووى : " ويكون تعليمه اياهم كل ذلك تدريجا شيئا فشيئا لتجتمع لهم مع طول الزمان جمل كثيرات (١) " ،
ويطلب الامام النووى من المعلم اشارة دوافع تلاميذه للتعلم وذلك بأن
" يحرضهم على الاشتغال [أى بالعلم] فى كل وقت (٢) " وكما يعتنى
" بمصالحه [أى المتعلم] كاعتناؤه بمصالح نفسه وولده (٣) " .

ويطلب الامام النووى من المعلم أن يكون " سهلا بالقائه السلى
مبتغيه متلطفًا فى افادته طالبيه مع رفق ونعيحة وارشاد الى المهمات (٤) " .
كما يستحب للمعلم " أن يرفق بالطالب ويحسن اليه ما أمكنه (٥) " .

كما طلب الامام النووى أيضا من المعلم أن يكون القاؤه الدرس
على تلاميذه " مترسلا مبينا واضحا " (٦) لى تحمل لهم الفائدة المرجوة
على الوجه الاكمل . ولاشك أن طريقة الالتقاء والمحاضرة قد احتلت موقع
الصدارة بين طرق التدريس عند الامام النووى فى عصره . اذ تبدأ عملية
التعليم - بالدرجة الاولى - من المعلم وتنتهى بالتلاميذ .

(١)، (٢) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٥٥ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٥١ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٥٢ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٤٦ .

(٦) المرجع السابق ، ص ٥٦ .

الاعداد للدروس

لا يخفى أن الاعداد للدروس يعتبر الحجر الأساسى للتدريس الجيد المبدع ، باعتبار أن عملية الاعداد مرحلة من مراحل عملية التدريس التى لا يمكن أن نقلل من قيمتها أو تقديرها ، حيث أن الاعداد يؤدي الى " تحقيق الاهداف المنشودة " ، بأقل جهد وأقصر وقت وأفضل نتائج (١) " ، فالاعداد للتدريس يمثل " منهجا وأسلوبا وطريقة منظمة للعمل ، إنه عملية عقلية منظمة هادفة ، تؤدي الى بلوغ الاهداف المنشودة بفعالية وكفاية (٢) " . وينبغى عند الاعداد للدروس للتلاميذ ، ووضع الاطار للمادة العلمية ، أن تعطى الوقت الكافى للتفكير فى " كيف تدرس ؟ " ، مثلما نفكر فى " ماذا ندرس ؟ " (٣) . ومن الخطأ أن يبدأ المعلم فى التدريس بطريقة الالقاء أو المحاضرة بدون اعداد مسبق أو استعداد لها فكما " أن كل الطرق التدريسية الأخرى تتطلب دراسة وإتقاناً كذلك طريقة المحاضرات فهى تحتاج الى دراسة وإلى تحضير شأنها شأن الطرق الأخرى (٤) " .

ولذلك ينبغى على المعلم أن يعامل المتعلمين بالطريقة التى تجعل المتعلم أكثر فاعلية . لا من حيث تعلم المواد الدراسية فحسب ، بل أيضا

(١) عزت جرادات وآخرون ، التدريس الفعال " مرجع سابق " ، ص ٦٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٦٣ - ٦٤ .

(٣) محمد سليمان شعلان ، سعاد جاد الله ، محمد محمود رضوان ، اتجاهات

فى أصول التدريس بمدرسة التعليم الأساسى ، ط ١ (القاهرة : دار

الفكر العربى ، ١٩٨١) ، ص ١٠١ .

(٤) محمد حسين آل ياسين ، المبادئ الأساسية " مرجع سابق " ، ص ٨٠ .

من حيث تعلم المهارات والاتجاهات والسلوك . فطريقة التدريس " ذات أهمية قصوى لكل شخص مهتم بالتدريس ذلك أنه لا يستطيع أى شخص أن يدرس شيئاً ما لشخص آخر دون أن يفعل ذلك بطريقة ما . وهذه الطريقة لها آثار هامة على الموقف التدريس كله ، وكذلك على التعلم (١) " فنجد أنه ——— المستحسن أن يهتم المعلم بطرق التدريس " القديمة " [يقصد المتعارف عليها والمجربة من قبل] إذا كان فى مطلع حياته التعليمية (٢) " .

ولكى تحقق طريقة اللقاء أهداف التعليم وتتخلص مما يلحق بها من عيوب فإن على المعلم أن يعد لها اعداداً جيداً قبل أن يشرع فى اللقاء درسه ، ويرى الامام النووى أن الاعداد للقاء يتحقق بالتالى :

١ - تهيؤ المعلم للقاء الدرس :

يقعد بالتهيؤ هو : الاتجاه المهيىء لمواجهة موقف التعلم، وهذا الاتجاه له دوره الواضح فى نجاح عملية التعلم (٣) " . فقد طلب الامام النووى من المعلم أن لا يدخل فى الدرس مباشرة ، وانما لابد من التهيؤ النفسى له وذلك بطلب الاستعانة بالله والتقرب اليه بالنوافل . فاذا وصل المعلم الى موضع الدرس " ملى ركعتين ، فان كان مسجداً تأكد الحث

(١) روثال . ت . هايمان ، طرق التدريس ، ترجمة ابراهيم محمد الشافعى (الرياض : جامعة الملك سعود ، عمادة شئون المكتبات ، ١٤٠٣) ، ص

٣٥ - ٣٦ .

(٢) آرثر جورج هيوز ، اى اج . هيوز ، التعلم والتعليم مدخل فى التربية

وعلم النفس ، ترجمة حسن الدجيلى (الرياض ، جامعة الملك سعود ، ١٤٠٢) ص ٤٣ .

(٣) سيد أحمد عثمان ، التعليم عند برهان الاسلام الزرنوجى " مرجع سابق " ص ٤٣ .

على الصلاة (١) " ثم بعد ذلك التهيؤ للجلوس للدرس ، وذلك بأن " يقعد مستقبل القبلة على طهارة . متربعا ان شاء ، وان شاء محتبيا * وغير ذلك (٢) " و " أن يجلس بوقار (٣) " .

ويتقدم ذلك العناية بالمظهر العام للمعلم وذلك بأن تكون " ثيابه نظيفة بيض (٤) " . دون أن " يعتنى بفاخر الثياب (٥) " فالمعلم فى نظر الامام النووى قدوة حسنة لتلاميذه فى مظهره وهندامه دون مغالاة أو ابتذال ، وفى أخلاقيات المهنة ، وسلوكه بعفة عامة . حتى ينطبع هذا فى نفوس تلاميذه عن طريق المحاكاة والتقليد والتأس به (٦) " .

ومن تهيؤ المدرس للدرس أيضا عقد النية وهى شرط ضرورى للتعليم وذلك بأن يقعد المعلم " بتعليمه وجه الله تعالى ... والا يجعله وسيلة الى غرض دنيوى (٧) " . وهذا من شأنه أن يجعل المعلم يستشعر قيمة عمله ويحس بالمتعة فى ممارسته ، فلا يطلب التدريس (التعليم) حينئذ كمهنة أو عملا ليكتسب منه ، وانما لكون " التعليم أكد العبادات ، وليكون

(١)، (٢)، (٣)، (٤)، (٥) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٥٦ .

* قال ابن الاثير : الاحتباء هو أن يضم الانسان رجليه الى بطنه بثوب يجمعهما به مع ظهره ويشده عليها .

وقال الجوهري : احتبى الرجل اذ أجمع ظهره وساقيه بعمامته وقد يحتبى بيديه . ابن منظور ، لسان العرب ، ج ١٤ ، ص ١٦ .

(٦) عرفات عبد العزيز ، المعلم والتربية " مرجع سابق " ، ص

١١٨ - ١١٩ .

(٧) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٥٠ .

ذلك حاشا له [اى للمعلم] على تصحيح النية ، ومحرضا له على مبادئه (١)
من مكدراته ومن مكروهاته، مخافة فوات هذا الفضل العظيم والخير الجسيم "
كما يحرص الامام النووى كل الحرص على تذكير المعلم دائما بأن التعليم
" من أهم أمور الدين ، وأعظم العبادات ، وأكد فروض الكفايات (٢) " وهذا
من شأنه أيضا أن يرفع من حماس ونشاط المعلم فى بذل الوسع لتفهيم طلابه
والخروج بالفائدة المرجوة .

ويعاين الطلاب الاعداد النفسى للمعلم التهيؤ الروحى له وللمتعلميــــــــــــن
وذلك باستشارة العاطفة الدينية عندهم عن طريق سماع ماتيسر من القرآن
قبل البدء فى الدرس لكى تطمئن القلوب به وتغشاهم الرحمة فيقول ففى
ذلك : " ويقدم على الدرس تلاوة ماتيسر من القرآن ، ثم يبسم ، ويحمد
الله تعالى ، ويملى ويسلم على النبى صلى الله عليه وسلم وعلى آله ،
ثم يدعو للعلماء الماضيين من مشايخه ووالديه والحاضرين وسائـــــــــــــر
المسلمين(٣) " ، ثم يقول بعد ذلك " حسينا الله ونعم الوكيل ، ولا حول
ولا قوة الا بالله العلى العظيم " ، ثم يتعوذ بالله بقوله : " اللهم
انى أعوذ بك من أن أضل أو أضل ، أو أزل أو أزل ، أو أظلم أو أظلم ،
أو أجهل أو يجهل عليّ(٤) " . أخرجه أبو داود والترمذى والنسائى .

(١) (٢) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٥٠ .

(٣) (٤) المرجع السابق ، ص ٥٦

وهذه فى الحقيقة سنة متبعة لدى علماء السلف رضوان الله عليهم
قبل القاء الدرس . وبالإمكان إطلاق هذا على (التمهيد للموضوع أو المقدمة)
لأن المعلم ينبغى أن لا يدخل فى الموضوع مباشرة بل يمهّد له أولاً .

ومن ذلك أيضاً عدم إطالة الدرس أو تقصيره لأن ذلك يؤدى بالدارسين
إلى الملل والسأم ويفقداهم الاهتمام بمتابعة المعلم ، ويعرف أذهانهم
عن شرحه فيقول الإمام النووى " ولا يطول مجلسه تطويلاً يملهم أو يمنعهـم
فهم بعض الدروس أو ضبطه (١) " ، ومن ذلك أيضاً عدم رفع الصوت زائداً على
قدر الحاجة أو خفضه فيقول الإمام النووى : " ولا يرفع صوته زيادة على
الحاجة ولا يخفضه خفضاً يمنع بعضهم كمال فهمه (٢) " .

ويمحّب الإعداد النفسى والروحى أيضاً التهيؤ البدنى والجسمى ،
إذ أن حالة المعلم الجسمية تؤثر فى قدرته على القاء درسه وإفادة تلاميذه
ويصبح عندئذ غير قادر على الانتاج المثمر المطلوب ، لذا نهى الإمام
النووى المعلم أن " يذكر الدرس وبه ما يزعجه (٣) " فالمرض والجوع
ومدافعة الأخبثين أو شدة فرح أو غضب وغيرها من العوامل التى تحول دون
إجادة المعلم لعرض درسه والقاءه بالصورة المطلوبة وقد أخبر الإمام
النووى عن تلك العوامل بقوله : " كمرض أو جوع أو مدافعة الحدث أو شدة
فرح وغم (٤) " . فهذه العوامل من شأنها أن تجعل المعلم كسولاً فى عمله

(١)، (٢)، (٣)، (٤) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٥٧ .

غير مقبل عليه يتطرق اليه السأم أو الكآبة وهو ما يخشى أن ينعكس أثره على تعامله مع تلاميذه وفي موضع درسه .

٢ - تهيئة المتعلمين للدرس :

ينبغي على المعلم أن يهيئ تلاميذه لدرسه ، ويعد أذهانهم له ، وذلك بأن يجلس المعلم في حجرة الدراسة أو موضع الدرس بحيث يراه كل التلاميذ ، ومن ثم يستطيعون متابعتة في الدرس ، ولا يغيبون عن نظره . لذا طلب الامام النووي من المعلم " أن يجلس في موضع يبرز فيه وجهه لكلهم (١) " كما ينبغي على المعلم " أن يعون يديه عن العبث ، وعينيه عن تفريق النظر بلا حاجة (٢) " . وعليه أن يشيع جوا من اللفة والمودة بين التلاميذ والحاضرين قبل الشروع في القاء الدرس فيقول : " ويحسن خلقه مع جلسائه ويوقر فاضلهم بعلم أو سن أو شرف أو صلاح ونحو ذلك ويتلطف بالباقيين ، ويرفع مجلس الفضلاء ، ويكرمهم بالقيام على سبيل الاحترام (٣) " ، كما أنه " يرحب بهم عند اقبالهم اليه ... ويظهر لهم البشر وطلاقة الوجه (٤) " . فنجد أن ما يقوم به المعلم على هذا الوجه إنما هو في الحقيقة تهيئة أفضل بيئة لتعليم التلاميذ ، وحبهم للمعلم واقبالهم على تدريسه وبالتالي تعلمهم منه أشياء كثيرة .

(١)، (٢)، (٣) النووي ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٥٦ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٥٢ .

٣ - تقدير الوقت اللازم للدرس :

ينبغي للمعلم أن يدرك أهمية الوقت للقاء درسه بحيث لا تتجاوز الوقت المحدد له ، ولا يقصر عنه لأن قدرة الطالب على مواصلة الانتباه قليلة فيقول الامام النووي : " ويطلبهم [أى المعلم] فى أوقات باعادة محفوظاتهم^(١) " ولذا نبه الامام النووي المعلم على حساب الوقت اللازم لدرسه قبل البدء فيه حتى " لا يطول مجلسه تطويلا يملهم أو يمنعهم فهم بعض الدروس أو ضبطه^(٢) " . بل عليه مراعاة أن " المقصود افادتهم وضبطهم ، فاذا صاروا الى هذه الحالة فاتته المقصود^(٣) " ويحذر الامام النووي المعلم من أن " يوضح ايضا حتى ينتهى الى الركافة ، ولا يوجز ايجازا يفضى الى المحق والاستغلاق^(٤) " ، ويبعد المعلم تلاميذه عن السأم والملل الناشئين من ملازمة الموضوع ملازمة طويلة .

٤ - الوقوف على استعدادات وقدرات الطلاب قبل البدء فى القاء الدرس :

ينبغي على المعلم ، أن يكيف درسه وفق استعدادات وقدرات تلاميذه الذهنية فلا يلقي عليهم من المعارف ما يشعر المتعلمين أنها أعلى من ذكائهم ، فينبه الامام النووي المعلم بأن " لا يلقي اليه [أى المتعلم] شيئا لم يتأهل له لئلا يفسد عليه حاله^(٥) " .

(١) النووي ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٥٥ .

(٢) (٣) المرجع السابق ، ص ٥٧ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٥٠ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٥٢ .

وكذلك طلب من المعلم بأن " لا يدخر عنهم من أنواع العلم شيئا يحتاجون اليه ، اذا كان الطالب أهلا لذلك (١) " وذلك بأن يكون ذكاؤهم ومستوياتهم العقلية أهلا لتلك العلوم والمعارف وبما يلائمهم . ولاشك أن وقوف المعلم على قدرات تلاميذه واستعداداتهم ومستوياتهم العقلية قبل البدء فى عملية التدريس يضمن له نجاح درسه ويمكنه من تحقيق هدفه .

هـ - تبسيط الموضوع :

لابد للمعلم من التفكير قبللقاء الدرس فى مواضع درسه التى تحتاج الى استخدام أساليب وتعبيرات كلامية معينة ، وايضاحات لفكرة ما وبخامة فى المواضيع التى يخشى فيها الحرج أو يمنعه الحياء أحيانا من ذكرها ، فينبغى للمعلم انتخاب الالفاظ والمعلومات التى سوف يلقيها على تلاميذه ، ولابد للمعلم من أن يوضح تلك المعانى والألفاظ ، ويطلب الامام النووى من المعلم ذلك فيقول : " ويكرر مايشكل من معانيه وألفاظه الا اذا وثق بأن جميع الحاضرين يفهمونه بدون ذلك ، واذا لم يكمل البيان الا بالتهريج بعبارة يستحى فى العادة من ذكرها فليذكرها بتهريج أسمها (٢) " ويوضح الامام النووى أهمية ذلك التوضيح للتلاميذ فيقول : " ولا يمنعه الحياء ومراعاة الادب من ذلك ، فان ايضاحها أهم من ذلك (٣) " . واذا كانت الكناية تؤدى المقصود وتفهمه فهما جيدا ، فيرى الامام النووى أن يكتفى

(١) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٥٢ .

(٢) (٣) المرجع السابق ، ص ٥٦ .

ب " الكناية فى مثل هذا اذا علم بها المقصود علما جليا ، وعلى هذا التفصيل يحمل ما ورد فى الاحاديث من التصريح فى وقت ، والكناية فى وقت (١) " .

ف نجد أن الامام النووى أشار الى أن فهم التلاميذ للدرس هدف لا بد منه ولذلك قال فيما سبق : " فان ايضاحها أهم من ذلك (٢) " .

وصفة القول أن " التخطيط للتدريس يمثل احدى المهارات المهمة التى ينبغى على المعلم اكتسابها وممارستها (٣) " لأن " الخطة التدريسية تمثل قاعدة الارتكاز ومحور الانطلاق فى العملية التربوية (٤) " وذلك للدلالة على أهمية التخطيط للتدريس قبل لقاء الدروس . ولأن التعليم غير المبني على التخطيط السليم لا يلبي طموحات الافراد أو المتعلمين .

تلك كانت ملامح من القواعد العامة التى أكدها الامام النووى فى كتابته عن آداب المعلم من حيث كيفية استخدام الطريقة الالقائية أو المحاضرات استخداما مفيدا بعد التخلص من عيوبها التى قد تلحق بها .

(١)، (٢) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٥٦ .

(٣) عزت جرادات وآخرون ، التدريس الفعال " مرجع سابق " ، ص ٦٥ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٦٥ - ٦٦ .

وتعتبر طريقة الاسئلة والاستجواب من الطرق المستخدمة من القديم في التعليم ، وقد تتخلل طريقة الالتقاء بطريقة الاسئلة ليست طريقة منفردة في عملية التدريس وقائمة بذاتها ، بل لابد من جميع الطرائق التدريسية أن يعاينها ويتخللها عدد من الاسئلة ، وهذا بالطبع يختلف من طريقة لأخرى ، فبعضها يكون عدد الاسئلة كثيرا ، وفي البعض الآخر قليلا ، إلا أن بعض الطرق كالمنافشة مثلا تتألف من الاسئلة بصورة غالبية ولا سيما المناقشة التي يديرها المعلم بينه وبين تلاميذه فهو المسؤول عن توجيه الاسئلة إلى طلابه (١) .

ومع أن حاجة المتعلمين إلى توجيه الاسئلة من قبل المعلمين باستمرار قد أصبحت في الظروف المدرسية وبالطرق التربوية الحديثة أقل مما كانت عليه سابقا نظرا لتعدد طرق التدريس الحديثة ولكثرة عدد التلاميذ في الفصل الدراسي الواحد . فإن فن الاستجواب " الحوار والنقاش " يبقى قسما مهما من أقسام طرق التعليم ، فالاسئلة عماد طريقة تدريس المدرس لاسيما إذا كان الدرس كله يتألف من الاسئلة والاحوية (الاستجواب) حيث أن كفاءة المعلم لا تظهر إلا بطريقة توجيه الاسئلة وكيفية صياغتها وكيفية اشارة المتعلمين لتلقيها وفهمها والاجابة عليها (٢) .

(١) (٢) محمد حسين آل ياسين ، المبادئ الأساسية في طرق التدريس العامة " مرجع سابق " ، ص ٩٠ .

وتعتبر الاسئلة من أهم عناصر طرق التدريس ، اذ تحقق أغراضا متعددة من أغراض التعليم ، من ذلك أنها وسيلة فى متناول أيــــــدى المتعلمين تعيينهم على فحص نتائج التعلم ، وعلى معرفة مدى تفهم المتعلمين للايضاحات التى يقدمها لهم المعلمين ، كما تستعمل الاسئلة لاثارة التفكير لدى المتعلمين فى نقطة معينة من نقاط الدرس ، وجلب انتباههم الى الدرس ، وبالتالى تحريك حب الاستطلاع فى نفوسهم ، وحينما لحمل الطلاب على ربط بعض خبراتهم السابقة بالدرس الجديد المراد تعليمه ، وفى ذلك ربط الدرس بالحياة وبالواقع الحاصل فى المجتمع (١) .

ولقد اهتم الامام النووى بطريقة الاسئلة (الاستجواب) وتناولها من خلال حديثه عما أسماه " آداب المعلم " أو " آداب المتعلم " . ويمكننا أن نتناول طريقة الاسئلة والاستجواب (الحوار والنقاش) عنده على النحو التالى :

أغراض الاسئلة :

تحقق الاسئلة والاستجواب عند الامام النووى أغراضا متعددة من

أهمها :

١ - معرفة نتائج التعلم :

يقف المعلم عن طريق الاسئلة على مقدار المعلومات والحقائق والمعارف التى استوعبتها أذهان المتعلمين ، كما يتعرف عن طريقها على

(١) محمد حسين آل ياسين ، المبادئ الاساسية " مرجع سابق " ، ص ٩١ - ٩٣ .

مدى فهم المتعلمين لشرحه وايضاحه فهما واضحا ، ولقد عبّر الامام النووى عن ذلك بكلمة " ضبطهم " ، كما اكد ايضا على اهمية الاسئلة فى معرفة فهم المتعلمين لما شرح لهم ولذا قال : " وينبغى للمعلم أن يطرح على أصحابه [أى المتعلمين] ما يراه من مستفاد المسائل ، ويختبر بذلك أفهامهم (١) " . ولأن المقصود الحقيقى فى نظر الامام النووى هو " افادتهم وضبطهم (٢) " . وأن توجيه الاسئلة على المتعلمين عند الامام النووى من أهم ما يكشف للمعلم عن مدى فهم تلاميذه للدرس ، ولذا فلا ينبغى للمتعلم أن يسأل المعلم أسئلة خارج موضوع الدرس لأن ذلك يؤدي الى ضياع الوقت ، فينبغى على المعلم أن يؤكد على الاسئلة ذات الاهمية للدرس وللتلاميذ ، فكثير من التلاميذ يسألون عن أشياء خارجة عن الدرس الامر الذى يؤدي الى تفريق أذهان التلاميذ وتشتيت انتباههم ، لذا طلب الامام النووى من المعلم أن يعود تلاميذه بعدم سؤاله " عن شيء فى غير موضعه الا أن يعلم من حاله أنه لا يكرهه (٣) " وكما نهى المتعلم أيضا من مسابقة شيخه " الى شرح مسألة أو جواب سؤال الا أن يعلم من حال الشيخ ايثار ذلك ليستدل به على فضيلة المتعلم (٤) " .

ويرى الامام النووى أن طرح المعلم للأسئلة بين الحين والآخر خلال عرضه للدرس يعبد مؤشرا جيدا للتأكد من متابعة التلاميذ ومدى فهمهم

(١) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ج ١ ، ص ٥٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٧ .

(٣) ، (٤) المرجع السابق ، ص ٦٢ .

للدرس ذلك لان الطالب ربما استحيا " من قوله لم أفهم (١) " ويرجع السبب الى أن " استثباته يحصل له مصالح عاجلة وآجلة ، فمن العاجلة حفظه المسألة وسلامته من كذب ونفاق باظهاره فهم مالم يكن فهمه ، ومنها اعتقاد الشيخ اعتناؤه ورغبته وكمال عقله وورعه وملكه لنفسه وعدم نفاقه ، ومن الآجلة ثبوت الصواب في قلبه دائما واعتياده هذه الطريقة المرضية والاخلاق المرضية (٢) " .

وعلى المعلم أن يعود تلاميذه آداب السؤال ، فيطلب الامام النووي من المتعلم حينئذ أن " يتلطف في سؤاله (٣) " ومن آداب السؤال أيضا أن " يحسن خطابه (٤) " الى المعلم فهذه الآداب تفضي على الصف الدراسي جوا من الهدوء والبعد عن الضوضاء الامر الذي يؤدي الى تعلم جيد وعدم اضاءة للوقت فيما لافائدة منه .

٢ - مراجعة المعلومات السابقة باستعادتها :

فالمراجعة للدروس السابقة من قبل المعلم عن طريق الاسئلة والاستجواب مفيدة في ترسيخ المعرفة التي تم تحصيل المتعلمين لها من قبل . ولما في المراجعة بذلك من ربط الدروس بعضها ببعض وكأنها وحدة متجانسة لا تتجزأ يقول الامام النووي في ذلك : " ويطالبهم [أي المعلم] في أوقات باعادة محفوظاتهم ، ويسألهم عما ذكره لهم من المهمات (٥) " .

(١)، (٢)، (٣)، (٤) النووي ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٦٢ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٥٥

وكذلك قوله " واذا فرغ من تعليمهم أو القاء درس عليهم أمرهم باعادته ليرسخ حفظهم له ، فان أشكل عليهم منه شيء ما عاودوا الشيخ فى ايضاحه (١) " ولقد حذر الامام النووى كلا من المعلم والمتعلم من الاسئلة التعجيزية المعبة لاي منهما فقال : " ولا يسأل أحدا تعنتا وتعجيزا ، فإلسائــــل تعنتا وتعجيزا لا يستحق جوابا (٢) " .

ان مراجعة المعلومات بواسطة الاسئلة أمر لازم لتثبيتها فى أذهان المتعلمين كما أن "المراجعة ضرورية لاكتساب المعلومات دون الوقوف عند حد السيطرة الجزئية عليها ، ومن ناحية أخرى فان تكرار المهارات والعادات بين آن وآخر - حتى بعد أن تصبح الاستجابة آلية صحيحة - أمر لازم لتجنب النسيان (٣) " . وفى ضوء ذلك يتضح اهتمام الامام النووى بالمراجعة بعد الفراغ من القاء الدرس عليهم " باعادته ليرسخ حفظهم له (٤) " .

فالمعلم الواسع المعرفة هو الذى يعرف كيف ينقل ما يعرفه الى طلابه ، ويستفيد من علاقته بهم وذلك بتواضعه وحسن معاملتهم واطهار المودة لهم لكي يصبح لدى التلاميذ الجرأة على سؤال المعلم دون خوف أو وجل عندما يوجهون اليه أسئلة ويكتشفون الاشياء التى تعلمها وعرفها (٥) .

-
- (١) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٥٨ .
 (٢) المرجع السابق ، ص ٦٦ .
 (٣) فكرى حسن ريان . التدريس " مرجع سابق " ، ص ١٨٧ .
 (٤) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٥٨ .
 (٥) ايرل بولياس ، جيمس يونغ ، المعلم أمة فى واحد ، تعريب ايلس واريل ، (بيروت : دار الافاق الجديدة د . ت) ، ص ١٥٠ .

أما العلاقة الوطيدة بين المعلم والمتعلمين من أهم العوامل في الناحية التعليمية ، لان هذه العلاقة تشتمل على الطريقة التي يتفهم المعلم من خلالها طلابه ويعلمهم بها ، وعلى الطريقة التي يتفهم بها الطلاب والمعلم ، مما يؤدي بذلك الى تعلم مثمر فعال ، وتجعله أكثر فعالية وايجابية .

فالمعلم الناجح هو الذى لا يرحب بالاسئلة فقط بل يشجع تلاميذه على طرحها بحركة ايجابية ، وحينما يطرح عليه الاسئلة يظهر البشاشة والبشر وطلاقة الوجه (١) * وكذلك يحمل تلاميذه باسئلته على مراجعة ما درسوه من معلومات ومعارف وعلى تكرار ما هو هام ومفيد لهم أو بتعبير الامام النووى " المهمات " أو " مستفاد المسائل " أو " الفوائد النفيسات " . او " منبها على القواعد " فيقول الامام النووى منبها المعلم بذلك : " ويظهر لهم البشر وطلاقة الوجه ويحسن اليهم (٢) " . وكما " يسألهم عما ذكره لهم من المهمات (٣) " .

٣ - مساعدة المتعلمين فى التعرف على الحقائق والمسائل والفوائد والمعلومات الأكثر أهمية من غيرها :

أشار الامام النووى الى ما ينبغى على المعلم سؤاله للمتعلمين بغية " ارشاد الى المهمات أو تحريض على حفظ ما يبذله لهم من الفوائد

(١) آرثر جورج هيوز ، اى اج ، هيوز ، التعلم والتعليم " مرجع سابق " ، ص ٣٦٤ .

(٢) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٥٢ .

(٣) المزعج السابق ، ص ٥٥ .

* أن علماءنا المسلمون سبقوا علماء الغرب والشرق فى ميادين التربية والتعليم . وزادوا عليه .

النفيسات (١) " ، وكذلك بقصد أن " يسألهم عما ذكره لهم من المهمات (٢) " بالاضافة الى طلب الامام النووى من المعلم أن " يطرح على اصحابه ما يراه من مستفاد المسائل ويختبر بذلك أفهامهم (٣) " .

ولا غرو أن " المدرس الماهر هو الذى يستطيع بأسئلته حمل طلابه على التمييز بين الحقائق وتقديرها (٤) " وينبه الامام النووى فى ذلك المتعلم بعدم الاعتناء بما هو غير هام فيقول : " وليعتن بكل الدروس ، ويعلق عليها ما أمكن فان عجز اعتنى بالاهم (٥) " .

ومما يجدر ذكره أن أسئلة المتعلمين للمعلم ضرورية لاستفسارهم عما لا يفهمون ، كما أنها تدل على ايجابية المتعلمين ومشاركتهم الفعالة فى الدرس عن طريق الحوار والنقاش مع المعلم ، ولذلك لابد للمعلم من إتاحة الفرص فى درسه لكى يوجه اليه المتعلمون أسئلتهم مع تشجيعهم على ذلك ، ويرى الامام النووى أن خير وسيلة لتشجيع المعلم طلابه على النقاش والحوار وتوجيه الاسئلة هى التواضع لهم وحسن معاملتهم برفق ، واطهار المودة لهم ، ولذا دعا الامام النووى المعلم الى " ان لا يتعظم على المتعلمين بل يلين لهم ويتواضع (٦) " ويستشهد بآيات وأحاديث على ذلك

-
- (١) النووى ، " مرجع سابق " ، ص ٥٢ .
 (٢) المرجع السابق ، ص ٥٥ .
 (٣) المرجع السابق ، ص ٥٨ .
 (٤) محمد حسين آل ياسين ، المبادئ الاساسية " مرجع سابق " ، ص ٩٢ .
 (٥) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٦٥ .
 (٦) المرجع السابق ، ص ٥٢ .

منها قوله صلى الله عليه وسلم : " لينوا لمن تعلمون ولمن تتعلمون^١ منه (١) " ، وكذلك قول الفضيل بن عياض رحمه الله : " أن الله عز وجل يحب العالم المتواضع ، ويبغض العالم الجبار ، ومن تواضع لله تعالى ورثه الحكمة (٢) . كما أن الامام النووي نهى المتعلم أن " يلح في السؤال الحاحا مضجرا (٣) " بل عليه أن " يغتنم سؤاله [أي المعلم] عند طيب نفسه وفراغه (٤) " . كما طلب من المعلم أن يعود المتعلم بشتى الطرق والوسائل بأن " لا يستحي من السؤال عما اشكل عليه (٥) " .

ولاشك أن اشارة الاسئلة من قبل المعلم لتلاميذه تفتح المجال أمامهم لاستعادة ما حفظوه من معلومات في عملية مراجعة مستمرة للدروس قبل لقاء الدرس الجديد ، واثاحة الفرصة أمام التلاميذ من توجيه أسئلتهم الى المعلم عما لا يعرفون ، ولذلك نهى الامام النووي المتعلم من الاستحياء في ذلك بقوله : " ولا يستحي من السؤال عما لا يعلم " (٦) . ويستشهد الامام النووي في ذلك بقول مجاهد : " لا يتعلم العلم مستح ولا مستكبر (٧) " . وتلك قاعدة هامة جدا يحرس عليها المربون المسلمون كما أكدوا عليها في

(١) (٢) النووي ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٥٢ .

(٣) (٤) (٥) المرجع السابق ، ص ٦٢

(٦) (٧) المرجع السابق ، ص ٤٩

كتاباتهم . اذ أن الحياء فى هذا المقام مذموم . فلا ينبغي عندئذ لطالب العلم أن يتعف بتلك العفة لأنه سيظل طول عمره جاهلا كما قال سعيد بن جبير : " لا يزال الرجل عالما ما تعلم ، فاذا ترك العلم وظن أنه قد استغنى واكتفى بما عنده فهو أجهل مايكون (١) " .

وعلى المعلم أن يؤكد على الاسئلة ذات العلاقة بالدرس والمتعلمين بحيث لا تكون خارجة عن موضوع الدرس ، الامر الذى يؤدي الى تفريق أذهان المتعلمين وتشتت انتباههم ، كما أن ذلك يؤدي الى اهدار واطاعة الكثير من الوقت ، لان كثيرا من المتعلمين يسألون عن اشياء خارجة عن موضوع الدرس ، ولذا نهى الامام النووى المتعلم أن " يسأله [أى المعلم] فى غير موضعه (٢) " واستثنى " أن يعلم من حاله [أى المعلم] أنه لا يكرهه (٣) " .

وهناك أمور أو أشياء ينبغي للمتعلمين ان لا يسألوا عنها لعدم نضجهم وتأهلهم لمعرفة حقائقها ، ولذا ينصح الامام النووى المعلم بقوله : " فلو سأله المتعلم عن ذلك لم يجبه ، ويعرفه أن ذلك يضره ولا ينفعه ، وأنه لم يمنع ذلك شحا بل شفقة ولطفاً (٤) " . فالمعلم الكفاء هو الذى " يهتم بحث تلاميذه على توجيه الاسئلة والاجابة عنها (٥) "

(١) النووى، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٤٩ .

(٢)، (٣) المرجع السابق، ص ٦٢ .

(٤) المرجع السابق، ص ٥٢ .

(٥) آرثر جورج هيوز ، آى . اج . هيوز ، التعلم والتعليم " مرجع

سابق " ، ص ٣٧٧ .

وهذا بلاشك يتيح الفرصة الكاملة للمتعلمين للحوار والنقاش فيما يعود عليهم بالنفع والفائدة ، ولذا ينبغي على المعلم ، كما يقول الامام النووى : " أن ينصفهم فى البحث فيعترف بفائدة يقولها بعضهم وان كان صغيرا (١) " .

ح - موقف المعلم من الاسئلة المعيبة :

قد يجد المعلم نفسه أحيانا فى موقف تتعذر عليه الاجابة عن السؤال أملا ولذلك يطلب الامام النووى من المعلم " اذا سئل عن شئ لا يعرفه أو عرض فى الدرس ما لا يعرفه فليقل لا أعرفه أو لا أتحققه ، ولا يستنكف عن ذلك (٢) " . لان المبدأ الاساسى فى معالجة أسئلة المتعلمين بجدية تقوم على اظهار اهتمام المعلم العميق الصادق بها ، ولهذا " فمن علم العالم أن يقول فيما لا يعلم لا أعلم أو الله أعلم (٣) " . ويستشهد الامام النووى فى ذلك بقول عبد الله بن مسعود رضى الله عنه اذ يقول : " يا أيها الناس من علم شيئا فليقل به ، ومن لم يعلم فليقل الله أعلم فان من العلم أن يقول لما لا يعلم الله أعلم (٤) " . ونجد أن اعتراف المعلم بعدم معرفته الاجابة عن بعض الاسئلة التى توجه اليه من قبل المتعلمين ومن ثم الاجابة عليها بقوله : " لا أدري " ، هذا " لا يضع منزلته بل هو

(١) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٥٥ .

(٢) (٣) (٤) المرجع السابق ، ص ٥٧ .

دليل على عظم محله وتقواه وكمال معرفته ، لان المتمكن لا يضره عدم معرفته مسائل معدودة ، بل يستدل بقوله " لا أدري " على تقواه ، وأنه لا يجازف في فتواه (١) .

٥ - التمكن واجابة الاسئلة :

يحذر الامام النووى المعلم من أن يجيب المتعلمين على أسئلتهم بغير علم ، فاجابته لهم باجابات خاطئة دون علم منه بها خوفا من اتهامه بقلّة العلم أو وصفه بالجهل فهو دليل على من " قل علمه ، وقصرت معرفته وضعفت تقواه (٢) " باعتبار أنه " يخاف لقصوره أن يسقط من أعين الحاضرين " (٣) ولا شك أن هذا يعتبر " جهالة منه ، فانه باقدامه على الجواب فيمــــا لا يعلمه يبوء بالاثم العظيم ، ولا يرفعه ذلك عما عرف له من القصور ، بل يستدل به على قصوره (٤) " .

ويؤكد لنا الامام النووى ذلك بالادلة الواضحة والبراهين الدامغة على قصور وقلة دين من يجيب عن أسئلة المتعلمين بغير علم بقوله : " اذا رأينا المحققين يقولون فى كثير من الاوقات لا أدري ، وهذا القاصــــر لا يقولها أبدا ، علمنا أنهم يتورعون لعلمهم وتقواهم ، وأنه يجــــازف لجهله وقلة دينه ، فوقع فيما فر عنه واتصف بما أحترز منه لفساد نيته وسوء طويته (٥) " . ويستشهد الامام النووى على ذلك بما ورد فى الصحيح

(١) (٢) (٣) (٤) النووى ، المجموع ، " مرجع سابق ، ص ٥٧

(٥) المرجع السابق ، ص ٥٧ - ٥٨ .

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : " المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبى زور (١) " . فالامام النووى يرى فى العبارة السابقة ان تعليم العلم من الدين ، فهو أمانة فى عنق المعلم ، وعليه أن يكون مخلصا صادقاً فى نيته ، ومراقباً لله تعالى فى سره وعلا نيته ، كما أن المتعلمين أمانة فى عنقه أيضاً ، فعليه أن لا يعلمهم ما يجهل لأنه علم لا فائدة منه .

وينبغى للمعلم أن يأخذ بالآداب المتعلقة بالاسئلة والاستجواب أو (الحوار أو النقاش) مع تلاميذه لأنها ضرورية لنجاح درسه فى كل طريقة يستلزم فيها استخدام الاسئلة والتي من بينها طريقة التدريس بالاسئلة والاستجواب والتي تعتمد على الاسئلة دائماً من قبل المعلم والمتعلم .

ولا غرو أن موقف المعلم من أجوبة المتعلمين على الاسئلة له أثر قوى فى نجاح تدريسه . ومن الامور التى ينبغى له اتباعها مايلى :

١ - اظهار استحسان المعلم لجواب المتعلم وشناؤه عليه فان ذلك يدفعه الى مزيد من النجاح ويشجعه على الاجابة والفعالية فى الدرس ، كما يبعث هذا الاستحسان المتعلمين على الاجتهاد والتحصيل سعياً لرضا معلمهم وقد سبق أن أوضحنا ذلك عند الحديث عن مبدأ الثواب والعقاب . وفى ذلك يقول الامام النووى : " فمن وجده حافظه مراعيًا له أكرمه ، وأثنى عليه ، وأشاع ذلك مالم يخف فساد

(١) المرجع السابق ، ص ٥٨ ، أخرجه ابو داود فى سننه .

حاله باعجاب ونحوه (١) " . وقوله أيضا : " ويظهر فضل الفاضل ،
ويثنى عليه بذلك ، ترغيبا له وللباقيين فى الاشتغال والفكر فى
العلم ، وليتدربوا بذلك ويعتادوه (٢) " .

٢ - عدم تعنيف المخطئ فى اجابته عن أسئلة المعلم أو السخرية منه
أو لومه وتوبيخه الا اذا كان فى ذلك مصلحة له . وفى ذلك يقول
الامام النووى : " ولا يعنف من غلط منهم فى كل ذلك ، الا أن يرى
تعنيفه مصلحة له (٣) " وقوله أيضا : " ومن وجده مقصرا عن نفسه
الا أن يخاف تنفيره (٤) . وقوله : " واذا سأل سائل عن أعجوبة
فلا يسخرون منه (٥) " .

بل ان الامام النووى يلزم المعلم بأن " يعيده له [أى يعينه
المعلم الدرس للمقصر المخطئ] حتى يحفظه حفظا راسخا (٦) " . فلقد أبانت
الدراسات المبكرة أن " المدح حافز أفضل من اللوم ، ولو أن اللوم أشرا
لا يمكن تجاهله (٧) " اذا كان فى مصلحة المتعلمين مما يساعد المقصرين

(١) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٥٥ .

(٢) (٣) المرجع السابق ، ص ٥٨

(٤) المرجع السابق ، ص ٥٥ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٥٧ .

(٦) المرجع السابق ، ص ٥٥ .

(٧) جابر عبد الحميد جابر ، سيكولوجية التعلم ونظريات التعلم ،

" مرجع سابق " ، ص ٥٢ .

منهم على المثابرة والاجتهاد والتحصيل ، وبالتالي يصبح التعنيف أو اللوم فى هذه الحالة ايجابيا وهذا ما أشار اليه النووى فى عبارته بقولـه " معلحة له " وكذلك " الا أن يخاف تنفيره " ، أى من الاحباط فى طلب العلم والاقبال عليه لما فى ذلك من سوء استخدام العقاب بصفة عامة من قبل بعض المعلمين ، والذي يترك آثارا سلبية على المتعلمين طول حياتهم .

تلك كانت أهم طرق التدريس التى ذكرها الامام النووى ضمن مقدمة كتابه " المجموع " والتى استخلصناها مما كتبه فى آداب المعلم والمتعلم ، ورأينا أن عملية التدريس عنده لها قوانينها التى تستند الى العديد من المفاهيم والعمليات التربوية والنفسية ، فالتعلم عنده استند الى الواقعية ورغبة الفرد ، ومن هنا كان تأكيده الدائم على المعلمين والزامهم بايجاد الدافع للتعلم ، فلا يعتمدون الى تعليم متعلميهم مالا تستهوى نفوسهم ، ولا يشعرون بالحاجة الماسة الى تعلمه . وأن هذا التعليم لابد أن يقوم على النشاط الذاتى للمتعلم وعلى الجهد الذى يبذله فى التحصيل . اذ التعلم فى حقيقته استجابة نشطة يقوم بها المتعلم . وينبغى أن يكون النشاط موجها لغرض ذلك أن مجرد بذل النشاط وانفاق الجهد دون النظر لهدفه لايمكن أن يحقق تعلمًا جيدا .

وكما رأينا مما سبق اهتمام الامام النووى بطرق التدريس فى عصره وذلك من خلال تركيزه على مراعاة مبدأ الفروق الفردية بين المتعلمين ، حيث أن المتعلمين فى الحقيقة متفاوتون فى ذلك من حيث الذكاء والقدرة على التعلم ، وكما رأينا اهتمامه أيضا بطريقة التعليم حيث يلزم المعلم بتشجيع المجيد على اجادته ، ونبذ العنف والقسوة أو اشارة الخوف والرعب

بين المتعلمين ، فهو لم يتطرق الى أنواع العقاب كالضرب بالعصا وغير ذلك بل ذكر لونا طفيفا من العقاب المعنوى وهو ما يسمى بـ " التعنيف " أى اللوم والتوبيخ ، مع الحذر فى استخدامه كذلك من قبل المعلم ، الا اذا وجد مصلحة للمتعلم فى استخدام " التعنيف " ، أما اذا خشى المعلم تنفير المتعلم من طلب العلم فلا يلجأ اليه البتة لأن فى ذلك مفسدة له . وبالأحرى عدم اللجوء الى استخدام وسائل أخرى للعقاب على أساس اعتبار أن استحسان المعلم للمتعلمين مصدر أساسى وهام من مصادر التدعيم ، فالثواب أقسوى أثرا فى التعلم من العقاب ، غير أن العقاب ينبغى أن يستهدف دائما بما يعود بالفائدة والمصلحة للمتعلم . كما رأينا عنايته بالضيق ~~بالمصلحة~~ باستقلالية المتعلم وذلك لانه بحسب رأيه المسؤول الاول عن تعلمه ، وأن عبء التعليم يقع فى الدرجة الاولى عليه ، وأن دور المعلم هو التوجيه والارشاد تبعا لتقديره المحيح لامكانات المتعلم وقدراته .

لقد كان للمربين المسلمين ومنهم الامام النووى الفضل فى ابراز حقيقة غابت عن أذهان الكثيرين وهى أن التدريس عند المربين المسلمين لم يكن اجتهادا فرديا محدودا وانما كان عملا منظما ذا هدف له قوانينه ومبادئه (١) .

(١) حسن عبد العال ، فن التعليم عند بدر الدين بن جماعة " مرجع سابق " ، ص ٢٣٥ - ٢٣٦ .

الفصل الثاني

- مؤهلاته ومسئوليّاته وأخلاقه .
- المتعلم أخلاقه وواجباته .
- معلم القرآن ومتعلمه .

الباب الثانى

الفصل الثانى

المعلم والمتعلم فى فكر الامام النووى

أولاً: المعلم — مؤهلاته ومسئوليته وأخلاقه

لاشك أن المعلم عامل أساسى فى نجاح العملية التعليمية التربوية فهو من أهم عناصر العملية التعليمية . لأن التعليم لا يكاد يتم بدون المعلم ، بل هناك أنواع من التعليم لابد من وجود المعلم فيها مثل التربية الاخلاقية . فعناصر التعليم تفقد أهميتها اذا لم يتوفر المعلم المالح الكف . ولقد أثبتت التجارب الحديثة بأنه لاغنى للمتعلم عن المعلم ، حيث أن التعلم لا يتم الا عن طريقه ، وذلك لأهمية الدور القيادى والتربوى الذى يقوم به فى حجرة الدراسة أو الصف ، وبخاصة فى الجانب الاخلاقى وهذا لا ينافى مع ما يسمى بـ " التعلم الذاتى " الذى يعتقد الدعاة اليه أن التعلم يحدث دونما حاجة الى معلم . ومادام المعلم بهذه المثابة لزم أن تكون له مؤهلات وصفات يتحلى بها .

أ- مؤهلات المعلم :

لقد أظهر الامام النووى اهتماما بالغاً باختيار المعلم ، وتحديد مؤهلاته وتعيين مسؤولياته وأهم الصفات الواجب توفرها فيه . ومنها الحذق فى العلم والتمكن منه لان عملية التعليم من الصنائع التى تحتاج الى حذق . وبدونه لا يتمكن المعلم من أداء رسالته . ولذا ينصح الامام النووى المتعلم بالقراءة والتعلم على من يتحلى بتلك الصفة وأن يعتمد على " قراءة شيوخ أو شيخ حاذق " (١) . ويبين لنا الامام النووى أيضا بأن

(١) الامام النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٦٠ .

هناك صفات أخرى ذات أهمية كبرى فيقول ناصحا المتعلم ومحذرا " ولا تأخذ العلم إلا ممن كملت أهليته ، وظهرت ديانته ، وتحققت معرفته ، واشتهرت ميانته وسيادته " (١) .

فيظهر للباحث من النص السابق " الجوانب الأساسية لاعداد المعلم في رأى الامام النووى " .

اولها : الاكتمال التأهيل للمعلم واعداده الاعداد الجيد للتعليم قبل ممارسته للمهنة . وتعتبر تلك الصفة على قدر كبير من الأهمية . ولذا نرى فى العصر الحاضر الاهتمام باعداد الطلاب الذين سوف يمارسون التعليم فى المستقبل اعدادا جيدا اذ أن هناك مواد تعطى لهم ببعض الجامعات تسمى الاعداد التربوى وكذلك فتحت الكليات المتوسطة حديثا لاعداد معلمى المرحلة الابتدائية والنهوض بمستواهم وايجاد كوادر وطنية معدة اعدادا جيدا للتعليم . وأما الجانب الآخر . ظهور ديانته وهذا الجانب لا يقل أهمية عن الآخر . إذ يعتبر المعلم القدوة الحسنة للمتعلم مما يجعل المتعلمين ينشأون فى جو إسلامى يترجمون فيه المعرفة والعلوم الى سلوك إيجابى يمارسونه فى حياتهم ، فالجانب الدينى للمعلم ذا أهمية عظيمة لان المتعلمين يقلدون معلمهم فى معتقداتهم وسلوكياتهم مما قد يؤدي الى انحرافهم عن معتقداتهم الصحيحة اذا لم يكن المعلمون ذوى ديانة ظاهرة فى أقوالهم وأفعالهم .

ويرى الامام النووى بأن التأهيل هام وضرورى للمعلم حتى وان كانت لديه استعدادات التعليم ، فلا بد له من الاعداد الجيد عن طريق القراءة

(١) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٦٠ .

على شيوخ حذاق ، لكى يكون صالحا للتدريس والتعليم ، ولذا يطلب
الامام النووى من المتعلم عدم أخذ " العلم الا ممن كملت اهليته " لان
العلم فى نظره دين ويستشهد بقول ابن سيرين ومالك وغيرهم " هذا العلم
دين فانظروا عن تأخذون دينكم (١) " وكما يلغى الامام النووى المتعلم
لاختيار أصلح المعلمين للتعليم فيقول : " ويعتمد على الشيوخ فى كل
فن أكملهم " (٢)

والجانب الثالث . وهو أن يكون المعلم معروفا بين الناس ويعلم
حاله وليس بمجهول عندهم ليعلمون عن أموره شيئا . وكذلك قد اشتهرت
صيانة المعلم للعلم وعدم ادلاله له . وسيادته فى العلم بمعنى تفوقه
فى العلم عن أقرانه . ويستشهد الامام النووى يقوم ابن سيرين ومالك
" هذا العلم دين فانظروا عن تأخذون دينكم (٣) " .

وهناك جانب آخر ذكره الامام النووى ونصح به المتعلم وهو عدم
أخذ العلم عن المعلمين الذين أخذوه من بطون الكتب دون قراءة أو دراسة
على المشايخ الحذاق . ويرى أن الاخذ منهم يؤدى بالمتعلمين الى عيوب
وأخطاء فادحة فى تعليمهم ينبغى عليهم عدم الوقوع فيها ، فيقول " ولا
تأخذ العلم ممن كان أخذه له من بطون الكتب من غير قراءة على شيوخ
أو شيخ حاذق فمن لم يأخذه الا من الكتب يقع فى التصحيف ويكثر منه
الغلط والتحريف . (٤)

ويحذر الامام النووى المتعلم ايضا من الاعتماد على نفسه دون
القراءة على شيخ حاذق فيقول : " ولايحفظ ابتداء من الكتب استقلالاً ، بل
يصح على الشيخ (٥) ويبين له السبب فى ذلك فيقول : " فالاستقلال بذلك

(١) المرجع السابق ، ص ٦٠

(٢) المرجع السابق ، ص ٦٥

(٣) (٤) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٦٠

(٥) المرجع السابق ، ٦٤

من أضر المفسد (١) " ويستشهد الامام النووى فى ذلك بقول الشافعى رحمه الله " من تفقه من الكتب ضيع الاحكام (٢) " .

فالامام النووى بذلك يؤكد على عدم قدرة المتعلم على الاستقلال وحده دون أن يحظى بمجهود منظم لتعليمه من قبل المعلم .

وسيتناول الباحث بعض هذه الجوانب التخصصية للمعلم فى نظـر الامام النووى .

الاول : الغزارة العلمية للمعلم :

ان مما ينبغى على المعلم قبل كل شئ ، أن يكون غزير المادة العلمية ، ومتمكنا علميا من مادته التى يعلمها لتلاميذه بحيث يعرف مايعلمه تمام المعرفة وأعماقها وذلك عن طريق التحقق وكثرة الاطلاع ، ويكون ملما بجميع الفنون المرتبطة بمادته أو تخصصه ، لذا فان الامام النووى ، يطلب من المعلم أن يكون " له معرفة فى الجملة بغيره من الفنون الشرعية ، فانها مرتبطة (٣) . ولذلك فان مسؤولية المعلم تحتم عليه أن يكون دائم الاطلاع فيما يتعلق بمادته ولديه معرفة عامة ببعض التخصصات ولاينقطع عن التعلم وأن يداوم على الدراسة والبحث والقراءة

(١) (٢) المرجع السابق ، ص ٦٤

(٣) المرجع السابق ، ص ٦٠

فى فروع المعرفة التى يقوم بتدريسها ، ويؤكد الامام النووى على المعلم بأن يكون " مجتهدا فى الاشتغال بالعلم " (١) .

ويطلب الامام النووى من المعلم عدم التوقف عن طلب العلم وعليه أن يطلب المزيد ممن كان عنده ذلك بغض النظر عن سنه او مركزه او دينه حتى يتمكن من مادته ويصبح على اطلاع واسع فيها بالاضافة الى معرفته العامة ببعض التخصصات الاخرى ، وهذا الامر يتطلب من المعلم بذل الوسع من الاجتهاد والتفرغ للعلم فيقول الامام النووى : " أن لا يستنكف من التعلم ممن هو دونه فى سن أو نسب أو شهرة أو دين أو فى علم آخر ، بل يحرص على الفائدة ممن كانت عنده وإن كان دونه فى جميع هذا (٢) " .

ويلفت الامام النووى نظر المعلم الى عدم التعالى والتكبر عند ارتفاع منصبه وشهرته عن طلب العلم من تلاميذه وغيرهم ، وأن لا يكون ذلك عائقا له عن الاستزادة من العلم فيما لا يعرفه حتى تكون لديه الغزارة العلمية فى شتى العلوم ومتبحرا فيها فيقول الامام النووى فى ذلك : " وينبغى أن لا يمنعه ارتفاع منصبه وشهرته من استفادة ما لا يعرفه ، فقد كان كثير من السلف يستفيدون من تلامذتهم ما ليس عندهم (٣) " ويستشهد الامام النووى على ذلك بما ثبت فى الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ ﴿ لم يكن الذين كفروا ﴾ (٤) على أبي بن كعب رضى الله عنه وقال : " امرنى الله ان أقرأ عليك (٥) " .

(١) (٢) (٣) النووى، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٤٩ .

(٤) سورة البينة ، آية رقم ١ .

(٥) رواه مسلم ، صحيح مسلم بشرح النووى " مرجع سابق " ج ٦ ، ص ٨٥ .

ويدرك الامام النووى مدى ضرورة كثرة العلم للمعلم حيث إن ذلك مما يؤهل للتعليم حيث يقول : " أن يكون كثير العلم (١) " فكثرة علم المعلم فى مجال تخصصه تجعله متمكنا من أداء مهام عمله ، كما تجعله محل ثقة تلاميذه ، وبالتالي ينتفعون بعلمه الغزير .

وهكذا يتضح من النصوص التى أوردها الامام النووى بأن تمكن المعلم من المادة العلمية أمر مرغوب فيه ، وحث المعلم على الاستمرار فى طلب العلم ودوام التعلم ، كما يلفت الانتباه الى تداخل عمليتى التعلم والتعليم لا من حيث الشبه الموجود فى اللفظين (التعلم والتعليم) بل لاعتماد كل منهما على الاخرى حيث لا يحدث التعلم اذا لم يكن التعليم مستمرا (٢) .

ولاشك إن المعلم اذا دأب على البحث فى مادته وحرص على تحصيل مهاراتها أمكنه أن يجعل درسه ممتعا ، واستطاع أن يقدم موضوعات علميه لطلابه بطريقة شيقة تنفى عنهم السأم ، وتدفع عنهم الملل ف " كلما كانت إحاطة المعلم بمادته أوسع ، كان ميل تلاميذه أعظم ، فيحبونه ويعجبون به ، ويقبلون عليه لما يجدون عنده من غزارة المادة وحسن التصرف فى أطراف الحديث ، فاذا شئنا أن نكون معلمين صالحين ، وجب علينا أن نملا عقولنا من الموضوع الذى نعلمه ، وهذه قاعدة أولية من قواعد التعليم (٣) " .

-
- (١) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٦٠ .
(٢) حسن عبد العال ، فن التعليم عند ابن جماعة " مرجع سابق " ص ١١١ - ١١٢ .
(٣) جميل صليبا ، مستقبل التربية فى العالم العربى ، ط ٢ (بيروت : مكتبة الفكر الجامعى منشورات عويدات ، ١٩٦٧) ، ص ٣٧٨ .

وبدرك الامام النووى ان اقبال المعلم بهمة عالية على البحث فى آفاق مادة تخصصه ، والاطلاع على دقائقها لن يتحقق الا اذا ادرك المعلم قيمة مادته واحبها ، فاذا احب علمه اقبل عليه بكليته وكيانه ومأنه ونزاهه عن جعله " توولا الى غرض دنوى كتحميل مال " او جاه او شهرة او سمعة او تميز عن الاشباه^(١) بحيث يجد فى تعلم العلم وتعليمه لذته وغاية بغيته ، ومن ثم يجد فى متعة التعلم والتعليم ما يغنيه عن الطمع فى رفق [مالا وخلافه] تحمل له من مشغل عليه من خدمة أو مال او نحوهما وان قلّ ولو كان على صورة الهدية التى لولا اشتغاله عليه لما أهدها اليه (٢) . ويدلل الامام النووى على ذلك بما صح عن الشافعى أنه قال : " وددت أن الخلق تعلموا هذا العلم على أن لا ينسب إلى حرف منه (٣) " .

ومفوة القول أن المعلم الغزير المادة العلمية والعارف بطبيعة المواد التى يقوم بتدريسها لتلاميذه ، يزيد من فعالية تلاميذه ويؤدى بهم الى تعلم جيد مثمر .

الثانى : النمو العلمى للمعلم :

ان المعلم عند الامام النووى يجب أن يكون أحسن متعلم ، ويستشهد على ذلك بقول سعيد بن جبير " لا يزال الرجل عالما ما تعلم ، فاذا ترك العلم وظن أنه قد استغنى واكتفى بما عنده فهو أجهل مايكون (٤) " .

(١) (٢) (٣) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٤٦ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٤٩

ولذلك دعا المربون المحدثون الى ما يسمى بالتربية المستمرة وعدم الاكتفاء بما لدى المعلم من علم ، فليس المطلوب فى المعلم أن يكون عالما بكل شيء حتى يستغنى عن التعلم ، وانما يحتاج الى العلم وطلب الفائدة على الدوام ولذا طلب الامام النووى من المعلم " أن تكون ملازمة الاشتغال بالعلم هى مطلوبة ورأس ماله فلا يشتغل بغيره (١) " وان كان الامام النووى يرخص للمعلم بأن يشتغل بغيره عند الاضطرار بشرط " بعد تحصيل وظيفته من العلم (٢) " .

ويرى الامام النووى ضرورة مداومة التعليم للمعلم واستمراره فى طلب العلم والجد والاجتهاد فى الالمام بكافة فروع المعرفة التى يقوم بتدريسها ، وبذل الجهد والوقت فى ذلك حيث يقول " فينبغى ان لا يزال مجتهدا فى الاشتغال بالعلم (٣) " ولا يستنكف عن التعلم (٤) " ولقد ذهب الامام النووى الى توضيح الوسائل المختلفة التى تساعد المعلم على نموه العلمى ، وأرشده الى أنجعها وهذه الوسائل كما يقوم الامام النووى هى "قراءة واقرأ ومطالعة وتعليق ومباحثه ومذاكرة وتصنيف (٥) " ، فالوسائل عنده لزيادة النمو العلمى للمعلم هى القراءة الواسعة وممارسة التعليم والمطالعة على الكتب المختلفة والتعليق عليها والمباحثه مع علماء تخطه الثقات والمذاكرة لكل ماتعلمه لعدم نسيانه ، والاشتغال بالتأليف مما يعم الانتفاع به ويكثر الاحتياج اليه .

(١)، (٢)، (٣)، (٤)، (٥) النووى ، المجموع "مرجع سابق " ، ص ٤٩ .

وبعد أن يطلع المعلم على أكثر الكتب المؤلفة في تخصصه ويمتلك المهارات اللازمة لذلك ويتأهل للبحث والتأليف تكون لديه الملكة التامة في تخصصه والاطلاع على حقائق العلوم والمعارف كما يقول الامام النووي " وينبغي أن يعتنى بالتصنيف اذا تأهل له (١) " .

الجانب المهني :

ان اشتغال المعلم بالتأليف له أهمية كبرى في نظر الامام النووي لزيادة حصيلة العلمية من المعارف والعلوم والخبرات والمهارات المتعلقة بمادته العلمية فقد أشار الامام النووي الى أن اشتغال المعلم بالتأليف يفطره الى كثرة البحث والتنقيب عن المادة العلمية الجيدة في الكتب المختلفة التي تساعد على التأليف الجيد ، والمطالعة المستمرة والتحقيق فيما يكتبه من معلومات ، والمراجعة الدقيقة لتلك المعلومات وتمحيصها ومعرفة مدى صحتها ومطابقتها للواقع ، هذا الى جانب أن التأليف للمعلم يثبت لديه ملكة الحفظ وادراكه للحقائق العلمية ودقتها من عدمها ، فهذا كله يزيد من النمو العلمي للمعلم في مادة تخصصه وتكون لديه معرفة عامة ببعض التخصصات الاخرى .

ويضع الامام النووي ضوابط مقننة للتأليف الهدف منها أن " تعمق خبرة المعلم ، وتحقق بها الفائدة من ذلك ان يتوجه البحث الى ميادين جديدة لم تسبق دراستها والتأليف فيها والى الخبرات والمهارات والمعارف

(١) النووي ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٤٩ .

التي تشتد الحاجة اليها^(١) " ومن هذه الضوابط كما يذكر الامام النووى أيضا أن يبذل المعلم كل جهده فى التأليف ، فلا يخرج مؤلفاته من بين يديه إلا بعد تهذيبها وترتيبها واعادة النظر فيها ومراجعتها مع الالتزام بحسن البيان وايضاح العبارة وايجازها فيبتعد عن التطويل المؤدى الى الركاسة والملل او الايجاز المخل بالمعنى . يقول الامام النووى فى ذلك " وليحذر ايضا من اخراج تصنيفه من يده الا بعد تهذيبه وترداد نظره فيه وتكريره ، وليحرص على ايضاح العبارة وايجازها فلا يوضح ايضاحا ينتهى الى الركاسة ، ولا يوجز ايجاز يفضى الى المحق والاستغلاق " .^(٢)

ومن الضوابط ايضا أن تكون مؤلفاته فى ميادين جديدة لم يسبق دراستها ، فاذا كان هناك " احد المؤلفات يغنى عن مؤلفه وألف فى نفس المجال الذى يعالجه فلا حاجة اليه . " فيقول الامام النووى فى ذلك " وينبغى أن يكون اعتناؤه من التصنيف بما لم يسبق اليه اكثر، والمراد بهذا ان لا يكون هناك مصنف يغنى عن مصنفه فى جميع أساليبه ، فان أغنى عن بعضها فليصنف من جنسه مايزيد زيادات يحتفل بها مع ضم مافاته من الاساليب ، وليكن تصنيفه فيما يعم الانتفاع به ويكثر الاحتياج اليه " .^(٣)

ويقول حسن عبد العال " ورغم تقدير الامام النووى للبحث العلمى باعتباره سبيلا لنمو المعلمين وارتقاؤهم علميا ومهنيا ، حتى لا يعابون

(١) حسن عبدالعال ، فن التعليم عند ابن جماعة " : مرجع سابق " ، ص ١١٤

(٢) (٣) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٥٠ .

بالركود الذهني ، فانه ينصح الا يقدم المعلم على البحث والتأليف حتى يوهل لذلك ، ويمتلك الادوات التي تمكنه من البحث^(١) . ويحث الامام النووي المعلم على التأليف عند التأهل فيقول : " ينبغي أن يعتنى [اى المعلم] بالتصنيف اذا تأهل له ^(٢) " . ثم حذر من الاضرار التي تلحق بالمعلم إذا شرع فى البحث والتأليف مع افتقاره الى أدواته فقال : " وليحذر كل الحذر أن يشرع فى تصنيف مالم يتأهل له ، فان ذلك يضره فى دينه وعلمه وعرضه ^(٣) " .

والمعلم لابد له من الاستزادة من العلم بمادته وعلم تخصصه ، لان هذا يتوقف على مدى نجاحه فى تعليمه ، وينبغى عليه فى هذا المجال أن تكون كما يقول الامام النووي : " همته عالية فلا يرضى باليسير مع امكان كثير ^(٤) " .

ومما يدل على ادراك الامام النووي بتقدم العلم السريع ونموه المطرد مقالته محذرا المعلم من التهاون والجد فى طلب العلم ويراد منه أن ينمى معلوماته ومحموله العلمى على الدوام وعن قعد فيقول الامام النووي : " ولا يؤخر تحصيل فائدة ، وان قلت اذا تمكن منها ، وان امن حصولها بعد ساعة ، لان للتأخير آفات ، ولانه فى الزمن الثانى يحصل غيرها ^(٥) " ، كما ينبغى عليه فى هذا العدد كما يقول الامام

(١) مجلة رسالة الخليج العربى ، أصول البحث العلمى وادابه عند الامام النووي ، حسن ابراهيم عبدالعال (العدد ٢٤ ، السنة الثامنة ، ١٤٠٨) ص ٤٤

(٢) النووي ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٤٩ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٥٠ .

(٤)(٥) المرجع السابق ، ص ٦٣ .

النووى ان " لا يحتقرن فائدة يراها، او يسمعها فى اى فن كانت بل يباعد
الى كتابتها ثم يواظب على مطالعة ما كتبه ... ويعلق عليها ما أمكن (١) " .

وينصح الامام النووى المعلم بالحرص الشديد على وقته فيما يعود
عليه بالنفع العلمى وزيادة نموه ، وعليه ان يبذل جل وقته فى ذلك
و " ان يكون حريصا على التعلم مواظبا عليه فى جميع أوقاته لئلا
ونهارا حضرا وسفرا (٢) " وعليه أن لا يضيع " من أوقاته شيئا فى غير العلم
الآن بقدر الضرورة لاكل ونوم قدرا لا بد منه ونحوهما ، كاستراحة يسيـره
لازالة الملل وشبه ذلك من الضروريات (٣) " .

ويبين الامام النووى أن المعلم اذا أحب العلم الذى يعلمه لطلابه
وشغف به ، لم يعرفه عن ذلك صارف حتى وان عرض له مرض أو اعتراه ألم ،
بل لعله يجد فى الاشتغال بالعلم الذى أحبه شفاء دائه ودواء ألمه ويطلب
منه : " أن لا يخل بوظيفته لعروض مرض خفيف ونحوه مما يمكن معه الاشتغال
[أى بالعلم] ، ويستشفى بالعلم (٤) " .

ولقد ثبت بالتجربة " أن حب المعلم لمادته العلمية ، يؤثر فى
طريقة تدريسه ، فاذا كان كارها للمادة التى يدرسها فترت همته ، ونفر
الطلاب من دراستها (٥) " .

(١) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٦٥ .

(٢) المرجع السابق، ص ٦٢ .

(٣) المرجع السابق، ص ٦٢ - ٦٣ .

(٤) المرجع السابق، ص ٦٦ .

(٥) عبد الرحمن صالح عبد الله ، دور التربية العملية فى اعداد المعلمين ،

ط ٢ (دار الفكر للطباعة والنشر، ١٣٩٩) ، ص ١٣ .

وصفة القول ان الامام النووى أكد على أهمية النمو العلمى وضرورته للمعلمين ، وذلك لتحقيق نموهم العلمى والمهنى ، فلم يكن النمو العلمى فى رأيه تزايداً أكاديمياً ، بل هو جزء من عمل المعلم لا يمكن الاستغناء عنه ، فيه تنعقد الصلة بين المعلم والعلم ، وبسببه يعرف ما يعلمه لتلاميذه أتم معرفة وأعماقها ويحيط بالمادة العلمية التى يقوم بتدريسها ، ويتمكن من السيطرة على مهاراتها وبالنمو العلمى تنفتح أمام المعلم أبواباً فسيحة من الخبرة والمعرفة ومن ثم تزداد ثقة المعلم بنفسه وبعلمه ، ويتمكن من إفادة طلابه أعظم فائدة (١).

" الجانب الثقافى العام "

يراد بالثقافة العامة " الثقافة الانسانية الواسعة التى تهيئ للمعلم أسباب مؤالفة الطبيعة ، ومؤالفة الحياة الاجتماعية ، ومؤالفة القيم ... ، فاذا حرم المعلم من هذه الثقافة العامة ، عاش فى كهف مظلم لا تطل نوافذه على العالم (٢) " نظراً لحاجة المعلم الضرورية الى قدر من الثقافة العامة الى جانب المامه التام بفروع المعرفة التى يقوم بتدريسها حيث يقول الامام النووى : " بل ينبغى مع كثرة علمه بذلك الفن كونه له معرفة فى الجملة بغيره من الفنون " ، ذلك " لأن التعليم عنده لايعنى مجرد نقل المعلومات من المعلم الى المتعلم ، فهو أشمل من ذلك

(١) حسن عبيد العال ، أصول البحث العلمى وأدابه عند الامام النووى " مرجع سابق " ، ص ٤٢ .

(٢) جميل صليبا ، فلسفة تربوية متجددة واعداد المعلمين (فلسفة تربوية متجددة لعالم عربى متجدد) بيروت : دائرة التربية فى الجامعة الامريكية ، ١٩٥٦) ، ص ١٣٥ .

(٣) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٦٠ .

حيث يتضمن تثقيف عقول المتعلمين ، وتزويدهم بالعادات الصحيحة والمعلومات والمهارات المختلفة ، وتهذيب نفوسهم ومساعدتهم على تكوين قيم ومثل عليا ، الى جانب تنمية استعداداتهم وتوجيه قدراتهم وذلك يتطلب من المعلم معرفة بعلوم مختلفة غير مادة تخصصه (١) " ومن هنا كان توجيه الامام النووى للمعلم بأن " يحفظ من كل فن مختصرا (٢) " كما يوصى المعلم بان يعتنى من كل علم بالا هم فيقول : " فان عجز اعتنى بالا هم (٣) " .

ان وظيفة المعلم هي " تقديم التلميذ لمجتمعه ، وتقديم ثقافة المجتمع للتلميذ ، وهذا التقديم يتطلب من المدرس أن يعرف الثقافة بقدر ما يعرف التلميذ (٤) " .

ونجد أن الحد الأدنى للمعرفة بهذه الثقافة عند الامام النووى إدراك المعلم من كل علم شيء ولو قليلا وكما قيل : العلم بالشيء ولا الجهل به ، مع الاعتناء بالامول أو المبادئ الأكثر أهمية .

ولقد أصبح التربويون الان على يقين " بأن المعلم فى حاجة الى معرفة عامة تتمثل فى أساليب ومبادئ العلوم المختلفة ، يمكن أن تضاف هذه المعرفة على أسلوب المعلم مرونة فى التعليم ، وتنوعا فى

(١) حسن عبد العال، فن التعليم " مرجع سابق "، ص ١١٦ .

(٢)، (٣) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٦٥ .

(٤) ابو الفتوح رضوان ، المدرس فى المدرسة والمجتمع ، (القاهرة :

الانجلو المعربية ، ١٩٧٣) ، ص ١٥ .

المعلومات التي يمكن أن يقدمها لتلاميذه حسب ماتمليه عليه المناسبة التربوية (١) " .

ونجد ان الامام النووى يبين لنا عملية التثقيف العام للمعلم وذلك بأن يبدأ " يحفظ من كل فن مختصرا (٢) " وليس الحفظ هدفا في حد ذاته ، انما الهدف هو التعرف على طبيعة هذا الفن وادراك خصائصه ، ومن هنا كان لزاما على المعلم مباحثة المختصين في ذلك الفن ، ومناقشة علمائه ولذا يقوم الامام النووى : " ولايحفظ ابتداء من الكتب استقـلالا بل يصحح على الشيخ (٣) " ويعلل السبب في ذلك فيقول : فالاستقـلال بذلك من اضر المفساد (٤) " فهذا أجدى للمعلم في مراحلـه الاولى .

اذن فلا بد للمعلم من الثقافة العامة لان ذلك شيء ضرورى لاداء وظائف عمله على الوجه الاكمل والا لو حرم المعلم منها لتعطلت كثير من وظائف التعليم عنده . فالامام النووى نراه محقا في اهتمامه البالغ بها لان المعلم في هذه الحالة لاغنى له عنها فحاجة المعلمين الى الثقافة العامة وبخاصة في عصرنا الحاضر : " لاتقل عن حاجتهم الى التبحر في موضوعات علومهم ، لانهم جميعا مكلفون بتعليم فريق واحد من الطلاب ، فاذا لم تجمع بينهم ثقافة عامة واحدة لم يكن تعاونهم في تربية هؤلاء الطلاب سبيـل (٥) " .

(١) محمد زياد حمدان ، التدريس الحديث أصوله وتطبيقاته ، ط ١

(الكويت : دار الكتب ، ١٩٨٢) ، ص ١٥٠ .

(٢) النووى ، المجموع ، " مرجع سابق " ، ص ٦٥

(٣) (٤) المرجع السابق ، ص ٦٤

(٥) جميل طليبا ، فلسفة تربوية متجددة " مرجع سابق " ، ص ٣٧٠ .

ب - مسؤوليات المعلم وأخلاقه

يعتبر المعلم ناقلا للتراث ومحافظة عليه ، والمنتج للقيم الحضارية الجديدة ، أعظم مسؤولية من غيره من الناس ذلك لأن عمله هو إبداع قوى الإنسان وتنمية قدراته واطلاق لكافة طاقاته ، ومما يضمن مسؤولية المعلم أن تطور الحياة الاجتماعية والاقتصادية جعل المدرسة مركزا هاما من مراكز الإصلاح ، وبالتالي فالمعلم عاملا من عوامل النهضة التى تعتمد عليه الدول فى تحقيق أغراضها وبلوغ غاياتها . وجهود المعلمين انما تقاس بالرقى الاجتماعى الذى أسهموا فى تحقيقه ، لأن مهمتهم لا تقتصر على حفظ التراث الاجتماعى فحسب ، بل تشمل أيضا تحسين هذا التراث وتوجيهه نحو المشـئـل العليا التى تتطلبها الحياة (١) .

ولكى يحقق المعلم النمو المتكامل للمتعلم ، فان عليه أن يقوم بمسؤولياته كاملة تلك المسؤوليات التى تفرضها عليه طبيعة عمله . والامام النووى يرى أن من أهم مسؤوليات المعلم ما يلى :

الأول : مسؤولية المعلم تجاه عملية التدريس :

اعتبر الامام النووى أن مسؤولية المعلم تكمن فى حريته فى وضع المنهج الذى يتبعه ، وتعيين محتواه وكتبه . فالمعلم - عنده - يضع لكل متعلم منهاجا مناسباً له بما يلائم استعداداته وقدراته ، فاذا سأل

(١) جميل مليبا ، مستقبل التربية فى العالم العربى " مرجع سابق "

الطالب معلمه معرفة لم يتأهل لها وخبرة لاتلائم استعداداه وقدراته، فينبغى على المعلم حينئذ عدم اجابته لطلبه ويبين له مضار ذلك يقول الامام النووى محذرا بذلك المعلم " ولايلق اليه شيئا لم يتأهل له لئلا يفسد عليه حاله ، فلو سأله المتعلم عن ذلك لم يجبه ويعرفه أن ذلك يضره ولا ينفعه ، وأنه لم يمنعه ذلك شحا بل شفقة ولطفاً (١) " . ويقول أيضا : " وان يعطى كل انسان منهم مايليق به " (٢) .

فالامام النووى لم يجعل المعلم المسئول الوحيد عن تحديد المنهج التعليمى للمتعلم فحسب بل أشرك المتعلم فى المسئولية وجعله مسئولا بدرجة كبيرة عن تعيين المنهج والخبرات والكتب التى يراها ضرورية لدراسته فيقول : " وينبغى أن ينقاد لمعلمه ويشاوره فى أموره (٣) " ويقول أيضا : " وأن يعتنى بتحصيل الكتب (٤) " . ولكن الامام النووى يحذر المتعلم من مغبة الاستقلال بذلك وحده نظرا لقله خبرته ونقص علمه ، بل لابد من أن يتم ذلك بمشاركة معلمه واشرافه ، يقول الامام النووى فى ذلك : " ولا يحفظ ابتداء من الكتب استقلالا ، بل يصحح على الشيخ ، فان الاستقلال بذلك من أضر المفساد (٥) " ، وكما حذر الامام النووى المتعلم

-
- (١) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٥٢ .
(٢) النووى ، التبيان فى آداب حملة القرآن " مرجع سابق " ، ص ٣٤ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٣٧ .
(٤) النووى ، المجموع ، " مرجع سابق " ، ص ٦٦ .
(٥) المرجع السابق ، ص ٦٤ .

أيضا من أخذ العلم على أيدي شيوخ أخذوا العلم من بطون الكتب وحدها دون القراءة على شيوخ لهم . فيقول : " ولا تأخذ العلم ممن كان أخذه له من بطون الكتب من غير قراءة على شيوخ أو شيخ حاذق (١) " والسبب في هذا المنع من ذلك أن : " من لم يأخذه (العلم) إلا من الكتب يقع في التحريف ويكثر منه الغلط والتحريف (٢) " .

فعلى المتعلم أن يأخذ العلم على أيدي المتخصصين في كل فن — و " يعتمد من الشيوخ في كل فن أكملهم (٣) " . ونرى الامام النووي يشجع المتعلم على قراءة الفن الواحد من العلم على عدة شيوخ غير شيخه — المعتمد مالم يتأذى بذلك فيقول : " فاذا اعتمد شيئا في فن وكما أن لا يتأذى بقراءة ذلك الفن على غيره فليقرأ أيضا على ثان وثالث وأكثر مالم يتأذوا فان تأذ المعتمد اقتصر عليه وراعى قلبه فهو أقرب إلى انتفاعه (٤) " .

ويعبر الامام النووي عن رأيه في القراءة على أكثر من شيخ — للتلاميذ ومدى الفائدة فيقول : " ومن أهم ما يؤمر به [أى المعلم] ألا يتأذى ممن يقرأ عليه اذا قرأ على غيره (٥) " ويصرح الامام النووي برأيه في المعلمين الذين يتأذون من قراءة تلاميذهم على غيرهم . فيقول : " وهذه معيبة يبتلى بها جهلة المعلمين لغباوتهم وفساد نيتهم ، وهو

(١)، (٢) النووي ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٦٠ .

(٣) (٤) المرجع السابق ، ص ٦٥

(٥) المرجع السابق ، ص ٥٨

من الدلائل الصريحة على عدم إرادتهم بالتعليم وجه الله تعالى الكريم^(١) "ولكم حذر الامام النووى المتعلم من المعلم الاخر اذا كان غير أهلا للتعليم و ذلك بأن كان فاسقا أو مبتدعا أو كثير الغلط ونحو ذلك فيقول فى ذلك " فإن كان فاسقا أو مبتدعا أو كثير الغلط ، ونحو ذلك فليحذر من الاغترار به^(٢) "

والمعلم فى رأى الامام النووى الى جانب حريته فى تحديد المنهج واختياره دون أن يفرض عليه يتمتع كذلك بحرية كاملة فى اختيار طريقة التعليم التى تناسب كل متعلم حسب استعداده وقدراته ، فالمعلم حر فى اختيار الطريقة المناسبة من كل الطرق حسب تنوع المتعلمين واختلافهم ، وينبغى على المعلم " أن يوفر لكل تلميذ فرص التعليم الذى يتناسب مع قدراته وميوله الذاتية (يعمل على تطبيق مبدأ تفريد التعلم)^(٣) " فيقول الامام النووى فى ذلك : " وينبغى أن يكون باذلا وسعه فى تفهيمهم وتقريب الفائدة الى أذهانهم ، حريصا على هدايتهم ، ويفهم كل واحد بحسب فهمه وحفظه فلا يعطيه ما لا يحتمله ولا يقصره به عما يحتمله بلا مشقة ، ويخاطب كل واحد على قدر درجته وبحسب فهمه وهمته^(٤) " وقوله كذلك " واذا ذكر لهم درسا تحرى تفهيمهم بأيسر الطرق^(٥) " .

ويعتبر الكتاب فى عصر الامام النووى من الوسائل الهامة التى كانت تقوم بدور فعال فى عملية التعليم أكثر من غيرها فقد أوضح الامام النووى

(١) ، (٢) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٥٨ .

(٣) عزت جرادات وآخرون ، التدريس الفعال " مرجع سابق " ، ص ١١٢ .

(٤) المجموع " مرجع سابق " ، ص ٥٢ - ٥٣ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٥٦ .

ذلك بقوله : " وأن يعتنى بتحميل الكتب شراء واستعارة ... ولا يرتضى الاستعارة مع امكان تحصيله ملكا ، فان استعاره لم يبطل به لثلا يفوت الانتفاع به على صاحبه ، ولثلا يكسل عن تحصيل الفائدة منه ، ولثلا يمتنع من اعارته غيره (١) " . فنجد أن كلام الامام النووى السابق يدلنا على أهمية الكتاب فى عصره ، وبأنه يلعب دور مهم فى التعليم والتحصيل دون الاستغناء عن المعلم الذى كان حرا فى تحديد الكيفية التى يدرس بها المتعلم الكتاب ، والتى تختلف من متعلم الى آخر تبعا لفهم المعلم لطبيعة المتعلم .

وهكذا نجد أن حرية المعلم تجاه المادة أو المواد التى يقوم بتدريسها ، وتجاه الطرق والوسائل التى يتم بها التدريس ، وتجاه الكتب والمراجع اللازمة للتعليم تقابلها مسؤوليات جسام يفرضها عليه ويحملها اياها دينه ، ذلك لأن تعليم العلم " من أهم أمور الدين وأعظم العبادات وأكد فروض الكفايات (٢) " . كما أن من مسؤوليات المعلم " أن يقوم بفحص أساليبه وتغييرها وذلك فى ظل أدق الطرق والأساليب الممكنة (٣) " ومن مسؤولياته كذلك " أن يراجع مقرراته الدراسية وطرقه المستخدمة فى التدريس وذلك فى ظل اطار من العناية المطلقة (٤) " .

(١) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٦٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٠ .

(٣) ، (٤) نبيه يس ، أبعاد متطورة للفكر التربوى ، (مصر : مكتبة الخانجى ،

١٣٩٨ - ١٩٧٨) ، ص ٤١٣ .

ونخلص الى القول : " بأن المعلم ليس هو المسئول الوحيد عن عملية صنع القرار المتعلق بتعلم الفرد ، وان المتعلم من حقه القيام باختيار أغراضه وموضوعاته التعليمية (١) " .

الثانى - مسئولية المعلم تجاه الارشاد والتوجيه

ان وظيفة المعلم عند الامام النووى ليست تعليم التلاميذ أنواعا من المعارف واكسابهم بعض العلوم والحقائق فحسب ، بل وظيفته بالدرجة الاولى هى التعامل مع المتعلمين ، ومساعدتهم على تحقيق ذواتهم بحسب طبيعة كل منهم . يضاف الى ذلك ارشادهم " طلبا للمعرفة ، واكتسابا للمهارات ، واعدادهم للحياة الكريمة الهادفة التى تمكنهم من التمتع بحياتهم بكرامة وتحقيق ذاتهم فى الحياة (٢) " والحقيقة ان المعلم " يتعامل مع أفراد تغد عقولهم غير ناضجة مما يفرض مسئوليات خاصة عليه (٣) " ولا بد للمعلم من أن يقدم العون لكل تلميذ وأن " يعتنى بـ بمصلحه كاعتنائه بمصلح نفسه وولده (٤) " وذلك من أجل فائدة ونفع طلابه . " هذا الى جانب مسئوليته فى مساعدة المتعلم على تحقيق التوافق التربوى ، وذلك بمساعدته على اختيار ما يناسبه من الخبرات والمعارف والعلوم التى يسعى لتعلمها ، وارشاده الى ما يصلح له منها (٥) " .

-
- (١) نبيه يس ، أبعاد متطورة للفكر التربوى " مرجع سابق " ، ص ٤١٨ .
 - (٢) عزت جرادات ، التدريس الفعال " مرجع سابق " ، ص ١٢٠ .
 - (٣) نبيه يس ، أبعاد متطورة للفكر التربوى " مرجع سابق " ، ص ٤٤٤ .
 - (٤) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٥١ .
 - (٥) حسن عبد العال ، فن التعليم عند ابن جماعة " مرجع سابق " ، ص ١٣٤ - ١٣٥ .

وينبغي على المعلم فى مثل هذه الحالة ارشاد وتوجيه المتعلم الى مايناسبه وما يستطيع فيه استخدام امكاناته استخداما فعالا ، يقول الامام النووى فى ذلك : " ويبين له جملا مما يحتاج اليه وينضبط له (١) ". وقوله : " فان رأى الشيخ المصلحة فى ذلك فى وقت فأشار به امتثل أمره (٢) " وكذلك يرى الامام النووى أن من مسئولية المعلم توجيه تلاميذه الى أفضل طرق المذاكرة والتحصيل العلمى ، فليس عمله حشو أذهانهم بالمعلومات والحقائق ، بل من صميم مسؤولياته ارشادهم الى خير طرق التعلم وتوجيههم الى اكتساب عادات مألوفة للتحصيل (٣) " وذلك يتم فى رأى الامام النووى بتخصيص وقت معين للاستذكار وعنده أن " أجود أوقات الحفظ الاسحار ثم نصف النهار ثم الغداه (٤) " ويبين كذلك أن " حفظ الليل أنفع من حفظ النهار ، ووقت الجوع أنفع من وقت الشبع (٥) " وتخصيص مكان معين أيضا للاستذكار والتحصيل وعنده أن " أجود أماكن الحفظ الغرف وكل موضع بعد عن الملهيّات (٦) " كما أن من واجبه أن يرشد تلميذه الى أنه " ليس بمحمود الحفظ بحضرة النبات والخضرة والانهار وقوارع الطرق (٧) " ويبين له السبب فى عدم ملاحية تلك الأماكن بقوله : " لانها تمنع غالبا خلو القلب (٨) " . كما يبين له أن أفضل المذاكرة عنده

(١) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٥٤

(٢) المرجع السابق ، ص ٦٥ .

(٣) حسن عبد العال ، فن التعليم عند ابن جماعة ، " مرجع سابق " ، ص ١٣٥

(٤) ، (٥) ، (٦) ، (٧) ، (٨) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٦٣ .

" مذاكرة الليل (١) ". وكما ارشد الامام النووى المتعلم أكاديميا ونصحه بأن " يرافق بعض حاضرى حلقة الشيخ فى المذاكرة (٢) " وهذا مايساعد على الاستذكار الجيد ، وبث روح التعاون والمساعدة بينهم .

وتشمل مسؤولية المعلم تقديم العون لطلابه فيما يتعلق بحل مشكلاتهم المتنوعة ومنها الحياة الاجتماعية والتوجيه التعليمى فيقول عن ذلك : " متحريا ايضاح العبارات وبيان المشكلات (٣) ، وكذلك مسئولياته " حل المشكلات مما يراه (٤) " وكما يقدم العون والمساعدة لتلاميذه وحل مشكلاتهم الاجتماعية فواجبه نحوهم أن يحنو عليهم ويعتنى بمصالحهم (٥) ، وأن " يحسن اليهم بعلمه وماله وجاهه بحسب التيسير (٦) " ، و " أن يتفقدهم ويسأل عن غاب منهم (٧) " .

وأخيرا على المعلم ألا يدع من نصح المتعلم شيئا فيرشده عند حاجته الى الارشاد ويقدم له العون التربوى والنفسى ويعمل على اشباع حاجته وتحقيق الاستقرار النفسى له .

(١)، (٢) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٦٤ .

(٣)، (٤) المرجع السابق ، ص ٦٥

(٥) المرجع السابق ، ٥١

(٦)، (٧) المرجع السابق ، ٥٢

الثالث - مسئولية المعلم تجاه البحث العلمى

جعل الامام النووى من أهم مسئوليات المعلم مواصلة التعلم والاستزادة الدائمة من المعارف والعلوم وجعل سبيل ذلك البحث العلمى ، ولا بد للمعلمين من امتلاك لأدوات البحث ومهاراته ، لأنهم بحاجة اليه مما يزيد فى نموهم العلمى والمهنى . ويعتبر البحث العلمى عند الامام النووى ضرورة لكل معلم ، وزيادة لحصيلته من الخبرات والمهارات المتعلقة بميدان البحث . ذلك لان المعلم الباحث " يطلع على حقائق العلم ودقائقه ويثبت معه لأنه يضطره الى كثرة التفتيش والمطالعة والتحقيق والمراجعة ، والاطلاع على مختلف كلام الائمة (من علماء تخصصه) وواضحه من مشكله ، وصحيحه من ضعيفه ، وجزله من ركيكه (١) " .

وبالبحث العلمى تنفتح أمام المعلم أبواب فسيحة من الخبرة والمعرفة ، والمعلم الباحث يكون دائما " مستوعبا معظم أحكام ذلك الفن [الذى تخصص فيه] . غير مخل بشئ من أصوله ، منبها على القواعد ، فبذلك تظهر له الحقائق وتنكشف المشكلات ويطلع على الغوامض وحل المعضلات (٢) " ، ومن ثم تزداد ثقة المعلم بنفسه ويعلمه ، ويتمكن بالتالى من إفادة طلابه أعظم فائدة .

(١) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٤٩ - ٥٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٦٥ - ٦٦ .

ولقد كان الامام النووى " محقا فى تأكيده قيمة البحث العلمى ، وأهميته للمعلم فلم يعد لدى التربويين الآن أدنى شك فى أن البحث العلمى مهم للمعلم ، كما أنه مهم لقادة مهنة التعليم ، وعلى ذلك فإن اكتساب بعض الفهم لطبيعة البحث العلمى فى التربية ينبغى أن يعتبر جزء رئيسا من عملية اعداد المعلم (١) .

وفى الحقيقة فإن على المعلم الباحث الذى يريد أن يعمل الى نتائج مرضية ومقبولة من بحثه أن يكون واعيا بطرائق تحصيل المعرفة وأدوات البحث ، وقد حدد الامام النووى من هذه الطرائق والادوات التحقيق ، والتثبيت ، والاستنباط ، واستخدام اللغة الصحيحة فى كتابة البحث ، وتحديد المشكلة بدقة وفحص الأدلة ، فذكر أن المصنف الجيد هو ما كان صاحبه " محققا كل ما يذكره ، متشبها فى نقله واستنباطه ، متحريرا ايضاح العبارات ، وبيان المشكلات ، متجنبا العبارات الركيكات ، والأدلة الواهيات (٢) " . فالامام النووى فى هذه العبارة الموجزة يدعو الى أمور من أهمها :

- تحقيق الباحث من كل ما يذكره فى بحثه .
- تثبت الباحث فى النقل من تلك الكتب والوثائق .

(١) ديوبولد ، فان دالين . مناهج البحث فى التربية وعلم النفس ، ترجمة محمد نبيل نوفل ، سليمان الخضرى ، طلعت منصور ، مراجعة سيد احمد عثمان (الانجلو المصرية - ١٩٦٩) ، ص ٢٦ .

(٢) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٦٥ .

- استخدام الباحث للتفكير الاستنباطى كوسيلة للحصول على المعلومات .
- استخدام العبارات الواضحة فى كتابة البحث أو المصنف . مع الاجتناب لتركيب العبارات لأن وضوح العبارات يدل على فهم الباحث لما يكتب ، كما يدل عن قدرته على تحليل المادة العلمية وتقويمها .
- توضيح الباحث لمشكلته وتحديد لها بدقة لأن هذا مما يساعد الباحث على اختصار الوقت والجهد والوصول الى نتائج سليمة .
- تثبت الباحث من الادلة التى يبنى عليها استنتاجاته وفحصها ومراجعتها (١) .

وسيتناول الباحث مبادئ وأرسمات المنهج العلمى وأصوله عند الامام النووى ومن أهمها :

(أ) تحرى الحقيقة فى البحث :

ان غاية كل بحث - فيما يرى الامام النووى - الوصول الى الحقيقة مهما خالفت معتقدات الناس وعاداتهم ، وهو ينبه المعلم الى أنه اذا اجتمع بغيره من الباحثين للبحث والدراسة فان المقصود من اجتماعهم

(١) حسن عبد العال ، أصول البحث العلمى وآدابه عند الامام النووى (مجلة رسالة الخليج العربى ، مكتب التربية العربى لدول الخليج العدد ٢٤ ، السنة الثامنة ، ١٤٠٨ - ١٩٨٨) ، ص ٤٤ - ٤٥ .

هو " ظهور الحق وحصول الفائدة (١) " كما أن من واجب المعلم تذكير تلاميذه كلما اجتمع بهم " ينبغي أن يكون لله تعالى (٢) " كما ينبغي عليه أن " ينصفهم في البحث فيعترف بفائدة يقولها بعضهم (٣) " والحقيقة عند الامام النووي بنت البحث وضالة المعلم الباحث ، ويقتضى التحرى عنها والوصول اليها ، والاجتهاد في طلبها عن طريق التنقيب والدراسة والبحث و " الاشتغال بالعلم قراءة واقراء ومطالعة وتعليقا ومباحثة ومذاكرة وتصنيفا (٤) " والمعلم في سبيل البحث عن الحقيقة ينبغي أن " لا يستحى من السؤال عما أشكل عليه (٥) " كما " لا يستكف من التعلم ممن هو دونه في سن أو نسب أو شهرة أو دين أو في علم آخر ، بل يحرص على الفائدة ممن كانت عنده ، وان كان دونه في جميع هذا ، ولا يستحى من السؤال عما لم يعلم (٦) " .

وليس مما يعيب المعلم الباحث - فيما يرى الامام النووي - أن يأخذ الحقيقة من أناس يقفون منه موقف التعلم ، فقد كان السلف يفعلون ذلك ، وبالتالي ينبغي على المعلم الباحث " الا يمنعه ارتقاء منصبه وشهرته من استفادة ما لا يعرفه ، فقد كان كثير من السلف يستفيدون من تلامذتهم ما ليس عندهم (٧) " ويستشهد الامام النووي على ذلك " بما ثبت في

(١) ، (٢) النووي ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٥٧ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٥٥

(٤) المرجع السابق ، ص ٤٩

(٥) المرجع السابق ، ص ٦٢ .

(٦) (٧) المرجع السابق ، ص ٤٩ .

المصحيح رواية جماعة من الصحابة عن التابعين ، وروى جماعات من التابعين عن تابعي التابعين ، وهذا عمرو بن شعيب ليس تابعيا وروى عنه أكثر من سبعين من التابعين (١) . وما دامت الحقيقة بنت البحث فان على المعلم أن " يغتنم ... وقت الفراغ والنشاط وحال الشباب وقوة البدن ونباهة خاطر وقله الشواغل قبل عوارض البطالة وارتفاع المنزلة (٢) " التي تمنعه من مواصلة البحث ، وتحول بينه وبين البحث العلمى وتحقيق أهدافه .

(ب) عدم التعجل بالاجابة دائما :

يرى الامام النووى أن المعلم ينبغى ألا يكون مستعدا للاجابة دائما سواء بالنفى أو الايجاب عن أسئلة تلاميذه ، ولا حرج عنده أن يقول المعلم اجابة عما لايعرف ، لا أعرفه أو لا أعلمه أو لا أتأكد منه ، ثم يلجأ بعد ذلك للتعلم والبحث والاطلاع ويتأكد من صحة أحكامه وسلامة اجاباته وأن الحرج كل الحرج أن يتسرع فيجيب بغير تثبت من صحة جوابه ويبادر بإصدار أحكام على غير علم ، يقول الامام فى ذلك : " اذا سئل عن شيء لايعرفه أو عرض فى الدرس ما لا يعرفه فليقل لا أعرفه أولا أتأكد ولا يستنكف عن ذلك ، فمن علم العالم [أى المعلم] أن يقول فيما لايعلم لا أعلم أو الله أعلم (٣) " .

(١) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٤٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٦٤ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٥٧ .

ويدرك الامام النووى أنه يصعب على كثير من المعلمين والباحثين قول لا أدري عند سؤالهم ، لما يخشونه من الاتهام بالجهل والعجز وقلّة العلم ، فيسارع الى ازالة تلك الخشية من نفوسهم ، وفى الاتهام عنهم موضحا لهم " أن قول العالم لا أدري لا يضع منزلته ، بل هو دليل على عظم محله وتقواه وكمال معرفته ، لان المتمكن لا يضره عدم معرفته مسائل معدودة (١)" بل ان الامام النووى استدل بذلك القول " لا أدري " على تقوى الله ومخافته فيقول : " بل يستدل بقوله لا أدري على تقواه وانّه لا يجازف فى فتواه (٢)" وبين الامام النووى أن المتسرع فى الاجابة دون علم بها ، ويمتنع عن قول لا أدري فى جميع ما يسئل لهو دليل على أنه " قل علمه وقصرت معرفته وضعفت تقواه (٣)" ويعلل السبب فى ذلك التسرع بقوله : " لأنه يخاف لقصوره أن يسقط من أعين الحاضرين وهو جهالة منه ، فانه باقدامه على الجواب فيما لا يعلمه يبوء بالاثم العظيم ، ولا يرفعه ذلك عما عرف له من القصور ، بل يستدل به على قصوره (٤)" فينبغى للمعلم " الاعتراف بعدم المعرفة اذا أملى عليه الموقف التعليمى ذلك دون مواربة أو مغالطة أو خجل (٥) " .

(ج) عدم الاكتفاء بقدر معين من العلم:

يذهب الامام النووى الى أن العلم متغير متجدد لا يثبت على حال ، كذلك لاتحدده حدود بل انه يضاف اليه كل يوم جديد ، ولذا نراه يبحث المعلم

(١)، (٢)، (٣)، (٤) النووى ، المجموع ، " مرجع سابق " ، ص ٥٧

(٥) محمد زياد حمدان ، المعلم مواصفاته ومسؤولياته البناءة فى التربية المدرسية ، (عمان : دار التربية الحديثة ، ١٤٠٦) ضمن سلسلة المكتبة التربوية السريعة ، الرسالة ٨ ، ص ١٨ .

بالاستزادة منه فى كل وقت و " لايؤخر تحصيل فائدة وان قلت اذا تمكّن منها ، وان أمن حصولها بعد ساعة ، لان للتأخير آفات ، ولانه فى الزمن الثانى يحصل غيرها (١) " فالعلم غير متوقف وغير متناه ، بينما عمّر المعلم متناه ومحدود ، ومن هنا لاينبغى تأخير الحصول على المعرفة كما ذكر الامام النووى . لان العلم فى تقدم مستمر وسريع .

تلك كانت بعض آراء الامام النووى فى أصول البحث العلمى وقواعده من خلال ماكتبه فى مقدمة كتابه " المجموع شرح المذهب " .

أما الآن فسيتناول الباحث بايجاز أخلاق المعلم التى ذكرها الامام النووى فى بعض كتاباته ومن أهمها مايلى :

- ١ - الالتزام بالاداب الفاضلة والاخلاق الحميدة وتطهير باطنه من الحسد وغيره باعتباره قدوة لطلابه (٢) .
- ٢ - تنزيه العلم عن المطامع الدنيوية من جاه أو مال أو سمعة ونحو ذلك (٣) .
- ٣ - الرفق فى معاملة التلاميذ والصبر عليهم والتواضع لهم (٤) .
- ٤ - الموضوعية والعدل بين التلاميذ (٥) .
- ٥ - العناية بالمظهر العام (٦) .
- ٦ - الايثار والبعد عن الانانية (٧) .

(١) النووى "المجموع " مرجع سابق " ، ص ٦٣ .
(٢) (٣) (٤) (٥) (٦) (٧) المرجع السابق ، ص ٤٦ - ٥٥

ثانيا - المتعلم أخلاقه وواجباته

للمتعلم أخلاق وواجبات بتعيينه على طلب العلم وتحصيله ، منها ما يتعلق بجوانب سلوكه ، ومنها ماله علاقة بتعامله مع درسه ، ومنها ما يتعلق بتعامله مع شيخه وأستاذه . وسيتناول الباحث أخلاق المتعلم وواجباته كما ذكرها الامام النووي في مقدمته على النحو التالي :

١ - اخلاقه وواجباته نحو نفسه

إذا أراد المتعلم الكمال في طلب العلم فعليه الابتعاد عن الاخلاق الذميمة الظاهرة والباطنة وتطهير قلبه من الحسد والرياء والاعجاب بنفسه واحتقار الآخرين ، فهذه أمراض قلبية باطنة يبتلى بها كثيرون ، بذلك يصلح لقبول العلم . يقول الامام النووي : " وينبغي ان يظهر قلبه من الانسان ليصلح لقبول العلم وحفظه واستثماره (١) " ويستشهد بما ورد في الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم " ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله ، واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب (٢) رواه البخارى ومسلم . كما أورد قولهم " تطيب القلب للعلم كتطيب الارض للزراعة (٣) "

ولقد وصف الامام النووي العلاج لتلك الامراض فقال : " وطريقه فى نفي الحسد أن يعلم ان حكمة الله تعالى اقتضت جعل هذا الفضل فى هذا الانسان فلا يعترض ولا يكره ما اقتضته الحكمة (٤) " .

(١)، (٢)، (٣) النووي ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٥٨ - ٥٩ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٤٧ .

أما فى علاجه للرياء فيقول : " أن يعلم أن الخلق لا ينفعونـــــــــــــــــه
ولا يضرونه حقيقة فلا يتشاغل بمراعاتهم فيتعب نفسه ويضر دينه ويحبــــــــــــــــط
عمله ويرتكب سخط الله تعالى ويفوت رضاه (١) " .

أما علاجه للإعجاب فقال : " أن يعلم أن العلم فضل من الله تعالى
ومعه عاريه ، فان لله ما أخذ وله ما أعطى وكل شئ عنده بأجل مسمى
فينبغي أن لا يعجب بشئ لم يخترعه وليس مالكا له ولا على يقين مــــــــــــــــن
دوامه (٢) " .

وإذا كان الامام النووى قد حذر المتعلم من التحلى بتلك الاخلاق
الباطنة الذميمة فانه طلب من المتعلم التحلى بالاخلاق والصفات الحميدة
التي حث عليها الشرع فيقول : " أن يتخلق بالمحاسن التي ورد الشرع بها
وحت عليها والخلال الحميدة والشيم المرضية التي أرشد اليها من التزهيد
فى الدنيا والتقلل منها وعدم المبالاة بفواتها والسخاء والجود ومكارم
الاخلاق (٣) " .

ومنها أن يتخلق " بالحلم والعبر والتنزه عن دنىء الاكتساب ،
وملازمة الورع والخشوع والسكينة والوقار والتواضع والخضوع واجتناب
الضحك (٤) " .

(١)، (٢)، (٣)، (٤) النووى ،المجموع " مرجع سابق " ، ص ٤٧ .

ولقد أوصى الامام النووى المتعلم بـ " دوام مراقبته لله تعالى
فى علانيته وسره محافظا على قراءة القرآن ونوافل الصلوات والصوم
وغيرهما معولا على الله تعالى فى كل أمره معتمدا عليه مفوضا فى كل
الاحوال أمره اليه . (١)

واما واجباته نحو نفسه :

يرى الامام النووى ان أهم الصفات الواجب توفرها فى المتعلم هو
أن يقصد بعلمه وجه الله تعالى وما يجب أن يتميز به هو تنزيه علمه من
وسيلة للحصول على أغراض ومطامع دنيوية (٢) .

ويرى الامام النووى أن لعناية المتعلم بمظهره العام وهندامه
أهمية كبيرة ، ولذا يوصى المتعلم أن " يدخل (على الشيخ) كاملا
الهيبة فارغ القلب من الشواغل متطهرا متنظفا بسواك وقص شارب وظفر
وازالة كربه رائحة . (٣)

٢ - أخلاقه وواجباته مع درسه :

يرى الامام النووى أن على المتعلم صون جوارحه من العبث بغيره
حاجة من رفع للصوت والفحك وكثرة الكلام والعبث بيده وغيرها فيقول:
" ولايرفع صوته رفعا بليغا من غير حاجة ولايفحك ولايكثر الكلام بلا حاجة
ولايعبث بيده ولاغيرها ، ولايلتفت بلا حاجة " (٤) ويوصى المتعلم بأن
" يقبل على الشيخ مصغيا اليه " . (٥)

(١) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٤٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٦ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٦١ .

(٤) (٥) المرجع السابق ، ص ٦٢ .

وكما يوصيه بالاستماع والانصات لمعلمه عند القاء الدرس والتلطف معه في حالة سؤاله مع حسن الخطاب فيقول : " ويتلطف في سؤاله ويحسن خطابه " . (١)

ويوصي الامام النووي المتعلم أن يحرس على تعلم ما يجهله ولا يستحي من ذلك ، ولا يستحي اذا سئل عن شيء ولا يعرفه ان يقول لا اعلم : فعليه أن يتعلم ما لا يعلمه لان العلم بالتعلم فيقول : " ولا يستحي من السؤال عما أشكل عليه بل يستوضحه أكمل استيفاح " (٢) وقوله : " ولا يستحي من قوله لم أفهم " (٣) .

ويوصي الامام النووي المتعلم بالتواضع للعلم فيقول : " وينبغي له أن يتواضع للعلم ... فبتواضعه يناله ... ، وقد قالوا العلم حرب للمتعالى كالسيل حرب للمكان العالى " (٤) .

ويطلب الامام النووي من المتعلم " أن يكون حريصا على التعلم مواظبا عليه في جميع أوقاته " (٥) ، كما ينبغي على المتعلم أن تكون همته عالية (في طلب العلم) فلا يرضى باليسير مع امكان الكثير ، وأن لا يسوف في اشتغاله " (٦) .

وأما واجباته نحو درسه :

ان على المتعلم واجبات تجاه درسه ، ولذا يطلب الامام النووي منه أن يكون " مجتهدا في الاشتغال بالعلم ... ولا يستنكف من المتعلم ممن هو دونه ... بل يحرص على الفائدة ممن كانت عنده " (٧) .

(١) النووي ، المجموع " مرجع سابق " ص ٦٢

(٢) (٣) المرجع السابق ، ص ٦٢ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٦٠ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٦٢ .

(٦) المرجع السابق ، ص ٦٣ .

(٧) المرجع السابق ، ص ٤٩ .

وكما طلب الامام النووى ، منه أيضا " أن يقطع العلائق الشاغلة
عن كمال الاجتهاد فى التحصيل " (١) بل ان الامام النووى يوصى المتعلم
بان " يغتنم التحصيل فى وقت الفراغ والنشاط وحال الشباب وقوة البدن
ونباهة خاطر وقلة الشواغل قبل عوارض البطالة " (٢) .

ويحذر الامام النووى المتعلم بأن " يفوت درسه " (٣) ويطلب منه
أن " يعتنى بتصحيح درسه الذى يتحفظه تصحيحا متقنا على الشيخ " (٤) وأن
يдаوم على تكرار محفوظاته ولايحفظ ابتداء من الكتب " (٥)

بل أوجب عليه أن " يذاكر محفوظاته وليدم الفكر فيها ويعتنى
بما يحصل فيهما من الفوائد " (٦) ولقد أوصاه الامام النووى أن "يرافق
بعض حاضرى حلقة الشيخ فى المذاكرة " (٧) .

ويرى الامام النووى أن من واجبات المتعلم عند تأهله أن " يعتنى
بالتصنيف " (٨) بالاضافة الى عنايته " بتحصيل الكتب شراء واستعارة (٩) .

٣ - اخلاقه وواجباته مع أستاذه :

يحتاج المتعلم الى أستاذ يلزمه ويستفيد من علمه ، لان العلم سنة
متبعة يؤخذ من أفواه الرجال ، فأستاذه قدوة صالحة له ، ولذا يطلب
الامام النووى من المتعلم " أن يتوافع ... والمعلم " (١٠) كما لابد
للمتعلم من الانقياد لمعلمه ومشاورته فى جميع أموره فيقول الامام النووى:
" وينقاد لمعلمه ويشاوره فى أموره ويأتمر بأمره كما ينقاد المريـض
لطبيب حاذق ناصح وهذا أولى " (١١) .

(١) النووى ، المجموع ، " مرجع سابق ، ص ٦١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٦٤ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٦٣ .

(٤) (٥) (٦) (٧) المرجع السابق ، ص ٦٤ .

(٨) المرجع السابق ، ص ٤٩ .

(٩) المرجع السابق ، ص ٦٦ .

(١٠) (١١) المرجع السابق ، ص ٦٠ .

وأن يحترم ويقدر معلمه ويخصه بالتحية ، ويحرص على رضاه وان خالف
رأيه فيقول : " أن يتحرى رضا المعلم وان خالف رأى نفسه " (١) .

ويوصى الامام النووى المتعلم بالتحلى بأداب الاستئذان مع معلمه
فلا يدخل عليه بغير اذن فيقول : " والا يدخل عليه بغير اذن " (٢) .

ومن الاحترام للمعلم أن يتأدب ويحترم زملائه وحاضرى مجلس أستاذه
لان هذا فى نظر الامام النووى احترام لمجلس المعلم وتأدب معه فيقول :
" ويتأدب مع رفقته وحاضرى المجلس ، فان تأدبه معهم تأدب مع الشيخ
واحترام لمجلسه " (٣) .

ويوصى الامام النووى المتعلم بالتحلى بالحلم والأناة والصبر على
جفوة معلمه وسوء خلقه فعليه أن يستمر فى ملازمته واعتقاد كماله وأن
يبادر معلمه بالاعتذار له وان لم يذنب فيقول : " وينبغى أن يصبر على
جفوة شيخه وسوء خلقه ولا يصدده ذلك عن ملازمته واعتقاد كماله ... واذا جفاه
الشيخ ابتداءً هو بالاعتذار واطهر أن الذنب له والعتب عليه فذلك أنفع
له ديناً ودنياً " (٤) .

وأما واجباته تجاه استاذة :

يوصى الامام النووى المتعلم بأن عليه واجبات تجاه معلمه ولذا
ينبغى عليه عدم مسابقته الى شرح مسألة أو جواب سؤال الا بعد علمه من
حال المعلم ايشار ذلك فيقول : " ولا يسبقه (اى المتعلم) الى شرح
مسألة أو جواب سؤال الا أن يعلم من حال الشيخ ايشار ذلك ليستدل به

(١) ، (٢) النووى ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٦١ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٦٢ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٦٣ .

على فضيلة المتعلم (١) " . ومن واجباته أيضا عدم القراءة عليه في حال شغل قلبه أو ملله وغمه ونعاسه فيقول في ذلك " ولا يقرأ عليه عند شغل قلب الشيخ وملله وغمه ونعاسه (٢) " .

ويجب على المتعلم عدم الالاحاح على معلمه بكثرة الاسئلة بحيث يتضجر منه وانما ينبغي عليه سؤاله عند طيب نفسه وفراغه فيقول الامام النووي : " ولا يلح في السؤال الحاحا مضجرا ، ويغتنم سؤاله عند طيب نفسه وفراغه (٣) " .

وهناك واجبات استشهد بها الامام النووي عن ابي طالب رضي الله عنه قال : " من حق العالم عليك ... ولا تقولن قال فلان خلاف قوله ولا تغتابن عنده أحدا ولا تسار في مجلسه ولا تأخذ بثوبه ولا تلمس عليه اذا كسل ولا تشبع من طول محبته (٤) " .

ومن واجباته ايضا اعتقاد كمال أهلية معلمه ورجحانه على أكثر جماعته . ولذا يطلب الامام النووي منه أن " يعتقد كمال أهليته ورجحانه على أكثر طبقته فهو أقرب الى انتفاعه به ورسوخ ماسمعه منه في ذهنه (٥) " .

ومن الواجبات كذلك كما يقول النووي : " لا يفش له سرا ، وأن يرد غيبته اذا سمعها . فان عجز فارق ذلك المجلس (٦) " .

(١)، (٢)، (٣) النووي ، المجموع " مرجع سابق " ، ص ٦٢ .

(٤) المرجع السابق، ص ٦١ .

(٥) المرجع السابق، ص ٦٠ .

(٦) المرجع السابق، ص ٦١ .

ثالثا - معلم القرآن ومتعلمه

(١) آداب معلم القرآن ومتعلمه :

يمكن تقسيم ما أورده الامام النووى عن آداب معلم القرآن ومتعلمه الى قسمين : قسم يتحدث عن الاداب العامة التى يشترك فيها معلم القرآن ومتعلمه . وقسم يتحدث عن الاداب الخاصة لمتعلم القرآن الكريم . أما تفاصيل هذه الاداب فهى على النحو التالى :

الاول : الآداب العامة المشتركة بين معلم القرآن ومتعلمه :

أ - تنزيه العلم عن المطامع الدنيوية ، فمن واجب العلم أن يقدم له بما يستحقه من العزة والشرف والعيانة كما يجب للمقرئ والقارئ أن يحسنا نيتهما فى التعليم وأن " يقعدا بذلك رضى الله تعالى ^(١) " وأن لا يقعدا به " توصلا الى غرض من أغراض الدنيا من مال ، أو رياسة ، أو وجهة أو ارتفاع على أقرانه ، أو شناء عند الناس ، أو صرف وجوه الناس اليه ، أو نحو ذلك ، ولا يشين المقرئ اقراؤه بطمع فى رفق يحمل له من بعض من يقرأ عليه سواء كان الرفق مالا أو خدمة وان قل ، ولو كان على صورة الهدية التى لولا قراءته عليه لما أهدها ^(٢) " وقد دلل الامام النووى على ذلك بالكثير من الايات والاحاديث فمنها ما جاء فى الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إنما الاعمال بالنيات ، وإنما لكل أمرئ ماثوى ^(٣) "

(١) الامام النووى ، التبيان فى آداب حملة القرآن " مرجع سابق " ، ص ٢٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٦ .

(٣) رواه البخارى ٧/١ - ١٥ فى بدء الوحي وغيرها . أما مسلم رقم (١٩٠٧) فى الإمارة .

ويعتبر هذا الحديث من أصول الاسلام الهامة . وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله تعالى ، لا يتعلمه الا ليصيب به غرضا من أغراض الدنيا ، لم يجد عرف الجنة (*) يوم القيامة " رواه أبو داود باسناد صحيح . (١)

وعن أنس وحذيفة وكعب بن مالك رضى الله عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " من طلب العلم ليمارى به السفهاء أو يكاشر به العلماء أو يعصرف به وجوه الناس اليه فيتبنوا مقعده من النار " رواه الترمذى .

ب - يحذر الامام النووى معلم القرآن الكريم من " قعده التكشر بكثرة المشتغلين عليه ، والمختلفين اليه " ويحذره كذلك من " كراهيته قراءة أصحابه [أى تلاميذه] على غيره ممن ينتفع به (٢) " ولقد أوضح الامام النووى من يتعف بتلك الصفات بأنها " معيبة يبتلى بها بعض المعلمين الجاهلين (٣) " كما أنها تدل دلالة واضحة على صاحبها " بسوء نيته وفساد طويته (٤) " بل هى " حجة قاطعة على عدم ارادته بتعليمه وجه الله تعالى فانه لو أراد الله تعالى لما كره ذلك (٥) " ويستشهد الامام النووى على ذلك بما ورد فى مسند الامام ابن محمد الدارمى ، عن علي بن أبى طالب

(*) عرف الجنة بفتح العين واسكان الراء : أى ريحها .

- (١) أبى داود سليمان بن الأشعث السجستانى الأزدي ، سنن أبى داود . ط ١ (بيروت : دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٣٩٣ هـ) ج ٤ ، ص ٧١
- (٢) الامام النووى ، التبيان فى آداب حملة القرآن " مرجع سابق " ص ٢٧ - ٢٨ .
- (٣) (٤) (٥) المرجع السابق ، ص ٢٨ .

رضى الله عنه أنه قال : " يا حامله العلم ! اعملوا به ، فانما العالم من عمل بما علم ووافق علمه عمله ، وسيكون أقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم ، يخالف عملهم علمهم ، وتخالف سريرتهم علانيتهم ، يجلسون حلقة يباهى بعضهم بعضا ، حتى ان الرجل ليغضب على جليسه ان يجلس الى غيره ويدعه ، أولئك لا تمعد أعمالهم فى مجالسهم تلك الى الله تعالى (١) " .
فهذا يدل على التطبيق العملى لما نتعلمه وبخاصة فى القرآن الكريم والاحاديث الشريفة الصحيحة .

ج - الالتزام بآداب تعليم القرآن . فمن أهم خصائص المعلم الناجح أن يلتزم بالآداب الفاضلة والاخلاق الحسنة ، والتخلق بالمحاسن التى ورد الشرع بها ، والخلل الحميدة ، والشيم المرضية التى أرشده الله اليها من " الزهادة فى الدنيا والتقلل منها ، وعدم المبالاة بها ويأهلها ، والسخاء والجود ومكارم الاخلاق ، وطلاقة الوجه من غير خروج الى حد الخلاعة ، والحلم والعبر والتنزه عن دنيء الاكتساب ، وملازمة الورع والخشوع والسكينة والوقار والتواضع والخضوع ، واجتناب الضحك (٢) " لانه يعتبر قدوة حسنة لتلاميذه . كما ينبغى على المعلم أن يعتنى بمظهره الخارجى العام من حيث " ملازمة الوظائف الشرعية ، كالتنظيف بالزالة الاوساخ ، والشعور التى ورد الشرع بازالتها كقص الشارب ، وتقليم الاظفار وتسريح اللحية ، وازالة الروائح الكريهة والملابس المكروهة (٣) " .

(١) النووى ، التبيان " مرجع سابق " ، ص ٢٨ .

(٢) (٣) المرجع السابق ، ص ٢٩ .

وكذلك تطهير باطنه من ردىء الاخلاق ، كالحسد والرياء والعجب واحتقار غيره وان كان دونه (١) .

د - مراقبة الله فى السر والعلن ، ومراعاة ذلك فى حركاته وسكناته وأقواله وأفعاله وفى جميع أموره (٢) .

هـ - حب المعلم لتلاميذه وحسن معاملتهم ويكون ذلك على النحو

التالى :

- ١ - ان يحب لهم مايحب لنفسه ، ويكره لهم مايكره لها .
- ٢ - الاعتناء بمصالحهم ومعاملتهم كأعز أبناءه حنوا وشفقة واحسانا .
- ٣ - العبر على جفائهم وسوء أدبهم .
- ٤ - أن يعذرهم فى قلة أدبهم فى بعض الاحيان ويوجههم بلطف وأدب لا بتعنيف وتعسف قاصدا حسن تربيتهم واحسان خلقهم واصلاح شأنهم .
- ٥ - أن يثنى على من ظهرت نجابته منهم مالم يخش فتنة باعجاب وغيره .
- ٦ - أن يؤدبهم على التدريج بالاداب السنية والشيم المرضية ، ورياضة نفسه بالدقائق الخفية ، ويعودهم العيانة فى جميع أمورهم الباطنة والظاهرة (٣) .

و - ألا يمنع طالبا من العلم لعدم تجرد نيته لأن بركة العلم تجعل النية خالصة ، فقد يطلب العلم لغير الله ثم يكون له وحده (٤) .

(١) ، (٢) النووى ، التبيان " مرجع سابق " ، ص ٢٩ .

(٣) (٤) المرجع السابق ، ص ٣١ - ٣٤ .

ز - اظهار البشر وطلاقة الوجه لهم ، كما أنه يسأل عن غاب منهم ويتفقد أحوالهم (١) .

ح - الترغيب فى طلب العلم ويكون ذلك باتباع مايلى :

١ - تذكير الطالب بفضل العلم والعلماء وما أثر فى ذلك ، وبفضل الاشتغال بالقرآن وسائر العلوم الشرعية .

٢ - الاهتمام من الدنيا بقدر كفايته ، وأن يفرغ قلبه فى حال جلوسه لأقراءهم من الاسباب الشاغلة كلها (٢) .

ط - هيانة العلم كما صانه علماء السلف ، وذلك بالمحافظة على عزته وشرفه وعدم اذلاله بالذهاب به الى غير أهله ، حتى وان كان المتعلم خليفة فمن دونه (٣) .

ى - قصد النية لله تعالى فيما يعلمه للتلاميذ من العلم ، مع صون جوارحه عند العبث فى حال الاقراء من غير حاجة تعظيما واجلالا وتوقيرا للقرآن الكريم الذى بين يديه .

ك - استحسان جلوس معلم القرآن مستقبلا القبلة (٤) .

ل - اتباع المعلم للطرق السهلة من نقل المعلومات لتلاميذه وذلك

باتباع ماياتى :

١ - سهولة الالتقاء فى تعليمه واللفظ فى تفهيمه مع الحرص على ذلك .

٢ - تحريضه على التعلم ومساعدته على طلبه بما أمكنه .

(١) النووى ، التبيان " مرجع سابق " ، ص ٣٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣١ . (٣) (٤) المرجع السابق ، ص ٣٥ .

- ٣ - تألف قلب الطالب على حب القرآن وتعلمه (١) .
- ٤ - مراعاة قدرات طلابه العقلية والذهنية فيما يعلمه (٢) .
- م - أن يتواضع المعلم لتلاميذه ويكون لنا معهم ، ولا يتعاضم عليهم عملا بقوله صلى الله عليه وسلم انه قال : " لينوا لمن تعلمون ولمن تتعلمون منه (٣) " . ويتحقق التواضع والتكريم لهم باتباع مايتأتى :
- ١ - الترحيب بهم حين الالتقاء بهم ، سائلا عن أحوالهم .
- ٢ - معاملتهم بوجه طلق مع اظهار البشر لهم (٤) .
- ن - ينبغي على المعلم " ان يكون مجلسه واسعا ليتمكن جلساؤه فيه (٥) " .

الثانى : آداب المتعلم فى نفسه وشيخه ودرسه :

- أ - آداب المتعلم فى نفسه وتتمثل فيما يلى :
- (١) اجتناب الاسباب الشاغلة عن التحصيل الا سببا لابد منه للحاجة (٦) .
- (٢) تطهير باطن المتعلم من الادناس كالحسد والعجب ، وأن يدخل على

-
- (١) النووى " التبيان " مرجع سابق " ، ص ٣١ .
- (٢) المرجع السابق ، ص ٣٤ .
- (٣) هو جزء من حديث طويل . قال الحافظ العراقى : رواه ابن السننى فى " رياض المتعلمين " بسند ضعيف .
- (٤) النووى " التبيان " مرجع سابق " ، ص ٣٢ ؛ ص ٣٤ .
- (٥) المرجع السابق ، ص ٣٥ .
- (٦) المرجع السابق ، ص ٣٦ .

شيخه كامل الخصال ، متنظفا كما ذكرنا فى المعلم ، متطهرا مستعملا للسواك (١) .

٣ - أن " يتحمل جفوة شيخه وسوء خلقه ، ولا يعده ذلك عن ملازمته واعتقاد كماله ، ويتأول لأفعاله وأقواله التى ظاهرها الفساد تأويلات صحيحة . وإذا جفاه الشيخ ابتدأه بالاعتذار اليه ، وأظهر أن الذنب له والعتب عليه ، فذلك أنفع له فى الدنيا والاخرة " واستشهد الامام النووى بالاثار المشهور عن ابن عباس رضى الله عنهما : ذلت طالبا فعززت مطلوبا (٢) . "

٤ - أن " يأخذ [المتعلم] نفسه بالاجتهاد فى وقت الفراغ والنشاط ، وقوة البدن ، ونباهة خاطر ، وقلة الشاغل قبل عوارض البطالة وارتفاع المنزلة " ويستشهد الامام النووى على ذلك بالاثار عن عمر رضى الله عنه : تفقهوا قبل ان تسودوا . وقول الشافعى رضى الله عنه : تفقه قبل ان ترأس ، فاذا رأست فلا سبيل الى التفقه (٣) . "

ب - آدابه مع شيخه فيتضمن مايلى :

(١) تواضع المتعلم لمعلمه والتأدب معه . ويطلب الامام النووى من المتعلم بأن " يتواضع المتعلم لمعلمه ، ويتأدب معه وان كان أصغر منه سنا وأقل شهرة ونسبا وملاحا وغير ذلك ، وكذلك يتواضع

(١) النووى ، التبيان " مرجع سابق " ، ص ٣٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٠ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٤١ .

للعلم فبتواضعه للعلم يدركه (١) " .

٢ - الانقياد للمعلم ومشاورته في جميع الأمور . ويطلب الامام النووي من المتعلم بأن " ينقاد لمعلمه ، ويشاوره في أموره ، ويقبل قوله كالمريض العاقل يقبل قول الطبيب الناصح الحاذق ، وهذا أولى (٢) " .

٣ - أخذ العلم من معلم ثقة في دينه وعلمه وخلقه ، ولذلك حذر الامام النووي المتعلم بأن لا يأخذ العلم الا " ممن كملت أهليته وظهرت ديانتها ، وتحققت معرفته ، واشتهرت ميانته " . ويدلل على ذلك بأقوال محمد بن سيرين ومالك بن أنس وغيرهما من السلف : هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم (٣) " .

٤ - التقدير والاحترام للمعلم ولذلك يطلب الامام النووي من المتعلم مايلي :

أ - أن " ينظر المتعلم لمعلمه بعين الاحترام والتقدير ، وأن يعتقد كمال أهليته ورجحانه على طبقاته ، فانه أقرب إلى انتفاعه به (٤) " .

ب - الرد على من يغتاب معلمه بقدر الاستطاعة . ويطلب الامام النووي من المتعلم بأن " يرد غيبة شيخه ان قدر ، فان

(١) (٢) (٣) (٤) النووي ، التبيان " مرجع سابق " ، ص ٣٧ .

تعذر عليه ردها فارق ذلك المجلس^(١) .

ج - التحلى بآداب الاستئذان ، ويحذر الامام النووى المتعلم :
- بأن " لا يدخل على شيخه بغير استئذان ، اذا كان الشيخ
فى مكان يحتاج الى استئذان " كما ينبغى عليه " أن يسلم
على الحاضرين اذا دخل ، ويخص شيخه [دونهم بالتحية] ،
وأن يسلم عليه وعليهم اذا انصرف^(٢) " .

د - التأدب مع زملائه ومن يحضر مجلس معلمه . ولذلك يطلب
الامام النووى من المتعلم أن " يتأدب مع رفقة وحاضرى
مجلس الشيخ ، فان ذلك تأدب مع الشيخ وميانة لمجلسه^(٣) " .

ج - آدابه مع درسه ويشتمل على ماأتى :

(١) جلوس المتعلمين الجلوس الصحيح أثناء تلقى العلم ولذلك يطلب
الامام النووى من المتعلم بأن " يقعد بين يدى الشيخ قعدة
المتعلمين ، ولا يرفع صوته رفعا بليغا من غير حاجة^(٤) " .

(٢) قلة الكلام أثناء الدرس . ولذلك ينهى الامام النووى المتعلم -
بأن " لا يكثر الكلام من غير حاجة ، ولا يضحك ، ولا يعبث بيده ولا بغيرها
ولا يلتفت يمينا ولا شمالا من غير حاجة ، بل يكون متوجها الى
الشيخ معنيا الى كلامه^(٥) " .

(١) (٢) النووى ، التبيان " مرجع سابق " ، ص ٣٨ .

(٣) (٤) (٥) الموجع السابق ، ص ٣٩ .

(٣) مراعاة أحوال المعلم ولذلك يحذر الامام النووى المتعلم من القراءة على شيخه " فى حال شغل قلب الشيخ وملله ، واستنفاره وغمه وفرحه وجوعه وعطشه ونعاسه وقلقه ونحو ذلك ، وعليه أن يغتنم أوقات نشاط شيخه (١) " .

(٤) الجد والاجتهاد فى طلب العلم . ولذلك يطلب الامام النووى من المتعلم أن يكون " حريصا على التعلم مواظبا عليه فى جميع الاوقات التى يتمكن منه فيها ، ولا يقنع بالقليل مع تمكنه من الكثير (٢) " .

(٥) مراعاة استعداداته وقدراته الذهنية عند التعلم . ويحذر الامام النووى المتعلم بأن " يحمل نفسه مالا يطيق مخافة من الملل وضياح ماحصل . وهذا يختلف باختلاف الناس والاحوال (٣) " .

(٦) مراعاة الوقت المناسب . ولذلك يطلب الامام النووى من المتعلم ألا يفوت وظيفته [أى الاشتغال بالقرآن] ألا أن يخاف كراهة الشيخ لذلك ، بأن يعلم من حاله الاقراء فى وقت بعينه ، وأنسه لا يقرئ فى غيره (٤) .

(١) النووى ، التبيان " مرجع سابق " ، ص ٤٠ .

(٢)(٣)(٤) المرجع السابق ، ص ٤١

وكما ينبغي عليه أن " يبكر بقراءته على الشيخ أول النهار ،
لحديث النبي صلى الله عليه وسلم :

" اللهم بارك لأمتي في بكورها (١) " .

(٧) تعاهد قراءة القرآن الكريم وحفظه ولذلك يومى الامام النووى
القارىء - بأن " يحافظ على قراءة محفوظه ، وان لا يؤثر بنوبته
غيره ، فان الايثار مكروه فى القرب بخلاف الايثار بحفظ النفس
فانه محبوب (٢) " .

(١) (٢) النووى ، التبيان " مرجع سابق " ، ص ٤٢؛ رواه ابو داود رقم (٢٦٠٦)
فى الجهاد والترمذى رقم (١٢١٢) . فى البيوع .

٢ - آداب قراءة القرآن الكريم

أوضح الامام النووي مراده من تأليف كتابه " التبيان فسى آداب حملة القرآن " ، وأن هذا الباب هو مقصود الكتاب ، وهو كثير جدا ولكنه سوف يشير الى بعض من مقامه خوفا من التطويل ، وليبعد القارئ عن الملل (١) .

وهناك آداب لقراءة القرآن الكريم ينبغى مراعاتها عند القراءة فمنها :

- ١ - العناية بالمظهر العام ، والمراد بذلك أنه اذا أراد القارئ القراءة نظف فاه بالسواك وغيره ، وأن يكون القارئ لكتاب الله على طهارة من الحدث الاكبر (٢) . ولقد أجمع المسلمون على جواز قراءة القرآن للمحدث حدثا أصغر والمستحاضة ، أما من حيث " الجنب والحائض فانه يحرم عليهما قراءة القرآن ، سواء كان آية أو أقل منها (٣) " ، وانما جاز لهما " اجراء القرآن على قلبهما من غير تلفظ به ، وكذلك النظر فى المصحف وامراره على القلب (٤) " كما أجمع المسلمون على جواز التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير ، والعلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من الاذكار سواء للجنب والحائض (٥) .

(١) النووي ، التبيان " مرجع سابق " ، ص ٥٧ .

(٢) المرجع السابق ص ٥٧ - ٥٨ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٥٨ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٥٨ - ٥٩ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٥٩ .

٢ - استحباب قراءة القرآن " فى موضع نظيف مختار " والافضل " القراءة فى المسجد ، لكونه جامعا للنظافة ، وشرف البقعة ، ومحصلا لفضيلة أخرى وهى الاعتكاف سواء كثر فى جلوسه أو قل^(١) " ويشير الامام النووى الى ان الانسان ينبغى له عند أول دخوله المسجد أن ينوى الاعتكاف ، ويعدده من الادب ، فيقول : " وهذا الادب ينبغى أن يعتنى به ويشاع ذكره ، ويعرفه الصغار والعوام فانه مما يغفل عنه^(٢) " . ونجد أن جماعات تحفيظ القرآن الكريم للبنين بالمملكة العربية السعودية تعلم القرآن فى المساجد حتى يومنا هذا وهذا هو المختار والافضل كما أشار الى ذلك الامام النووى آنفا .

* أما القراءة فى الحمام فيبين الامام النووى حكم ذلك بقوله : " اختلف السلف فى كراهيتها^(٣) " وأما قراءة القرآن الكريم فى الطريق فيقول عن حكمها : " فالمختار أنها جائزة غير مكروهة^(٤) " ولقد اشترط الامام النووى فى ذلك : " اذا لم يلته صاحبها ، فان انتهى صاحبها عنها كرهت^(٥) " .

(١)، (٢)، (٣) النووى ، التبيان " مرجع سابق " ، ص ٦١ .

* الحمام : مشدد وأحد الحمامات المبنية وهو موضع الاغتسال المعروف . المرجع : لسان العرب ، ج ١٢ ، ص ١٥٣ - ١٥٤ .

(٤)، (٥) المرجع السابق ، ص ٦٢ .

٣ - استقبال القارئ للقرآن الكريم القبلة ، وان يجلس بخشوع وسكينة ووقار عند القراءة ، كما تكون قراءته للقرآن الكريم على أى صفة كانت (١) .

٤ - الشروع فى قراءة القرآن الكريم يكون باتباع ماأتى :

أ - البدء بالاستعاذة بالله فيقول بادية ذى بدء : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . وهذا مستحب لكل قارئ ، سواء كان فى الصلاة أو فى غيرها (٢) .

ب - المحافظة على قراءة بسم الله الرحمن الرحيم فى أول كل سورة سوى (براءة التوبة) لأن أكثر العلماء يرى أنها آية ، حيث تكتب فى المصحف (٣) " .

ج - الخشوع والتدبر عند قراءة القرآن ويدلل الامام النووى على ذلك بقول الله تعالى ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ ﴾ (٤) " وقوله تعالى ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ ﴾ (٥) " .

د - ترتيل القرآن الكريم امتثالا لأمر الله تعالى ﴿ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴾ (٦) " . وكما جاء فى الاثر عن أبى عباس رضى الله عنهما قال : لأن أقرأ سورة أرتلها أحب الى من أن أقرأ القرآن كله (٧) .

-
- | | |
|-----|--|
| (١) | النووى ، التبيان " مرجع سابق " ، ص ٦٣ . |
| (٢) | المرجع السابق ، ص ٦٤ - ٦٥ . (٦) سورة المزمّل ، آية رقم ٤ . |
| (٣) | المرجع السابق ، ص ٦٥ . (٧) المرجع السابق ، ص ٧٠ . |
| (٤) | سورة النساء ، آية رقم ٨٢ . |
| (٥) | سورة ص ، آية رقم ٢٩ . |

ولقد ورد النهي عن الافراط في الاسراع في القراءة وهو ما يسمى (الهذّ) [والهذّ يختلف عن الحد في قول أهل اللغة: حذرت القراءة أو أدرجتها ولم تمططها] ويورد الامام النووي على ذلك بما ثبت عن عبد الله بن مسعود أن رجلاً قال له: " انى أقرأ المفصل فى ركعة واحدة ، فقال عبد الله بن مسعود : هذا كهذا الشعر ، ان أقواما يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، ولكن اذا وقع فى القلب فرسخ فيه نفع (١) " . رواه البخارى ومسلم .

هـ - احترام القرآن الكريم وتعظيمه وتوقيره . فمن ذلك اجتناب الضحك واختلاط الاصوات وعلى المستمعين لذكر الله الانصات اليه امتثالاً لقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (٢) ، وكذلك العبث بأنواعه ، والنظر الى ما يلهى ويبدد الذهن ويعرفه عن التدبر والتفكير فى آيات الله (٣) .

هـ - قراءة القرآن الكريم من المصحف أفضل من قراءته عن ظهر قلب ، " لان النظر فى المصحف يعتبر عباده مطلوبة ، وبالتالي تجتمع فضيلتى القراءة والنظر لكتاب الله (٤) " .

-
- (١) النووى ، التبيان " مرجع سابق " ، ص ٧١ .
 (٢) سورة الاعراف ، آية رقم ٢٠٤ .
 (٣) المرجع السابق ، ص ٧٣ .
 (٤) المرجع السابق ، ص ٧٨ .

٦ - استحباب قراءة الجماعة مجتمعين ، فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم من رواية أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : " ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده (١) " رواه مسلم وأبو داود . وهذا مانراه اليوم من حلقات فى المساجد لتعليم القرآن الكريم .

٧ - استحباب رفع الصوت بقراءة القرآن وتحسينه ويشير الامام النووى الى أهميته والعناية به بقوله : " هذا فعل مهم ينبغى أن يعتنى به (٢) " ، ومما يدل على ذلك الحديث الذى رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به " رواه البخارى ومسلم " وما روى عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " زينوا القرآن بأصواتكم " رواه أبو داود والنسائى وغيرهما ، ويذكر الامام النووى فوائد رفع الصوت بقراءة القرآن مستشهدا بقول الامام أبو حامد الغزالى وغيره من العلماء ، اذ يقول : " فالجهر ورفع الصوت أفضل لان العمل فيه اكثر ، ولان فائدته تتعدى الى غيره ، والنفع المتعدى أفضل من اللازم ، ولانه يوقظ قلب القارئ

(١) النووى ، التبيان " مرجع سابق " ، ص ٧٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٨٢ .

(٣) معنى أذن استمع ، وهو اشارة الى الرضا والقبول .

ويجمع همه الى الفكر فيه ، ويعرف سمعه اليه ، ويطرده النوم ،
 ويزيد النشاط ، ويوقظ غيره من نائم وغافل وينشطه (١) " وأما
 القراءة بالالحن ، فان الامام النووى يستشهد ببعض آراء علماء
 الشافعية فيقول : " فقد قال الشافعى رحمه الله فى مواضع : أكرهها
 وقال فى مواضع لا أكرهها . . . ان أفرط فى التمطيط فجاوز الحد
 فهو الذى كرهه ، وان لم يجاوز فهو الذى لم يكرهه (٢) " والقول
 الآخر للماوردى فى كتابه " الحاوى " اذ يقول عنه الامام النووى
 : " القراءة بالالحن الموضوعه ان أخرجت لفظ القرآن عن ميغته
 بادخال حركات فيه ، أو اخراج حركات منه ، أو قصر ممدود ، أو مد
 مقصور ، أو تمطيط يخل به بعض اللفظ ويلتبس المعنى ، فهو حرام ،
 يفسق به القارىء ، ويأثم به المستمع . لانه عدل به عن نهجه
 القويم الى الاعوجاج ، والله تعالى يقول : ﴿لُرَآئَاَ هَرَبِيًّا فَيَسْـَٔرَ
 فِي عِوَجٍ﴾ (٣) . قال : وان لم يخرج اللفظ عن لفظه وقراءته على
 ترتيله ، كان مباحا ، لانه زاد بالحنه فى تحسينه (٤) " .

ويبدى الامام النووى رأيه فى كلام الماوردى السابق فيقول :
 " وهذا القسم الاول من القراءة بالالحن المحرمة معصية أبتلى
 بها العوام الجهلة ، والطفام الغشمة الذين يقرؤون على الجنائز ،
 وفى بعض المحافل ، وهذه بدعة محرمة ظاهره يأثم كل مستمع لها (٥) "
 ولاشك أن هذه من البدع والمنكرات التى تفشت فى العصر الذى عاش

(١) النووى ، التبيان " مرجع سابق " ، ص ٨٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٨٩ .

(٣) سورة الزمر ، الآية رقم ٢٨ .

(٤) (٥) النووى ، التبيان " مرجع سابق " ، ص ٨٩ .

فيه الامام النووى ولقد قام بانكار هذا المنكر ومحاولة ازالته وبذل وسعه فى ذلك فيقول : " وقد بذلت فيها بعض قدرتى ، وأرجو من فضل الله الكريم أن يوفق لازالتها من هو أهل لذلك ، وأن يجعله فى عافية (١) " .

٨ - قراءة القرآن الكريم محبوبة على الاطلاق ، الا فى أحوال خاصة جاء الشرع بالنهى عن القراءة فيها وهى على النحو التالى :

أ - ان الركوع ، والسجود ، والتشهد وغيرها من أحوال الصلاة سوى القيام تكره القراءة فيها .

ب - القراءة بما زاد على الفاتحة للمأموم فى الصلاة الجهرية عند سماع قراءة الامام ، وكذلك حالة القعود على الخلاء ، وفى حالة النعاس ، وكذا اذا استعجم عليه القرآن ، وكذا حالة الخطبة لمن يسمعها ، ... هذا هو المختار الصحيح (٢) .
أما القراءة فى الطواف فانها لا تكره على الصحيح ، وبه قال أكثر العلماء (٣) ، وهذا ما يفعله بعض الطائفين بالبيت الحرام اليوم من قراءة كتاب الله فى الطواف .

٩ - هناك بعض البدع المنكرة والتى أشار اليها الامام النووى على النحو التالى :

(١) النووى ، التبيان " مرجع سابق " ، ص ٩٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٩٣ - ٩٤ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٩٤ .

أ - قراءة جهلة الممعلمين بالناس في التراويح من قراءة سورة
(الانعام) في الركعة الأخيرة في الليلة السابعة . معتقدين
أنها مستحبة . ويرى الامام النووي أن هذه بدعة منكراة من
أمر :

- (١) الاعتقاد بأنها مستحبة .
- (٢) ايهاام العوام لذلك .
- (٣) تطويل الركعة الثانية على الاولى خلافا للسنة .
- (٤) التطويل على المأمومين بخلاف السنة من التخفيف في
الصلاة (١) .

ب - قراءة بعض جهلة الممعلمين في الفجر يوم الجمعة بسجدة غير
سجدة (الم تنزيل) قاصدا ذلك ، وانما السنة قــــراءة
(الم تنزيل) في الركعة الاولى ، و (هل أتى على الانسان)
في الركعة الثانية (٢) .

(١) النووي ، التبيان " مرجع سابق " ، ص ٩٤ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٩٤ - ٩٥ .

٣ - آداب الناس مع القرآن الكريم

هناك بعض الآداب العامة للناس مع القرآن الكريم فمنها :

- ١ - تعظيم القرآن الكريم على الإطلاق وتنزيهه وميانيته لانه كلام الله تعالى وتنزيله ، لا يشبهه شيء من كلام الخلق ، ولا يقدر على مثله الخلق بأسرهم^(١) وأما ميانيته فتكون عن اللحن والتحريف والزيادة والنقصان والتبديل .
- ٢ - تحريم تفسير القرآن الكريم بغير علم ، والكلام فى معانيه ، لمن ليس أهلا للتفسير وغير جامع للادوات التى يعرف بها معناه ، لان المفسر لابد أن يقف على معانى العربية عند أهلها ، وبخاصة الالفاظ العربية التى لاتؤخذ الا بالسمع من العرب . وأهل التفسير ، وينبغى عليه كذلك معرفة ما قاله المفسرون فيها^(٢) .
- ٣ - تحريم المماراة والجدال فى القرآن الكريم بغير حق ، فمن ذلك " أن يظهر فيه دلالة الآية على شيء يخالف مذهبه ، ويحتمل احتمالا ضعيفا موافقة مذهبه ، فيحملها على مذهبه ، وينظر على ذلك مع ظهورها له فى خلاف ما يقول^(٣) " . ويستدل الامام النووى على ذلك بما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " المراء فى القرآن كفر^(٤) " .

(١) النووى ، التبيان " مرجع سابق " ، ص ١٣٠ - ١٣١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٣٢ - ١٣٣ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٣٤ .

(٤) رواه أبو داود رقم (٤٦٠٣) فى السنة ، وأخرجه احمد فى مسنده الجزء الثانى باسناد حسن .

أما من حيث معنى المراءء " فيقول الخطابي : المراد بالمراءء الشك وقيل : الجدل المشكك فيه . وقيل : هو الجدل الذى يفعله أهل الاهواء فى آيات القدر ونحوها (١) .

٤ - كراهية قول نسيت آية كذا ، " بل أن يقول أنسيته أو أسقطتها ويستدل الامام النووى على ذلك بما ثبت فى الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا يقل أحدكم نسيت آية كذا وكذا ، بل هو شيء نسي " وفى رواية الصحيحين أيضا : " بثسما لأحدكم أن يقول نسيت آية كيت وكيت ، بل هو نسي (٢) " .

٥ - عدم منع الكافرين من سماع القرآن " لقول الله تعالى : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ﴾ (٣) ، ولكن يمنع من مس المصحف ، ويجوز تعليمه على الأصح ان كان يرجى اسلامه ، اما ان كان غير ذلك فلا يجوز تعليمه (٤) " .

٦ - نقش الحيطان والشياب بالقرآن وبأسماء الله تعالى مكرون على المذهب الشافعى وقال غيرهم كعطاء : لا بأس بكتابة القرآن فى قبلة المسجد (٥) ، وهذا ما يفعل فى أغلب مساجدنا اليوم . وربما

(١) النووى ، التبيان " مرجع سابق ، ص ١٣٤ .

(٢) رواه البخارى ٧٠/٩ - ٧٢ فى فضائل القرآن باب استذكار القرآن ، وتعاهده ، رواه مسلم حديث رقم (٧٩٠) فى صلاة المسافرين ، باب الامر بتعهد القرآن .

(٣) سورة التوبة ، الآية رقم ٦ .

(٤)، (٥) النووى ، التبيان " مرجع سابق " ، ص ١٣٧ .

تعدى الامر الى نقش الحيطان الاخرى سوى القبلة وهذا فى الحقيقة
مما يلفت نظر المعين ويذهب بخشوعهم فى الصلاة . فلا داعى لذلك .

٧ - استحباب الرقية على المريض بالقرآن الكريم مع النفث ، ويرى
الامام النووى " أن المختار لديه أن ذلك سنة مستحبة وليست
بمكروه " ، ويدلل على ذلك بما ثبت عن عائشة رضى الله عنها
" أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا أوى فراشه كل ليلة
جمع كفيه ثم نفث^(١) فيهما فقرأ فيهما قل هو الله أحد ، وقل
أعوذ برب الفلق ، وقل أعوذ برب الناس ، ثم يمسح بهما ما استطاع
من جسده ، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده ، يفعل
ذلك ثلاث مرات^(٢) " . رواه البخارى ومسلم .

(١) النفث : نفخ لطيف بلا ريق . ابن منظور، لسان العرب ١٩٥/٢ - ١٩٦ .

(٢) النووى ، التبيان " مرجع سابق " ، ص ١٣٨ ؛ البخارى ٥٦/٩ فى
فضائل القرآن : باب فضل المعوذات وفى الطب : باب النفث فى الرقية
وفى الدعوات : باب التعوذ والقراءة عند النوم . ومسلم رقم
(٢١٩٢) فى السلام : باب رقية المريض بالمعوذات والنفث .

الفصل الثالث

نتائج البحث

تطبيقات تربوية

الفصل الثالث

نتائج البحث :

لقد أوصلنا البحث الى استخلاص بعض النتائج الهامة التى منها

مايلى :

- ١ - ان الفترة التى عاشها الامام النووى تمتاز بنوع من الاستقرار السياسى النسبى منذ تولى السلطان الظاهر بيبرس حكم البلاد الاسلامية .
- ٢ - ان من مسؤوليات العالم المسلم الدعوة الى الاصلاح عن وعى فى كافة الجوانب السياسية والاجتماعية والعلمية فى البلاد والنهوض بمستواها .
- ٣ - الاهتمام بمبدأ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وتطبيقه من قبل المسلمين على حد سواء التطبيق الأمثل الصحيح لأنه يعد أحد الركائز الاساسية فى الاسلام .
- ٤ - ان الاتجاه نحو استخدام أساليب التعزيز بأشكاله المادية والمعنوية يسهم فى اشارة دافعية التلاميذ للتعلم وحبهم له .
- ٥ - ان مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين من قبل المعلم ، يجعل لكل متعلم دورا فى العملية التعليمية التربوية ، وفى هذا ضمان لمشاركة جميع المتعلمين بشكل ايجابى فى عملية التعلم .
- ٦ - ان اعداد المعلم وتحفيره الجيد للدروس ، وتسلسله فى عرض المعلومات . وريطه لعناصر الموضوعات بعضها مع بعض ، يؤدي الى

جذب انتباه التلاميذ وابعادهم عن التشتت .

٧ - الاهتمام بالبحث العلمى وجعله جزء من اعداد المعلم المهنى والتربوى للنهوض بمستواه .

٨ - ان نجاح العملية التعليمية التربوية يعتمد بالدرجة الاولى على المعلم الذى ينمى معلوماته ومحتواه العلمى على السدوام دون التوقف عند الكتاب المدرسى المقرر فقط ، نظرا لتقدم العلم السريع المطرد ولثلا يترتب على الاقتصار على الكتاب المدرسى المقرر دون الرجوع الى المصادر ضعف المستويات العلمية وضالة المعرفة عند التلاميذ .

٩ - ان من مسؤوليات المعلم العمل على اكتشاف المتفوقين من التلاميذ النابغين منهم ودعم هذا التفوق وتنميته ومتابعته باعتباره هم ثروة بشرية هامة للبلاد يجب مواصلة رعايتها .

١٠ - اتفاق طريقة التدريس وقدرات التلاميذ وخصائص نموهم العقلى والاجتماعى والنفسى والجسمى .

١١ - ان علماءنا كانت لهم جهود كبيرة فى ميادين التربية والتعليم وان كثيرا من النظريات التربوية الحديثة نجد لها أصلا عند علمائنا ، نظرا وتطبيقا .

١٢ - ان اعجاب بعض المربين والمعلمين الزائد بما عند الغرب والشرق اليوم من نظريات التربية والتعليم سببه جهلنا بما خلفه علمائنا الافذاذ أو عدم اطلعنا على ما ورثوه .

التطبيقات التربوية

ان الفكر التربوى للامام النووى يمتاز بالواقعية وامكانية التطبيق الفعلى فى حياتنا المعاصرة وبخاصة فيما يتعلق بالتربية والتعليم والاستفادة من آرائه وجهوده التربوية فى تربية أبنائنا فى مراحل التعليم المختلفة .

ومما نستفيدة من فكر الامام النووى التربوى على النحو التالى :

- ١ - توجيه أبنائنا الى بذل الوسع والطاقة فى طلب العلم ، والاستمرار فى طلبه وتحصيله مدى الحياة .
- ٢ - نوصيهم بالحرص الدائم على الاستفادة من الغير اذا كان ذلك لايتعارض مع عقيدتنا الاسلامية ، فالرجل يكون عالما ما طلب العلم فاذا استغنى عن طلبه فقد جهل .
- ٣ - حثهم على اخلاص النية فى طلب العلم لوجه الله تعالى فلا يطلبونه لحصول شهادة أو رياسة أو مال وغيره .
- ٤ - النظر الدقيق فيما أورده الامام النووى من آداب المعلم والمتعلم المستقاه من كتاب الله وسنة رسوله ، وتوجيه أبنائنا للاستفادة من تلك الآداب فى حياتهم العلمية والعملية ، وغرسها فى نفوسهم ، ومعرفة مدى تطبيقهم لها فى ضوء متطلبات الحياة المعاصرة .
- ٥ - الاهتمام بتعليم القرآن الكريم والحديث الشريف لأبنائنا الطلاب

واعطاء المزيد من العناية بهما بالقدر الكافى فى التعليم العام
وبخاصة فى المرحلة المتوسطة حيث ان اعطاء حصة واحدة لكل منهما
فى الاسبوع لا تكفى اطلاقا .

٦ - يعتبر المعلم العنصر الأهم فى العملية التربوية والتعليمية، وهو
الوسيلة الفعالة فى التطبيق التربوى وفى تنمية شخصيات الطلبة
المتعلمين ، ولكن قد تزداد مسؤولياته ، نظرا لزيادة الوسائل
والتقنيات التعليمية الحديثة فعالية مما يطور بالتالى دور
المعلم نسبيا فى العملية التعليمية .

٧ - بذل العناية الكافية من المعلمين والمديرين والموجهين لتنمية
القيم الاسلامية والاتجاهات المرغوبة والاخلاق الحميدة التى نريد
أن نغرسها فى نفوس الجيل وتكاتف الجهود فى تحقيق ذلك فى
مدارسنا . فالمتعلمون بحاجة ماسة الى النموذج القدوة وهذه من
أخطر ماتعانيه التربية فى المجتمع المعاصر .

وَالْعَمَلُ

الْحَيَاةُ وَالْمَوْتُ

قائمة المصادر والمراجع

أولا : المصادر :

- ١ - ابن الاخوة ، محمد بن محمد القرشي . معالم القرية فى أحكام الحسبه . مصر : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٦ .
- ٢ - ابن الجوزى ، ابو الفرج عبدالرحمن . المصباح المفضى فى خلافة المستفى . بغداد : وزارة الاوقاف العراقية ، ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ .
- ٣ - _____ . تلبيس ابليس . القاهرة : مطبعة المدنى ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ .
- ٤ - ابن العماد ، ابو الفلاح عبدالحى ، شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، بيروت : المكتب التجارى للطباعة والنشر ، د . ت .
- ٥ - ابن تغرى بردى ، جمال الدين ابو المحاسن يوسف . النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة . القاهرة : المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، د . ت .
- ٦ - ابن تيمية ، تقى الدين ابو العباس احمد . الامر بالمعروف والنهى عن المنكر . جدة : دار المجتمع للنشر ، ١٤٠٤ - ١٩٨٤ .
- ٧ - ابن خلدون ، عبدالرحمن . المقدمة . القاهرة : المكتبة التجارية د . ت .
- ٨ - ابن سينا ، ابو على الحسين بن على . القانون فى الطب . بيروت : دار صادر ، د . ت .
- ٩ - ابن قيم الجوزيه ، محمد بن ابى بكر ، الطرق الحكمية فى السياسة الشرعية . القاهرة : المؤسسة العربية للطباعة والنشر ١٣٨٠ هـ -

١٩٦٠ .

اعتمد الباحث هنا الترتيب الهجائى لاسماء المؤلفين .

- ١٠ - ابن كثير ، اسماعيل بن عمر . البداية والنهاية فى التاريخ .
بيروت : مكتبة المعارف ، ١٩٦٦ .
- ١١ - ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم ، لسان العرب . بيروت :
دار صادر ، د . ت .
- ١٢ - أبو شامة ، أبى محمد عبدالرحمن بن اسماعيل . الذيل على
الروافضيين . بيروت : دار الجيل ، ١٩٧٤ .
- ١٣ - أبو نعيم ، احمد بن عبدالله الاصبهاني . حلية الاولياء وطبقات
الاصفياء . بيروت : دار الكتاب العربى ، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ .
- ١٤ - الأسنوى ، جمال الدين عبدالرحيم . طبقات الشافعية . الرياض :
دار العلوم للطباعة والنشر ، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ .
- ١٥ - الذهبى ، ابو عبدالله شمس الدين محمد . تذكرة الحفاظ . مصر :
دار احياء التراث العربى ، ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٤ .
- ١٦ - _____ ، العبر فى خبر من غبر . الكويت :
مطبعة حكومة الكويت ، ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ .
- ١٧ - الزركلى ، خير الدين . الاعلام ، بيروت : دار العلم للملايين ،
١٩٨٠ .
- ١٨ - السبكى ، تاج الدين ابو النصر عبدالوهاب بن تقى الدين . طبقات
الشافعية الكبرى . القاهرة : عيسى البابى الحلبي وشركاه
١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ .
- ١٩ - السخاوى ، محمد عبدالرحمن ، ترجمة النووى . مصر : مطبعة جمعية
النشر والتأليف بالازهر ، ١٣٥٤ هـ - ١٩٣٤ .

- ٢٠ - السيوطى ، جلال الدين عبدالرحمن بن ابى بكر . الاتقان فى علوم القرآن . الطبعة الثالثة . مطبعة حجازى ، ١٩٤١ .
- ٢١ - _____ ، تاريخ الخلفاء . مصر : مطبعة السعادة ، ١٩٥٢ .
- ٢٢ - _____ ، حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة ، مصر : دار احياء الكتب العربية ، ١٩٦٨ .
- ٢٣ - السيوطى ، جلال الدين عبدالرحمن بن ابى بكر . المنهاج السوى فى ترجمة الامام النووى . جامعة بمباى ، د . ت .
- ٢٤ - الصيرفى ، على بن داود . نزهة النفوس والابدان فى تواريخ الزمان ، القاهرة : دار الكتب ، مركز تحقيق التراث ، ١٩٧٣ .
- ٢٥ - العمرى ، شهاب الدين احمد ابن فضل الله . التعريف بالمصطلح الشريف . القاهرة . بدون دار نشر ، ١٣١٢ هـ - ١٨٨٢ م .
- ٢٦ - العينى ، بدر الدين محمود . عقد الجمان فى تاريخ اهل الزمان ، مصر : دار الكتب المصرية ، د . ت .
- ٢٧ - الغزالى ، ابو حامد محمد . احياء علوم الدين . القاهرة : دار الشعب ، د . ت .
- ٢٨ - القلقشندى ، ابى العباس احمد بن على . صبح الأعشى فى صناعة الانشا . القاهرة : المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، د . ت .
- ٢٩ - الكتبى ، محمد بن شاکر ، فوات الوفيات . بيروت : دار صادر ، ١٩٧٣ .

- ٣٠ - المقریزی ، احمد بن علی • السلوك لمعرفة دول الملوك • القاهرة :
مطبعة دار الكتب ، ١٩٣٦ •
- ٣١ - _____ ، اغاثة الامة بكشف الغمه • دارابــــن
الوليد ، ١٩٥٦ •
- ٣٢ - المقریزی ، احمد بن علی • كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط
والاشار المعروف بخط المقریزی • مصر : دار التحرير للطبع
والنشر ، ١٩٦٨ •
- ٣٣ - النعیمی ، عبدالقادر محمد • الدارس فی تاریخ المدارس • دمشق :
المجمع العلمی ، ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٧ •
- ٣٤ - النووی ، یحی بن شرف • شرح صحیح مسلم • بیروت : دار احیاء
التراث العربی ، ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ •
- ٣٥ - _____ ، التبیان فی آداب حملة القرآن ، دمشق :
مکتبة دار البیان ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ •
- ٣٦ - النووی ، یحی بن شرف • المجموع شرح المذهب • مصر : مطبعة
الامام ، د. ت •
- ٣٧ - _____ ، تهذیب الاسماء واللغات • بیروت : دار
الکتب العلمیة ، د. ت •
- ٣٨ - النویری ، احمد بن عبدالرهاب • نهاية الارب فی فنون الادب ،
القاهرة : مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٣ - ١٩٤٣ •
- ٣٩ - فان دالین ، دیوبولد • ب : مناهج البحث فی التربية وعلم النفس
ترجمة محمد نبیل نوفل ، سلیمان الخفیری وطلعت منصور ، مراجعة
سید احمد عثمان • الانجلو المصرية ، ١٩٦٩ •

- ١٠ - الطنطاوى ، على . الامام النووى . دمشق : دار الفكر ، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩
- ١١ - العرينى ، السيد الباز . الأيوبيون . بيروت : دار النهضة العربية ، ١٩٦٧ .
- ١٢ - _____ ، المماليك . بيروت : دار النهضة العربية ، ١٩٧٩ .
- ١٣ - العلى ، صالح احمد . دراسات فى تطور الحركة الفكرية فى صدر الاسلام . بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ .
- ١٤ - الغريب ، رمزية ، التعلم دراسة نفسية تفسيرية توجيهية . القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧٥ .
- ١٥ - القاضى ، يوسف مصطفى . مناهج البحوث وكتابتها . الرياض : دار المريخ ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ .
- ١٦ - القرشى ، بريكان بركى ، القدوة ودورها فى تربية النشء . مكة : مكتبة الفيصلية ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ .
- ١٧ - القوصى ، عبدالعزيز . أسس الصحة النفسية ، الكويت : دار القلم ١٩٧٠ .
- ١٨ - الكيلانى ، ماجد عرسان . تطور مفهوم النظرية التربوية الاسلامية عمان : جمعية عمال المطابع التعاونية . ١٩٨٣ .
- ١٩ - _____ ، الفكر التربوى عند ابن تيمية ، المدينة المنورة : مكتبة دار التراث ، ١٩٨٦ .

- ٢٠ - النباهين ، على سالم . نظام التربية الاسلامية فى عصر دولــــة
المماليك فى مصر . مصر : دار الفكر العربى ، ١٩٨١ .
- ٢١ - الندوى ، ابو الحسن على الحسنى . رجال الفكر والدعوة فى الاسلام
الكويت : دار القلم ، ١٩٧٧ .
- ٢٢ - الهاشمى ، عبدالحميد محمد . الفروق الفردية - دراسة تحليلية
تطبيقية . بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ .
- ٢٣ - الوكيل ، حلمى ، محمد امين مفتى . أسس بناء المناهج وتنظيماتها .
القاهرة : مطبعة حسان ، ١٩٨٢ .
- ٢٤ - آل ياسين ، محمد حسين . المبادئ الاساسية فى طرق التدريــــس
العامة . بيروت : دار القلم ، ١٩٧٤ .
- ٢٥ - بولياس ، ايرل ، جيمس يونغ . المعلم أمة فى واحدة ، تعريب ايلى
وأريل بيروت : دار الآفاق الجديدة ، د . ت .
- ٢٦ - جابر ، جابر عبدالحميد . سيكولوجية التعلم ونظريات التعلــــم
القاهرة : دار النهضة المصرية ، ١٣٩٨ هـ - ١٩٨٧ .
- ٢٧ - جرادات ، عزت ، وآخرون . التدريس الفعال . الطبعة الثانية ،
سلسلة مطبوعات المكتبة التربوية المعاصرة . ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ .
- ٢٨ - جيلفورد ، ج ، ب . ميادين علم النفس النظرية والتطبيقية . مصر :
دار المعارف ، ١٩٧٥ .

- ٢٩ - حسان ، حسان محمد ، نادية جمال الدين • مدارس التربية فى الحضارة الاسلامية • القاهرة : دار الفكر العربى ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤
- ٣٠ - حمدان ، محمد زياد • التدريس الحديث ، أصوله وتطبيقاته • الكويت: دار الكتب ، ١٩٨٢ •
- ٣١ - _____ ، المعلم مواصفاته ومسؤولياته البناءة فى التربية المدرسية • عمان : دار التربية الحديثة ، ١٩٨٦ •
- ٣٢ - حمزة ، عبداللطيف • الحركة الفكرية فى مصر فى العصرين الأيوبيين والمملوكى الاول • القاهرة : دار الفكر العربى ، ١٩٦٨ •
- ٣٣ - راجح ، احمد عزت ، أصول علم النفس ، الاسكندرية : المكتب المصرى الحديث ، ١٩٧٣ •
- ٣٤ - رضوان ، ابو الفتوح • المدرس فى المدرسة والمجتمع • القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧٣ •
- ٣٥ - ريان ، فكرى حسن • التدريس أهدافه ، أسسه ، أساليبه ، تقويم نتائجه وتطبيقاته ، القاهرة : عالم الكتب ، ١٩٧١ •
- ٣٦ - زهران • حامد عبدالسلام • التوجيه والارشاد النفسى • القاهرة : عالم الكتب ، ١٩٨٠ •
- ٣٧ - سرور ، محمد جمال الدين ، دولة الظاهر بيبرس فى مصر • القاهرة : دار الفكر العربى ، ١٩٦٠ •

- ٣٨ - سليم ، محمود رزق • عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمى والأدبى
مكتبة الاداب بالجمايز ، ١٣٦٦ هـ - ١٩٤٦ •
- ٣٩ - سليمان ، عرفات عبدالعزيز ، المعلم والتربية • القاهرة : مكتبة
الانجلو المصرية ، ١٩٨٢ •
- ٤٠ - سيموندر ، برسيغال • الدروس التى تتعلمها التربية من علم النفس
• تعريب عبدالرحمن صالح عبدالله • بيروت : دار الفكر ،
١٩٧٤ •
- ٤١ - شعلان ، محمد سليمان ، سعاد الله ، محمد محمود رضوان ، اتجاهات
فى أصول التدريس بمدرسة التعليم الاساسى • ط ١ ، القاهرة : دار
الفكر العربى ، ١٩٨١ •
- ٤٢ - صليب ، جميل ، فلسفة تربوية متجددة واعداد المعلمين ، بيروت:
دائرة التربية فى الجامعة الامريكية ، ١٩٥٦ •
- ٤٣ - _____ ، مستقبل التربية فى العالم العربى، بيروت:
مكتبة الفكر الجامعى منشورات عويدات ، ١٩٦٧ •
- ٤٤ - عاشور ، سعيد عبدالفتاح • مصر فى عصر دولة المماليك البحرية .
القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٩ •
- ٤٥ - _____ ، المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك •
القاهرة : دار النهضة العربية ، ١٩٦٢ •

- ٤٦ - عاشور ، سعيد عبدالفتاح . مصر والشام فى عصر الايوبيين —————
والمماليك . بيروت : دار النهضة العربية ، ١٩٧٢ .
- ٤٧ - ————— . العصر المماليكى فى مصر والشام .
القاهرة : دار النهضة العربية ، ١٩٧٦ .
- ٤٨ - عبدالعال ، حسن ابراهيم . من قضايا التربية فى رسالة اللؤلؤ
لابى يحيى الانصارى . مجلة العلوم الاجتماعية ، العدد السابع .
الرياض : جامعة محمد بن سعود الاسلامية ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ .
- ٤٩ - ————— . فن التعليم عند بدر الدين ابن جماعة .
الرياض : مكتب التربية العربى لدول الخليج ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ .
- ٥٠ - ————— . أصول البحث العلمى وآدابه عند الامام
النووى ، رسالة الخليج العربى ، العدد ٢٤ . الرياض : مكتب
التربية العربى لدول الخليج ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ .
- ٥١ - عبدالله ، عبدالرحمن صالح . دور التربية العملية فى اعداد
المعلمين . بيروت : دار الفكر للطباعة والنشر ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ .
- ٥٢ - ————— . المنهاج الدراسى أسسة وصلته بالنظرية
التربوية الاسلامية . الرياض : مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات
الاسلامية ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ .
- ٥٣ - عبدالعزيز ، صالح ، التربية الحديثة - مادتها - مبادئها —————
تطبيقاتها العملية ، ط ٧ . مصر : دار المعارف ، ١٩٦٩ .

- ٥٤ - عبدالموجود ، محمد عزت ، وآخرون ، أساسيات المنهج وتطبيقاته .
القاهرة : دار الثقافة للطباعة والنشر ، ١٩٧٩ .
- ٥٥ - عثمان ، سيد احمد . التعلم عند برهان الاسلام الزرنوجي . القاهرة :
مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧٧ .
- ٥٦ - عطية الله ، احمد . القاموس الاسلامي . القاهرة : مكتبة النهضة
المصرية ، ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ .
- ٥٧ - عفيفي ، فوزي سالم . السلوك الاجتماعي بين علم النفس والديـ
الكويت : وكالة المطبوعات ، د . ت .
- ٥٨ - عيسى ، احمد عبدالرحمن . في أصول التربية وتاريخها . الرياض :
دار اللواء للنشر والتوزيع ، ١٩٧٧ .
- ٥٩ - قشقوش ، ابراهيم ، طلعت منصور . دافعية الانجاز وقياسها ، القاهرة :
مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧٢ .
- ٦٠ - قطب ، سيد . العدالة الاجتماعية في الاسلام . القاهرة : دار الشروق
١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ .
- ٦١ - كرد على ، محمد عبدالرزاق . خطط الشام . دمشق : مطبعة الحديث ،
د . ت .
- ٦٢ - ماجد ، عبدالمنعم . نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر .
مصر : مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٥١ .

- ٦٣ - ماكيفر ، ر.م وشارلز ه. بدج . المجتمع . ترجمة على احمد عيسى ، مصر : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦١ .
- ٦٤ - مجاور ، محمد صلاح الدين ، فتحى عبدالمقصود الديب ، المنهج المدرسى - أسسه وتطبيقاته التربوية . الكويت : دار القلم ، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ .
- ٦٥ - مجمع اللغة العربية . المجمع الوسيط . مصر : دار المعارف ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ .
- ٦٦ - موسى ، عبدالله عبدالحى . المدخل الى علم النفس . مكتبة الخانجي ، ١٩٧٩ .
- ٦٧ - نجار ، فريد ، وآخرون . قاموس التربية وعلم النفس التربوى . بيروت : الجامعة الامريكية ، ١٩٠٦ .
- ٦٨ - هايمان . رونالد . طرق التدريس ، ترجمة ابراهيم محمد الشافعى . الرياض : جامعة الملك سعود عمادة شؤون المكتبات ، ١٤٠٣ هـ . ١٩٨٣ .
- ٦٩ - هيوز ، آرثر جورج ، اى . ج . هيوز . التعلم والتعليم مدخل فى التربية وعلم النفس . الرياض : جامعة الملك سعود ، ١٤٠٢ هـ . ١٩٨٢ .
- ٧٠ - وزارة المعارف . التاريخ الاسلامى للصف الثانى المتوسط . جدة : دار الاصفهانى ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ .
- ٧١ - يس ، نبيه . أبعاد متطورة للفكر التربوى . مصر : مكتبة الخانجي ، ١٩٧٨ .

